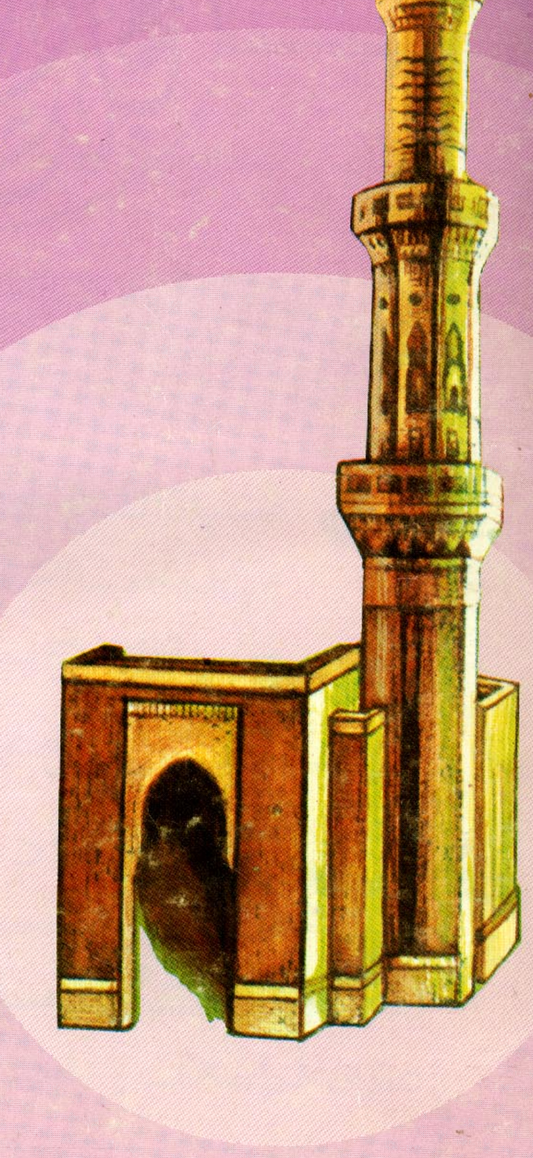
مجلة

الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة



السنة الحادية عشرة

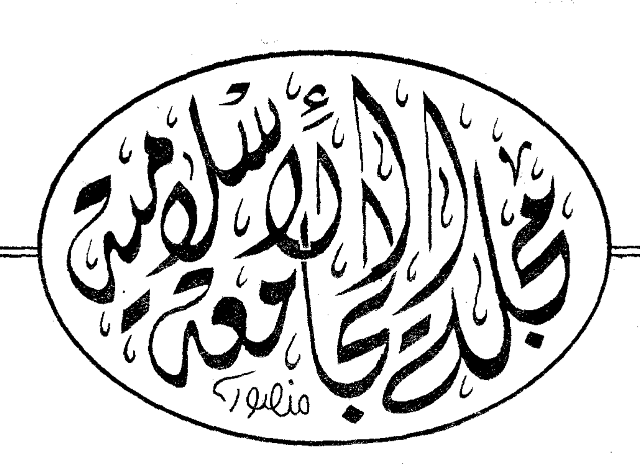
العدد الثاني

غرة ذي الحجة عام ١٣٩٨هـ

مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



المراسلات : ترسل إلى المجلة باسم رئيس التحرير

عنوان المراسلات : المدينة المنورة الجامعة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

آيات العدد

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسـوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمـه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب(١٩٧) ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين(١٩٨) ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (١٩٩)

« من سورة البقرة »



عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

(سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)

« صحيح البخارى »

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)

« صحيح البخارى »

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » . .

« رواه أحمد والترمذى

« واللفظ للترمذى »

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم :

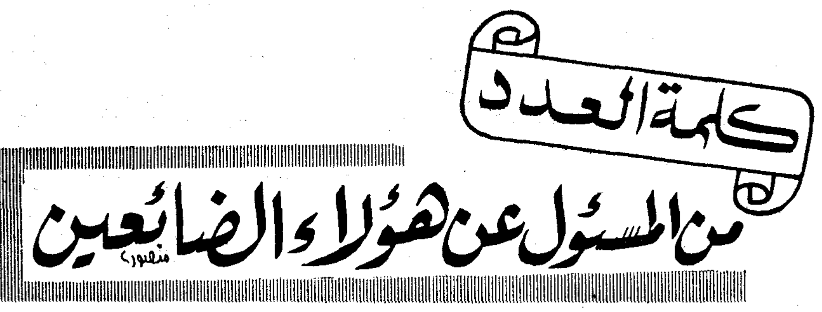
« ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ »

« رواه مسلم »

حكمة العدد

قال رجل لعبد الله بن مسعود : علمنى كلمات جوامع نوافع . فقال : اعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وزل مع القرآن حيث زال . ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً ، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيباً قريباً .

« ابن مسعود »



أسرة التحرير

في طريقنا إلى الفلبين كان لابد لنا من الهبوط في بومباى لتغيير الطائرة ، وكان علينا أن نقضى معظم الليل في ردهة المطار بانتظار موعد الطائرة التى ستقلنا إلى مدراس . . وبينما أنا أغالب إغفاءة خفيفة أخذ سمعى دوي بعيد ترافقه ضجة موزونة ، ثم ما زال يقترب شيئاً فشيئاً حتى انجلى لنا عن موكب يضم قرابة العشرين رجلا ، كلهم من العرق الأوربي الأبيض البشرة ، الأزرق العيون ، الفارع الهيكل . كان أحدهم حدثاً لا يتجاوز الخامسة عشرة ، وبينهم واحد في سحنة الهنود .

وقد استرعى انتباهي من هؤلاء أزياؤهم الغريبة ، فهي عبارة عن سراويلات فصلت على الطريقة الباكستانية ، وفوقها قمص تنسدل إلى الركب . وكانت رؤوسهم حليقة كلها ، الا امتداداً كذيل الثعلب ، يبدأ من وسط الرأس ، ثم يتدلى إلى مؤخرة الرقبة .

كان بعض هؤلاء يحمل طبولا على شكل اسطواني ، ينتهي طرفاه بفتحتين ضيقتين ألصقت بهما قطعتان من الجلد ، عليهما يضرب حاملوها . .

وينطلق الجميع في أناشيد محفوظة يكررونها وهم يترنحون في انتظام ، وكلما انتهوا إلى فقرة منها معينة قفزوا معاً إلى الأعلى ، ثم يعودون إلى اهتزازاتهم الأولى . .

وهكذا جعلوا يبدئون ويعيدون حتى نال منهم الإرهاق ، وجعلت أصواتهم تخفت من التعب . . فإذا ما استعادوا بعض قدرتهم أعادوا العمل ضرباً وترنحاً وقفزاً وإنشاداً . .

لم أستطع بادى الرأي تفسير عملهم . . وخطر في بالى أنهم مجموعة من الضائعين الذين يتكاثرون هذه الأيام في شوارع أوربة وحواضر أمريكه ، قد أقبلوا على الشرق في سياحة ترفيهية ، فهم يجوبون شوارع بومباى على هذا الوضع ، إعراباً عن تمردهم على الحضارة الغربية ، التي أعطت الإنسان الغربي كل وسائل الرفاه . وسلبته مقابل ذلك كل أسباب الطمأنينة . إلا أني لم ألبث أن هديت إلى التفسـير الصحيح حين أقبل رفيق رحلتى الدكتور ف عبد الرحيم ، فبين لي أن هؤلاء نموذج لكثيرين من الغربيين الذين فرغت قلوبهم من سكينة الإيمان ، فراحوا يهيمون على وجوههم، حتى احتضنهم دعاة الوثنية الهندية ، فاعتنقوا بعض مذاهبها ، ثم جاءوا إلى الهند ليمارسوا شعائر دياناتهم الجديدة على النحو الذي ترى . . فهم يؤدون هذه الحركات داخل المعابد ، ولعلهم يريدون من إجرائها في الشوارع تذكير الناس بها ودعوتهم إلى إحيائها . .

وسرعان ما وجدتنى مشدوداً بما شاهدته من هذه الغرائب إلى التأمل في ما وراءها من عبر وأحداث :

لقد وثبت بي الذاكرة إلى منظر بعض الطرقيين في العديد من ديار المسلمين ، وقد تحلقوا حول (الراقص المولوى) يعزفون له ويقرعون وينشدون ، وراح هذا يدور في وسطهم على قدم واحدة ، كخذروف الوليد ، وقد انفتحت (تنورته) الواسعة حتى أشبهت مظلة الطيار الهابط من الأعالي . .

ثم تتابعت علي الرؤى حتى وقفت بخيالي على واحدة منها لم تزل تعمل عملها في صدور الغافلين . . إنها صورة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، فكان من بين مبتدعاتهم تلك الحلقات الأخرى ، التي يتوسطها (قائد السرك) فتأخذ في التمايل وفق إشارته ، وقد تصاعدت من صدورها همهمات تبدأ واضحة باسم الله ، ثم ما تنفك تتغلغل في الغموض حتى تستحيل زفيراً وشهيقاً لا مفهوم له ، ثم لا تفتر ولا تهدأ إلى أن يأخذها الإرهاق ، الذي يأخذ هؤلاء الراقصين في ردهة مطار بومباي . .

فمن هنا إذن . . من رقصات الهنادك والبوذيين لآلهتهم ، قد تسرب هذا الرقص الطرقي ، الذي يسميه المضللون والمضللون في بلاد المسلمين (حلقات الذاكرين) ! . .

ثم ألفيتنى أتساءل : هذا الجيل المتمرد على حضارة المادة والشهوات ، وعلى تعاليم الكنيسة ، بعد أن تمردت الكنيسة نفسها على وحي الله ، حتى صارت تعاليمها مجموعة من مقررات رجال الدين . .

هذا الجيل الذى تتخطفه البوذية والبرهمية والهيبية . . وو . . لماذا أغفله دعاة الإسلام ، فلم يفتحوا أعينه على نور ربه؟ أليس الإسلام هو خاتم رسالات الله إلى عباده ؟ . .

فمن المسئول عن تبليغهم حقائقه ، إذا لم يقم المسلمون من أولى العلم بهذه المهمة؟ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ! . .

محمد المجذوب







لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه . .

أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى شرع الحج لحكم كثيرة وأسرار عظيمة ومنافع جمة أشار اليها سبحانه في قوله عز وجل « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » فأوضح سبحانه في هذه الآيات أنه دعا عباده للحج ليشهدوا منافع لهم، ثم ذكر سبحانه منها أربع منافع : -

الأولى : ذكره عز وجل في الأيام المعلومات وهي عشر ذى الحجة وأيام التشريق .

الثانية ، والثالثة ، والرابعة : أخبر عنها سبحانه بقوله : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » . .

وأعظم هذه المنافع وأكبرها شأنا ما يشهده الحاج من توجه القلوب الى الله سبحانه والاقبال عليه والاكثار من ذكره بالتلبية وغيرها من أنواع الذكر ، وهذا يتضمن الاخلاص لله في العبادة وتعظيم حرماته والتفكير في كل ما يقرب لديه ويباعد من غضبه ، ومعلوم أن أصل الدين وأساسه وقاعدته التى عليها مدار أعمال العباد هو تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قولا وعملا وعقيدة ، فالشهادة الأولى توجب تجريد العبادة لله وحده وتخصيصه بها من دعاء وخوف ورجاء وتوكل وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك من أنواع العبادة ، لأن هذا كله حق

لله وحده ليس له شريك في ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال عز وجل : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه » وقال سبحانه : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » وقال تعالى : « فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » والدين هنا معناه العبادة وهي طاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام بفعل الأوامر وترك النواهي عن ايمان بالله ورسله واخلاص له في العبادة وتصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم رغبة في الثواب وحذرا من العقاب وهذا هو معنى « لا إله الا الله » فان معناها لا معبود حق الا الله فهي تنفي العبادة وهي الألوهية بجميع معانيها عن غير الله سبحانه وتثبتها بجميع معانيها لله وحده على وجه الاستحقاق ، وجميع ما عبده الناس من دونه من أنبياء أو ملائكة أو جن أو غير ذلك فكله معبود بالباطل كما قال الله عز وجل : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل » . ولهذا الأمر العظيم خلق الله الجن والانس وأمرهم بذلك فقال عز وجل : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وعبادته سبحانه هي توحيده في ربوبيته والهيته وأسمائه وصفاته وطاعة أوامره وترك نواهيه عن إيمان وتصديق ورغبة ورهبة كما سبق بيان ذلك ، وسمى الله سبحانه دينه عبادة لأن العباد يؤدونه بخضوع وذل لله سبحانه ، ومن ذلك قول العرب : طريق معبد أى مذلل قد وطئته الأقدام وبعير معبد أى مذلل قد شد عليه حتى صار ذلولا ، وهذه المسألة – أعنى مسألة التوحيد والاخلاص لله وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه – هي أهم المسائل وأعظمها وهي أهم المسائل وأعظمها وهي التى وقعت فيها الخصومة بين الرسل والأمم حتى قالت عاد لهود عليه السلام : « أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا » وقالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالتوحيد : « أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب » وقالوا أيضا فيما ذكر الله عنهم في سورة الصافات : « أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » بعد قوله سبحانه : « انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون » فعلم بهذه الآيات وما جاء في معناها أن أهل الشرك يستنكرون دعوة التوحيد ويستكبرون عن التزامها لكونهم اعتادوا ما ورثوه عن آبائهم من الشرك بالله وعبادة غيره . .

فالواجب على أهل العلم والإيمان وعلى أهل الدعوة الى الله سبحانه أن يهتموا بهذا

الأمر وأن يوضحوا حقيقة التوحيد والشرك للناس أكمل توضيح وأن يبينوه أكمل تبين لأنه الأصل الأصيل الذى عليه المدار في صلاح الأعمال وفسادها وقبولها وردها كما قال عز وجل : « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » وقال تعالى : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »

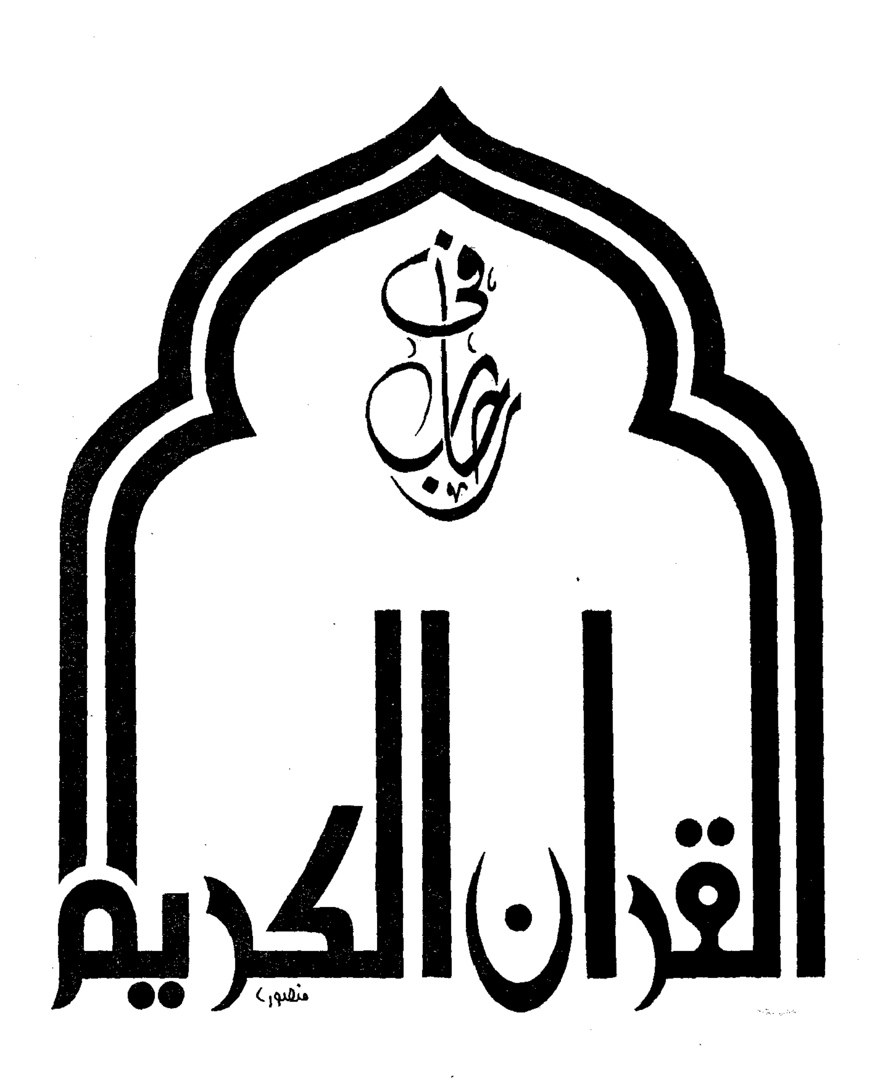
أما الشهادة الثانية . وهى شهادة أن محمدا رسول الله ، فهي الأصل الثاني في قبول الأعمال وصحتها وهى تقتضى المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته وتصديق أخباره وطاعة أوامره وترك نواهيه وأن لا يعبد الله الا بشريعته عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال سبحانه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ولا هداية للصراط المستقيم الا باتباعه والتمسك بهداه كما قال الله سبحانه وتعالى (وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » ، وقال عز وجل : « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الاهو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى . . قيل يا رسول الله ومن يأبى ، قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » . . رواه البخارى في صحيحه ، ويدل على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومن منافع الحج وفوائده العظيمة أنه يذكر بالآخرة ووقوف العباد بين يدى الله يوم القيامة ، لأن المشاعر تجميع الناس في زى واحد مكشوفي الرؤوس من سائر الأجناس يذكرون الله سبحانه ويلبون دعوته وهذا المشهد يشبه وقوفهم بين يدى الله يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة غرلا خائفين وجلين مشفقين ، وذلك مما يبعث في نفس الحاج خوف الله ومراقبته والاخلاص له في العمل كما يدعوه الى التفقه في الدين والسؤال عما أشكل عليه حتى يعبد ربه على بصيرة

وينتج عن ذلك توجيهه من تحت يده الى طاعة الله ورسوله والزامهم با لحق ، فيرجع الى بلاده وقد تزود خيرا كثيرا واستفاد علما جما ، ولا ريب أن هذا من أعظم المنافع وأكملها لا سيما في حق من يشهد حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوى والمشاعر ويصغى الى الدعاة الى الله سبحانه ويحرص على الاستفادة من نصائحهم وتوجيههم ، وفي الحج فوائد أخرى ومنافع متنوعة خاصة وعامة يطول الكلام بتعدادها ، ومن ذلك الطواف بالبيت العتيق والسعي بين الصفا والمروة والصلاة في المسجد الحرام ورمى الجمار والوقوف بعرفة ومزدلفة والاكثار من ذكر الله ودعائه واستغفاره في هذه المشاعر ، ففى ذلك من المنافع والفوائد والحسنات الكثيرة والأجر العظيم وتكفير السيئات ما لا يحصيه الا الله لمن أخلص لله في العمل وصدق في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه والسير على سنته وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إنما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله » .

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين جميعا وأن يمنحهم الفقه في دينه ويتقبل منا ومنهم وأن يولى عليهم خيارهم ويصلح قلوبهم وأعمالهم وينصر دينه ويخذل أعداءه انه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه . .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز


في رحاب
القرآن الكريم

الحج أشهر معلومات

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله

لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري - عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد فهذه بعض آية من سورة البقرة وردت في سياق بيان بعض أحكام العمرة والحج رغبنا أن نستجلي بعض معانيها مع قراء مجلة الجامعة الإسلامية الكرام سائلين الله تعالى أن يرزقنا هدايتها ، والعمل بما فيها إنه على كل شيء قدير ..

الحج : إن هذا اللفظ القرآني له مدلولان : لغوى ، وشرعى ، فالمدلول اللغوى هو المشى على المحجة (جادة الطريق) لأى غرض كان يقصده الماشى على المحجة واكثر ما يطلق هذا اللفظ « الحج » إذا تكرر المشى إلى الشيء المرة بعد المرة .

وأما المدلول الشرعى : فالحج هو قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة لزيارته وأداء مناسك حوله .

وآل : فيه للتعريف العهدى فالمراد من قوله تعالى الحج أشهر معلومات : أنه الحج الشرعى الذى فرضه الله تعالى على عباده المؤمنين : من استطاع منهم سبيلا ، والسبيل هى الزاد والراحلة مع أمن الطريق ووجود محرم بالنسبة إلى المؤمنة .

وأركانه التى لا يتم إلا بها أربعة الإحرام . وكونه من الميقات الذى حدده الشارع واجب ، والطواف وهو طواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ساعة من بعد ظهر يوم التاسع من شهر ذى الحجة إلى قبيل طلوع الفجر من ليلة العاشر منه .

وهو فرض مرة في العمر ، وما زاد فهو نافلة مرغب فيها وتطوع محمود محبوب

أشهر : الأشهر : جمع شهر وهو عدة أيام وليالى لا تزيد على الثلاثين يوماً ولا تنقص عن التسعة والعشرين .

والمراد من الأشهر هنا : شهور الحج الثلاثة وهى: شوال ، وذو القعدة وعشر ليال من أول شهر ذى الحجة. ومعنى كونها أشهر الحج : أن الإحرام بالحج لا يكون إلا فيها . فلو أحرم أحد بالحج قبلها أو بعدها كأن يحرم بالحج في شعبان أو رمضان ، أو في المحرم أو صفر لما صح إحرامه ولتعين عليه أن يجعله عمرة . أما أشهر الحج فله أن يحرم في أى يوم منها ويستمر على إحرامه إن شاء إلى أن يحج ، وله ان يفسخ حجه إلى عمرة .

معلومات : معروفات لدى سائر العدنانيين من أولاد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، إذ جدهم اسماعيل بنى البيت مع والده إبراهيم وحجَّه معه ، وتعلم أداء المناسك وعرف كيفيتها من والده إبراهيم الذى أوحى الله تعالى اليه بها وعلمه إياها ، استجابة منه تعالى له لما دعاه بقوله : (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) . . وكان هذا الدعاء من ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان قواعدا البيت كما حكى القرآن ذلك عنهما في قوله من سورة البقرة : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) . .

فمن فرض فيهن الحج : لما كان للحج أشهر معلومات لا يحرم به في غيرها فعلى من فرض على نفسه الحج فيها أى ألزم نفسه به وأوجبه عليه حيث أحرم به من الميقات قائلا : (لبيك اللهم لبيك . . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) . .

فعلى كل من أحرم بالحج أن يتجنب الرفث والفسوق والجدال لأن التلبس بها أو بواحدة منها يفسد الحج أو يخل به فيحرم الحاج القبول والثواب .

فلا رفث : الرفث : الجماع ، ومقدماته من النظر بشهوة ، واللمس باليد

أو المباشرة بالجسد والكلمة المريبة الدالة على الجماع ، الداعية إليه المفكرة فيه .

ونفيه في هذا اللفظ القرآني (فلا رفث) . منعه منعاً كليا بحيث لا يوجد شيء منه ألبتة حتى ينهى عنه من يفعله ، وهذا التوجيه للاية خير من توجيه من قال إذن النفى هنا بمعنى النهى غير أنه أبلغ منه ، فيكون اللفظ خبراً ومعناه الإنشاء .

ولا فسوق : الفسوق : مصدر فسق المرء يفسق فسقاً وفسوقا إذا خرج عن طريق الحق والصواب . والمراد به هنا : الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بترك ما أمرا به من مناسك الحج وغيرها من سائر فرائض الدين وواجباته ، وبفعل ما نهيا عنه وحظرا فعله من محظورات الحج وغيرها من كل ما حرم الله ورسوله من المعتقدات والأقوال والأفعال .

فلا ينبغي أن يوجد شيء من الفسوق في الحج ، لأنه يفسده ويذهب أجره ويحرم فاعله مغفرة ذنبه ورضا ربه .

ولا جدال : الجدال : مصدر جادل يجادل جدالا ومجادلة إذا مارى في شيء ، أو خاصم فيه غيره ، ليقطعه عن حقه ويثنيه عن مراده .

الجدال هنا اللجج في الخصومة والمبالغة في المماراة مما يؤدى إلى قول باطل أو فعل حرام كسب أو شتم أو انتقاص ، أو إهدار حق ، أو إثبات باطل .

والجدال الذى يريد به صاحبه إبطال حق ، أو إحقاق باطل هو حرام على كل حال وفي أى زمان أو مكان ، والجدال الذى يريد به صاحبه العكس وهو احقاق الحق ، وإبطال الباطل هو واجب على كل حال غير أنه بالنسبة للمتلبس بعبادة الحج لا يجب عليه ولا يطالب به ، لأن في العبادة المتلبس بها شغلا يمنعه من القيام بواجب إحقاق الحق أو إبطال الباطل شأنه شأن من هو في الصلاة . ولما عرف بالمشاهدة أن الجدال في أى شيء يجر إلى الخروج عن الأدب ويؤدى الى السباب والمشاتمة وهما محرمان لا سيما في الحج

وما تفعلوا من خير يعلمه الله :

إن معنى هذه الجملة الشرطية هو الترغيب في فعل الخير في الحج ، أى خير كان يريد به فاعله وجه

الله تعالى فان الله تعالى يجزيه به ويثيبه عليه .

والجملة وان لم تذكر الجزاء على فعل الخير واكتفت بذكر علم الله تعالى بالخير المفعول فإن لازم علم الله تعالى بالخير الذى يفعله الحاج وهو متلبس بالحج ، لازمه الجزاء عليه والمثوبة به . ولعل السر في عدم ذكر الجزاء في هذا التركيب القرآني أن الله تعالى لا يثيب على مجرد فعل الخير ، وإنما على خير علم الله من فاعله أنه أراد به وجه الله تعالى وحده ، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان لوجهه خالصاً . ومن هنا وضع علم الله تعالى جزاء لفعل الشرط ، واكتفى به عن ذكر الجزاء بالثـواب . فليتأمل هذا فإنه مهم .

وهذه الجملة : وما تفعلوا . . . تعتبر قسيمة الجملة القرآنية التى سبقتها وهى فلا رفث ولا فسوق الخ ، إذ الأولى فيها تحريم كل ما يخل بعبادة الحج فيفسدها او يبطل أجرها ، وهذه فيها الترغيب في فعل الخيرات من إطعام الطعام وإفشاء السلام . وإغاثة ملهوف ، وإرشاد ضال ، أو تعليم جاهل .

وباجتناب كل ما يفسد الحج أو يخل به ، وفعل الخيرات يتوفر به وصف البر للحج المذكور في قول النبى صلى الله عليه وسلم (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) . .

وهذه هى هداية هذه الآية الكريمة : أن يحرم المؤمن بالحج في أشهره التى حددت للاحرام به فيها ، فاذا أحرم تجنب كل ما يفسد عليه حجه أو يخل بكماله من سائر المعاصى كترك ركن من أركانه أو إسقاط واجب من واجباته ، أو غيرها من فرائض الدين وواجباته أو فعل محظور من محظورات الحج أو غيرها من كل ما حرم الله ورسوله من المعتقدات والأقوال والأفعال . وأقبل مع ذلك على الصالحات يفعلها ، والخيرات يسابق إليها ويسارع فيها مدة ما هو متلبس بعبادة الحج حتى يفرغ منها وقد أبرها الله تعالى له وأثابه عليها فغفر ذنوبه وهيأه لدخول جنتـه كما جاء ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) . (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) . .

هذا ولنستشف مع القراء الكرام

بعض أسرار هذه العبادة فنقول :

ما أشبه الحج بدعوة رسمية وجهها أحد الملوك إلى خدمه وعبيده بواسطة أحد خواصه والمقربين عنـــده ، ليزوروا بيته ، وليحظوا منه بالنوال والعطاء . . ونظراً لتفاوت استعداد المدعوين ، واختلاف ديارهم قربا وبعدا جعل مدة الزيارة هذه شهرين وعشر ليال ، ليتسنى الحضور في هذه المدة لكل المدعوين مهما تناءت ديارهم وبعدت أقطارهم .

وأخذ المدعون يتوافدون ومن كل حدب وصوب ينسلون حتى تكامل الوفد ووجب الرفد فحدد لهم موعداً وخصص لهم مشهداً هو يوم عرفه ليتجلى لهم فيه ويمنحهـــم بحســب إخلاصهم في خدمته جوائز إحسانه ، وعطايا أفضاله ، فحسن أن يخرجوا يوم التروية في ملابسهم الرسمية التى دخلوا بها حرم مولاهم ، وحمى من دعاهم فينزلوا بمنى استعداداً حتى إذا طلعت شمس يوم الموعد المحدد كانوا على أتم استعداد لحضور ذلك المشهد ، فينزلوا بنمرة أول النهار وما إن تزول الشمس وتدنو ساعة الحضور ، وقد طعموا وشربوا وتطهروا ، ونزلوا المصلى فصلوا فرضهم معاً جمعاً وقصراً ، كل ذلك تفرغا منهم للمناجاة واستعداداً للملاقاة ، واندفعوا متدفقين على ذلك الميدان الرحب الفسيح « الموقف بعرفة » ووقفوا – وكلهم رجاء – باكين خاشعين سائلين متضرعين ، ولم يزالوا كذلك حتى يتجلى لهم مولاهم ويعطيهم سؤالهم ومنـــاهم فيكرم المحسنين منهم ويعفو عن المسيئين ، وقد باهى بهم ملائكة السماء ، وأشهدهم على ما منحهم وأعطى .

ولما تتقض تلك الساعات التى تزن الدهور بغروب شمس ذلك اليوم الذى يفضل العصور يأذن لهم مولاهم بالانصراف وقد ارشدهم الى محل النزول (مزدلفة) ليبيتوا ليلتهم في بهجة وسرور حتى إذا اصبحوا وقفوا بالمشعر الحرام ذاكرين لمولاهم رفده وإحسانه شاكرين له أفضاله وإنعامه .

(فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم) . . وبعد أن يسفروا يخفون عائدين الى بيت مولاهم ومكان تجمعهم ولقياهم ، وفي طـــريقهم يشفون صدورهم ويذهبون غيظ قلوبهم من عدوهم فيرمونه بمـــنى بسبع حصيات .

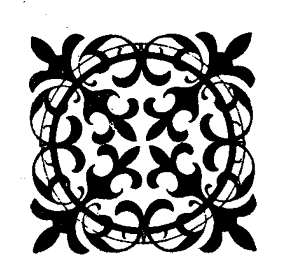
وهناك بمنى وقبل زيارة بيت مولاهم يلقون تفثهم ، ثم يقبلون على البيت زائرين ولإنعام مولاهم شاكرين ، فيطوفون ببيته ويسبحون بحمده ، ويذلك يكونون قد أشهدوا على أنهم حضروا الحفل المشهود ونالوا الرفد الموعود . وهاهم اولاء قد عادوا ليسجلوا أسماءهم في سجل الحضور وليعلنوا أنهم من أكرم الزوار .

ومن المعلوم أنه ما تم لهم حضور المشهد المفضل الذى شهدوا ولا تمكنوا من إجابة الدعوة التى اجابوا إلا بعد جهد جهيد وعناء شديد لبعد ديارهم ، ولخروجهم عما اعتادوا من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب فما أحوجهم والحال هذه إلى أيام راحة واستجام في مكان هادىء ومنزل طيب مريح فسيح حتى إذا استراحوا واستردوا من قواهم ما فقدوا ودعوا بيت مولاهم وانصرفوا

وما أكرم مولاهم وما أعظم حفاوته بهم إذ أعد لهم فجاج منى الفسيحة ورحابها الطيبة المريحة وعزمهم لأقامة ثلاثة أيام ومن تعجل في يومين فلا إثم عليه فيقضونها في متع كثيرة بين ترويح للروح وغذاء للبدن فيهللون ويكبرون ويأكلون ويشربون حتى إذا قضوا أيامهم وأراحوا أرواحهم وأبدانهم عادوا إلى البيت فودعوا وانصرفوا والكل يضرب في طريق بلاده عائداً إلى وطنه وموضع ميلاده .

فيارب ردهم سالمين

وسلام عليهم في العالمين





تفسير آية من كتاب الله

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى المدرس بالمعهد الثانوى

بسم الله الرحمن الرحيم ، ونصلى ونسلم على من نزل على قلبه الكتاب المبين ، ثم بعد ، .. لما كان كتاب الله لا تنتهى عجائبه في الدنيا والآخرة ، ومن أعاجيب كتاب الله هذه الآية التى نريد - إن شاء الله - أن نمر بها بقدر ما يفتح الله علينا به ، وليس الأمر أمر آية تفسر ، أو كلمات تقال وتسمع ، لأن الكلام ما أكثره حتى ولو كان كلام خير ولكن المطلوب كله أن نسمع ونعقل ونعمل وإلا فكل كلام يكون على غير ما ذكرنا مجرد كلام وحديث طلى حلو المسمع ..

ثم تعليق بعد ذلك بالرضا أو بعدمه على ما قيل وسمع ، ولا يستقر شيء في القلب ، ولا تتحول الأحاديث إلى العمل تطبيقا لما سمع ، ألا فلنرح أنفسنا من الآن ولنسكت ، وكل يعمل على شاكلته ، ثم بعد ذلك ربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ، إلا أن الجامعة الإسلامية التى ما قام بناؤها الشامخ الآن إلا على أساس التعريف بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، داخل الدولة وخارجها وما أظننى أبداً أتملق أو أرائي أحدا معاذ الله ، فما بقى لى شيء بعد سنى هذا أرائى من أجله ، وإنما الذى بقى لى في هذه الدنيا هو أن أقول كلمة الحق لأهلها ، وكلمة الباطل لأهلها أيضا ما استطعت إذاً فالجامعة تقوم في كل مجال ترى فيه مناسبة بتبليغ كلام الله إلى الناس حيثما عن لها ذلك وأمكن ، وكان

موسم الحج في مخيمها على هـــذه الصورة التى ترونها ، كتاب الله يتلى ويفسر ويبين ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تروى وتشرح وتوضح ، ما يتصل منها بالحج أو بغيره فدين الله شامل لكل شيء ، والحج جمع جامع يمكن أن يقال فيه أياً مما قال الله وما قال رسوله، فلا تجاسوا هنا على أساس أن تعرفوا فقط ما هو الطواف ، وما هو السعى وما هو الوقوف وما هو الرمى ، لا إن هذا الموسم يمكن أن يكون موسم الإسلام كله ، ويجب أن يحاط بقدر الإمكان بما في دين الله قولا وتوضيحا في أشهر الحــج المعدودات ، وعلى هذا فقد أردت أن أزيد على ما تعوده الناس في موسم الحج ، مما كادوا أن يملوه من الاقتصار على الحديث عن الحج وما يتصل به وكأنه لا يعيش الانسان في الحج إلامع هذه الكلمات أوالتحركات، ولهذا اخترت آية من كتاب الله ، لأفسرها بما يفتح الله به على ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ونقرأ الآية المعنية أولا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخــر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتي المال على حبه ذوى القربى واليتــامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتي الزكاة،والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البــأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . هذه الآية التى اخترتها لأجعلها موضوعى في هذه المجلة ، ولا أدعى أبدا بأنى قد أحطت علما بكل ما في هذه الآية ، ولو ادعيت ذلك أكون قد قلت شططا ، وطلبت أمرا ليس سهلا بلوغه ، ولنبدأ بغير مقدمات طويلة ، سائلا الله أن يفتح الآن القلوب قبل أن يطلق اللسان بالقول ، وأن يجعلنا نأخذ بعد ذلك معنا ما سمعناه ، عسى الله برحمته أن يجعل هذا الموسم موسم خير وبركة لكل حجاج بيته ، وليس كما قال صلوات الله عليه : (يأتي زمان على الناس من أمتى ، يحج أغنياؤهم للنزهة ، وأوسطهم للتجــارة ، وقــراؤهم للرياء ، وفقراؤهم للمسألة) نعوذ

بالله من أن نكــون الآن كذلك ، ونعوذ بالله من أن نعيش إلى هذا الزمــان ، إنما نسأل الله أن نكون الآن في حج خالص لوجهه ، ولنبدأ في تفسير الآية . (ليس البر أن تولوا وجوهكم) ، صحيح أن هذه الآية نزلت لأكثر من سبب ، فقد أفهمنا علماء أسباب النزول أنه قد يكون لنزول الآية سبب واحد ، وقد تكون لأسباب عدة ، ولكن لا أريد أن آخذكم معي في خلافات العلماء ، وإنما القصد هو أن نأخذ شيئا ممسوكا ميسرا يمكن الاستفادة منه ، ولا بد من مقدمة بسيطة جداً ثم بعد ذلك ندخل في تفاصيل الآية ، لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحول القبلة إلى اليت الحرام ، خاض اليهود والنصارى ، وقالوا ما قالوا ، فاليهود أرادوا أن يجعلوا القبلة جهة المغرب ، أى جهة بيت المقدس ، ودعوني الآن مع الآية ، وكثيرا ما تشد الحوادث المؤلمة الإنسان بعيداً عن قصده ، وقد يلام عندئذ أو لا يلام ، فدعونا الآن من مأساة بيت المقدس ، ولنكن عند كلامنا المحدد بالآية ، والنصــارى طلبوا أن يجعلوا القبلة جهة المشرق ، والمسلمون فرحوا بالتحول الجديد ، فأصبح الأمر له ثلاث دعائم ، لنأخذ من هذه الدعائم الثلاث كلمة (البر) في النهاية بعد ذلك ، اليهــود يريدون المغرب والنصارى يريدون المشرق،والمسلمون سروا بالبيت الحرام ، وكل اعتقد صحة وجهته ، ولابد أن يكون الحق في جانب واحد من الثلاثة ، ولن يكون الحق إلا ما أنزله الحق عندما حدد الوجهة ،ومع ذلك خشى أن يكون الأمر مجرد اتجاه إلى مكان ، وليس اتجاها إلى من شمل سلطانه الزمان والمكان، فقال سبحانه ليدخل الفرق الثلاثةفي الآية موجهاالقول إليهم جميعا حتى إلى أصحاب الوجهة الحقة ، وجهة البيت الحرام ، فقد يتجهون هم أيضاً بأجسادهم إلى بناء الكعبة ينحنون ركوعاً ويخرون سجودا ، ولكن الوجهة ليست إلى الله في علاه، والعقيدة غير مصفاة ، ويصبحون بذلك يؤدون الصلاة عادة وليست عبادة ، وهنا لا يصبح الفرق كبيراً بينهم وبين من اتجهوا إلى المشرق أو المغرب ، فلابد من الجهة والوجهة وهنا يكون البر وليس دون ذلك ،

يوجد البر ، فقال عز من قائل : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) فبدأت الآية بنفى جهتى النصــارى واليهود شكلا وموضوعا فبقيت جهة من الثلاث لم تنف إشارة إلى أنها الحقة ، ولكن لينقى حقها من كل كدر ، ألزمت الآية أصحابها بسمات معينة كعقد لؤلؤى رائع إلى آخر كلماتها ، والبر في تفسيره العام هو كل طيب يعتقد به أو يقال به أو يعمل به ، وأول طيب يعتقد به هو بداية ما ذكرته الآية من أمر أهل البر ، (ولكن البر من آمن بالله) والإيمان بالله أمر طيب خفى يظهره قول طيب جلى ذكرته أكثر من آية (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) ، الآية ٢٤ من سورة ابراهيم والكلمة الطيبة هى كلمة التوحيد يترجم بها الأيمان ، وقوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها) الآية ٢٦ من سورة الفتح ، وكلمة (التقوى) هنا أيضا هى كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله ، والإيمان كله هنا ، ومن هذا الكل يتفرع الجزء الذى ذكرته

الآية في بقيتها ، إذاً فكلمة الإيمان وهى الشهادة بالوحدانية ، هى تلك التى أقام الله عليها دنياه وأخراه ، وبغيرها خربت دنيا الناس وأخراهم إذاً فلا بد أن تفهم ليعمر بها المؤمن ما هو فيه وما هو آتيه ، ولا يكفى فيها أبداً ترديد الببغاء ، كما لا يكفى فيها مجرد التعبير المحفوظ من أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق سواه ، وإنما يجب أن نعود بعيداً لنعرف أولا كلمة التوحيد حتى نصل بها إلى ما حفظنا من تعاريف ، فنقول إن الله لمــا خلق البشر لم يبدأ بترهيبهم وإنمــا بدأ بترغيبهم ، لما عرض عليهم في صــورة البشرى الأول ، فأول ما عرض عليه جنته ولم يره ناره ، فوقعت المعصية فيها وتركت الجنة إلى شــقاء الأرض ، وأول ما حدث عليها من إنسان اختار ما يدخل النار (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) الآية ٣٣ من سورة المائدة ، ولما تكونت أول مجموعة بشرية استحقت أن يرسل فيها أول رسول ، ما بدأوا دنياهم إلا بيغوث ويعوق ونسرا ، ومن هنا عرفنا لماذا بدأت كلمة

التوحيد بالكفر قبل الإيمان (لا إله) من هذا كله ، لا شيطان تعبد بطاعته عندما ينزغ ، ولا للهوى تتبع حتى تقتل ، ولا ليغوث تدين بالضلال المبين ، انطق أولا بالكفر بما عدا الله ، فلا إله من هذ اكله ، إلا الله خالق هذا كله ، فأنت نظفت القلب أولا مما عدا الله ، ثم ملأته بالإيمان بالله ، فلم يعد فيه فراغ لسواه ، فيصبح بعد ذلك لا معبود بحق سواه ، وتكون قد أدركت بوضوح معنى (لا إله إلا الله) ، فهو وحده الذى يجب أن يعبد من كل خلقه ، (واليوم الآخر) ، ولم يقل : واليوم الثاني ، لأن الآخر هو الذى لا ينتهى حقيقة أو ذكرا فلا شيء يخلفه ، أما الثاني قد يكون بعده ثالث وهكذا ، فالآخرة حياة بعد موت ليس فيها موت (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) الآية ٥٦ من سورة للدخان والإيمان يقتضى التصديق بالخروج من الحدث إلى حياة لا تنتهى ، (والملائكة) وهم سكان السماء المكرمون ، ومنهم كثير ينزل إلى الأرض لأعمال هم بها مكلفون (والكتاب) يشمل هنا كل كتاب أوحى به وليس القرآن فقط (والنبين) سواء من نزل عليه كتاب وكلف بشريعة ، أو من وقف أمره عند النبوءة ، وعند هذا القدر من الآية نقول ، إن البر بدأ بالإيمان بالله وهو سبحانه الغيب الأعظم ، ادخر رؤيته البصرية في الآخرة لمن آمن به في الدنيا غيبا مكتفيا بعجائب صنعه ومعجزات رسله ، فآمن تبعا لذلك بكل غيب أخبر عنه ، فالملائكة غيب لم يرهم الناس إلا النذر الموحى إليه ، والكتب غيب لم يدرك حقيقة نزولها إلا من نزلت عليهم ، والصلة بين النبيين وربهم غيب لا تلمس ولا تتصور ، فالإيمان بهذا الغيب هو ملء القلب بضياء المعرفة ، فتبدأ الآية عندئذ بوضع الصفات التالية من صورة البر على تلك الركائز الراسخة، الراسية رسو الجبال أو أو أشد في قلب الذى عرف ، (وآتي المال على حبه) ، فالإنسان لا شيء أعز عليه بعد روحه من المال ، بل كثيرا ما كنت أسمع من يقول : المال عديل الروح، والمال هنا يشمل كل ما يميل إليه الإنسان ، من ذهب وفضة وأنعام وحرث ، وللمفسرين

عندئذ رأيان ، لأن إيتاء المال ذكر هنا ، وإيتاء الزكاة سيذكر بعد في نفس الآية ، فقيل عن إيتاء المال هنا هو نفس إيتاء الزكاة وإنما الذكر الأول للايتاء هو أوجه الصرف ولمن تعطى ، وقيل إن القصـــد هو الحق الذى في المال سوى الزكاة المفروضة ، بل ورأى ثالث استنبط من (الصدقة على القريب صدقة وصلة ، (ذوى القربي) وتبع ذلك في الترتيب (واليتامى) فاليتم قطع أليم لحنو عظيم بالقلب واليد كان يمد لليتيم قبل أن يأتم بموت أبيه ، ومد المـــال إليه بعد ذلك امتداد لجزء عظيم كان قد انقطع عنه باليتم لما مات العـــائل (والمساكين) ، وكلمة المسكين تعبير عن الذى أسكنته وأذلته الحاجة ، فانزوى وانطوى على همه ، فيحوله الإيتاء من أهل السخاء إلى إنسان متحرك متصل بالمجتمع ، يعمل معه أخذا وعطاء بالمال الذى أوتيه (وابن السبيل) ، سالك الطريق إلى غاية لم يبلغها لنفاد ما يبلغه ، فيعينه ما أعطيه على إدراك مقصده والاجتماع بمطلوبه ليفرح ويسر بعد غربة ، وانقطاع ووحشة ، (والســـائلين) ، ولو كانوا على جياد مسومة وتعلوهم ثياب مطرزة ، ما داموا مجهولين وليسوا معروفين بالاحتراف للسؤال ، فقد تكون طارئة كبرى ونازلة عظمى حلت بهم فأتربت أيديهم ، وبقى عليهم أثر نعمة ذهبت ، فلا يجوز تعنيف السائل على مظهر يبدو منه عدم حاجته إلى السؤال (قول معروف ومغفرة خـــير من صدقة يتبعها أذى) آية ٢٦٣ من سورة البقرة ، (وأما السائل فلا تنهر) آية ١٠ من سورة الضحى ، وما أبعد الفرق بين اليد التى أعطت واليد التى أخذت (اليد العليا خير من اليد السفلى) والخيرية هنا على لسان الصدوق صلى الله عليه وسلم تشمل الدنيا والآخرة ، ففى الدنيا يدا كتفت واغتنت وعزت ، فامتدت لتعطى وليس لتأخذ ، ويد افتقرت واحتاجت فأمدها الفقر لتأخذ لا لتعطى ، وفي الآخرة أجرت اليـــد التى أعطت لأنها شكرت ، والثانية لا أجر لها على ما أخذت ، بل قد تعاقب إذا كانت امتدت مستمرئة سهولة السؤال عن السعى الحافظ لماء الوجه ، أما المؤتي فهو بنيته يثاب على كل حال (وفي الرقاب) . وهنا تقدير تفسيرى بين « في » و « الرقاب » ، أى (وفي

فك أو إعتاق الرقاب) المسلوبة الحرية ، من عبيد وإماء وأسارى ، كأن يعتق ما يملكه من عبد أوأمة تاركا ثمنهما صدقة لله ، أو يشترى الرقاب ويعتقها كما فعل أبو بكر رضى الله ، أو يفتدى الأسير ليطلق من إساره ، ولكن لنا وقفة عند كلمة الرقاب ، فقد جهل علينا الجاهلون لما قالوا إن الإسلام يدعو أن يملك الإنسان أخاه الإنسان كما يملك شاة أو بعيرا ، وما من وصف يليق بهم إلا أنهم أعداء جاهلون كما قلت ، وها هى كلمات الآية تخزيهم وتغشى أعينهم ، فهى هنا لا تأمر بفك الرقاب فقط وإنما تفهم المؤمن بالله أنه لا يتم له الإيمان ويحوز صفات البر إلا إذا كان من المخلصين للعبيد من عبوديتهم ، حسية أو معنوية ،ولقد أعلنها الإسلام حربا غليظة لما جاء ووجد مصيبة الرق وتجارته تملأ فجاج الأرض كما يتاجر في الخراف والحمير ، بل وجعل من ألزم الكفارات إذا وقعت المعصية من المؤمن أن يعتق رقبة إذا أحب أن يسارع إلى المغفرة ومحو الذنب ، فالمظاهر من زوجته يلزم بعتق رقبة ولا يقبل منه ما دون ذلك إلا إذا كان لا يملك رقابا ، ونفس الأمر للمفطر في رمضان ، وللواقع في يمينه ، وهكذا ، بل من غيرهذا وذاك جعل الله تعالى من أعظم القربات إليه عتق الرقاب ، إن المتخرصين علينا قد علموا ذلك وعموا عنه ، فهى العداوة للاسلام ولا شيء غير ذلك ، لقد قضينا على الرق كما أمر ديننا ، وهم لا زالوا يتاجرون في الرق ويستعبدون ويستعمرون .

لكن إتيان المال للمجموعة الآنفة من قوله تعالى (وآتي المال على حبه) إلى (وفي الرقاب) وضع لها المفسرون شرط الحاجة من هؤلاء جميعاً إلى المال . أما من ملك المال وبخل به على نفسه فلا يعطى من مال غيره مهما كانت الصلة ، (وأقام الصلاة) ، وإنه وإن كانت الصلاة هى قمة العبادات المؤداة بدنياً بعد رسوخ الإيمان قلبيا ، فإن ترتيبها اللفظى في الآيـــة لا ينقصها عن ترتيبها المعنوى الثابت لها على كل العبادات ، لأن الآية ذكرت الأمور التى يتكون منها البر على صورة

أقسام ثلاثة ، كل قسم يضم مجموعة متحدة الغاية ، فالمجموعة الأولى غايتها رسوخ اليقين في صدر المؤمن إلى قوله تعالى : والنبيين ، ومجموعة القسم الثاني تنظيم المجتمع الإسلامي وإحكام صلته ببعضه ليتآخى فيستقر ويأمن وذلك من قوله سبحانه : (وآتي المال على حبه إلى . . وفي الرقاب) ، والقسم الثالث في آخر الآية غايته صقل النفس والتسامى بها لتتم لها السعادة بالعبادة الموجودة في هذه المجموعة ، وبدأ سبحانه هذه المجموعة بإقامة الصلاة ، ونلاحظ هنا أنه سبحانه لم يقل هنا ، وصلى ، أو : أدى الصلاة ، لإن الذى يحرك جسده بالصورة المعروفة للصلاة ، يكون قد صلى أو أدى الصلاة ، ولو لم يتم ركوعها ولا سجودها ، ولو جمعها جميعها آخر النهار **وفعلها** جملة واحدة يكون قد صلى أو أدى الصلاة ، ولو صلاها في بيته وليس مع الجماعة يكون قد صلى أو أدى الصلاة ، وهكذا ، ولكنه في كل هذه الحالات لا يكون قد أقام الصلاة ، وإقامتها شرط في قبولها ، ولهذا كانت الآيات التى تحدثت عن الصلاة في القرآن من النذر ألا تذكر معها كلمة (إقامة) أو ما يشتق منها ، فتجدها بالماضى (وأقام الصلاة) وبالمضارع (ويقيم الصلاة) وبالأمر (وأقم الصلاة) وباسم الفاعل (والمقيمين الصلاة) ، وقد لخص تفسير الإقامة في أربع ؛ أن تؤدى في أول وقتها وأن تكون مع الجماعة في المسجد ، وأن تكون تامة كاملة الأركان قراءة وركوعا وسجودا وخشوعا ، وألا تصاحبها المعاصى التى تضيع ثوابها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) هذه الأربعة هى ما تقام بها الصلاة كما أمر الله تعالى ، وبغيرها تكون صلاة ولا تكون إقامة صلاة ، يراه الناس يصلى وقد لا يراه الله كذلك (وآتي الزكاة) ، سبق في المجموعة الثانية قوله تعالى : (وآتي المال) ، فإيتاء المال إطلاق ، وإيتاء الزكاة تقييد ، وأخذ ذلك من إجبار الدابة على قيدها في مكان أمانها ، وعندما يؤدى القصد من القيد حيث لا خوف على الدابة فتطلق لتزداد حركتها داخل الحظيرة وخارجها ، فالزكاة قيد يلزم به المؤمن أولا حسب القدر

المقرر بالشرع ، فإن آتي المال على حبه بعد ذلك – كما ذكرت الآية آنفا قبل ذلك – فهو من سمات البر ومتمماته ، ولقد سبق إيتاء التطوع قبل إيتاء الفرض ليعلم والله أعلم أن الزيادة في الخير وإن لم تفرض لها عند الله قدرها العظيم ، فيعطيها المؤمنون السابقون في الخيرات أهمية الفرض طمعاً فيما عند الله تعالى من جزيل الأجر وعظيم المثوبة ، فمجتمع يكون على هذه الصورة وقد اتبع توجيهات السماء وسارع إلى العمل بها لا يمكن إلا أن يكون مجتمعا سعيدا رغيدا ، وهل يمكن أن يكون لكيد الملحدين وسموم الشيوعيين مغمز يشيعون أو مدخل يلجون ، لكن لما منع مجتمعنا اليوم زكاة الله منعوا تبعا لذلك من باب أولى إيتاء المال فيما سوى الزكاة ، حيث أحضرت الأنفس الشح مع زيادة المال لدى الأغنياء في هذا الزمان ، لقد أصبح المجتمع الأسلامي اليوم فريقين ، فريق بات فيه الثراء دولة بين الأغنياء وفريق بات الثرى مأواه يتقلب عليه جوعا ومناما ، لأن الفريق الأول قطع مدد الله المفروض عن الفريق الثاني ، فانقطعت الصلة ونبت البغض وأصبح نداء المعدة لدى الجائعين الضائعين هو النداء الملبي دون النظر إلى مصـــدره ولو كان نداء إلحاد أو ارتداد ، والمسلمون هم السبب ثم يتباكون إذا استشرى الداء ، فلا فرض أدوه ولا مستحب فعلوه فجنوا شر مخالفة الكتاب ومحافاة السنة بما نحن غارقون فيه اليوم وبما هو معروف للكل وإلى الله المشتكى .

(والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) ومشكلة الوفاء بالعهود والوعود في مجتمع مسلمى اليوم أمر آخر نتج عن تركه وعدم الوفاء بما يقال أو يتعهد به على مستوى الفرد والمجموع والحكام ، أننا أصبحنا نعيش في بحر متلاطم قوامه عدم الصدق وفقدان الثقة وسوء الظن وعدم اطمئنان النفس إلى غيرها ، حتى الوعود والعهود المكتوبة يتلاعب بها ويتحايل على نقضها ، ويدخل في ذلك مواثيق المنظمات ومعاهدات الحكومات ، ذلك لأن الأصل الملزم للوفاء بالعهد لم يعد موجودا في الصدور ، وهو خشية الله وخوف عقابه إذا وقع

خلف الوعد أو خيانة العهد . وإنما ديدن اليوم أن يظل الوفاء ما ظل النفع الذاتي أو الخوف من ضرر يتوقع ويصبح العهد هباء إذا لم يخش من نقضه ضرر لدنياه ، ولا على باله شيء من سوء عاقبة حتى يحيق المكر السيء بأهله ، وعندها فقط يتذكر العهد بعد فوات الوقت

(والصابرين في البأساء) ، قالوا عن البأساء أصلا إنه الفقر الشديد، على أنه المذل للنفس الإنسانية والمهين للكرامة البشرية بأكثر مما عداه مما يصاب به الإنسان ، ولكن يدخل في البأساء أيضا كل ما تبتئس به النفس وتكتئب فيما بعد الفقر الذى هو أشد ما يحزن ويبئس . فلا تجوز لمن يبتئس أن ييأس ، فالحياة قلب وأيامها دول ، وعليه أن يعتقد ــ والصبر الجميل ستر مسدول عليه ــ بأن الله سيجعل بعد عسر يسرا ، وأن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، ولن يغلب عسر يسرين ، لكن أقول والأسف شديد إن ضيق الصدر وضياع الصبر في مجتمعنا الحالى أصبح هو المهيمن على تصرفاتنا ، وكأننا نريد أن نخضع الدنيا لهوانا وميلنا ، ونسينا أن ما عسى أن نكرهه قد يكون خيرا لنا وأن العكس أيضا قد يكون ولماذا نذهب بعيدا في التدليل بعدم الصبر ، ونحن الآن في منى نعيش التجربة كاملة ، أرأيتم ما يفعل الناس عند الجمرات أثناء الرجم ، هذا يدفع هذا ، وهذا يسيء إلى هذا بلسانه أو بيده ، واستعملت القوة البدنية وسط هذا الزحام لزيادة آلام الناس وعنائهم ، وأكثر ما وقع بهم الحيف أهل الضعف من النساء والعجزة والمرضى وكبار السن ، هل هذا هو الصبر في أعظم المواقف الذى يمتحن فيه أهل الإيمان ويظهر منهم حقيقة الصبر ليعظم لهم الأجر؟ وإذا تعرضنا لما يحدث عند الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة لقلنا كثيرا مما ترونه جميعا معى ، بل إن عدم الصبر مع فريضة الصبر هذه وهى فريضة الحج يظهر جليا على كثير من الحجاج وهم جلوس داخل خيامهم ، فتراه ناقما لأنه ما تصور وهو في بلده مرفه مدلل أنه سينام في ظل قطعة قماش وأن الرمل هو الفراش ، وأنه لو استطاع أن يرسل في استدعاء

قصره المشيد بفراشه الطرى الرخى لفعل ، وما خطر في باله أن الحج يقوم على مشقة يصبر عليها الرجال المبتغون المثوبة من الكبير المتعال ،

(والضراء) والأغلب في تعريفه أنه المرض ، فأكثر ما يتضرر به الإنسان الأوجاع وفقدان صحة البدن، ولكن ذلك أيضا لا يمنع كما قلنا من التضرر بغير المرض من ابتلاءات الله كما يشاء والتى لا ترياق لها إلا الصبر المحتسب ، (وحين البأس) . وقت القتال حينما ينادى بخيل الله لتركب ، وهو رمز عسكرى في الماضى ، وما يشبهه اليوم ومستقبلا مما يستنفر به الرجال لإذلال حزب الشيطان . (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية ١٤ من سورة التوبة . والقرآن زاخر بآيات البطولة والرجولة والعزة والركض إلى حيث النداء وكرامة الشهداء ، سيرة في الدنيا عطرة وفي الآخرة عظمة ، هكذا كنا يوما فخرت أعناق الطواغيت تحت نعالنا ، ودانت الجبال الشم لعزائمنا ، ونظرة الرضا من الله في الآخرة لجنده هؤلاء شيء مستحيل وصفه ، فماذا دهانا اليوم وا أسفاه ، فقنا النمل عددا وتمزقت أوصالنا بددا ، وطمع فينا وفي قدسنا عدو ضربت عليه الذلة ، وما سمعنا في دنيانا بقدر ما بلغنا عن خبرها منذ وجدت أن لأهل التيه مكان دائم ، وأن لهم دولة وأرضا ، إلا لما أبطلنا آيات الجهاد وأوقفنا أسوة الرسول الذى سير ستين سرية وقاد بنفسه سبعة وعشرين جيشا وقاتل بنفسه في تسع منها ، نعم قامت لليهود أعداء ربهم وقتلة أنبيائه ومبغضوا أوليائه دولة ، ودولة اقتطعت من أكبادنا ، حدث ذلك لما نسينا الله فنسينا بتسليط أحقر خلقه وتمكينهم منا ليذيقنا وبال أمرنا ، فهل من صلح مع الله وقد رأينا نذره وما أمسينا فيه ، عسى أن يصلح أمرنا ويعيد إلينا عز أيامنا ؟ . . (أولئك الذين صدقوا) ، والصدق هنا وعلى عمومه يشمل ثلاثة جوانب ، صدق الاعتقاد وصدق القول ، وصدق العمل ، ونحن المخلوقين لا ندرك من غيرنا صحة الاعتقاد ، فالقلوب يعلم ما بها العليم بذاتها ، أو قد نتصور صدق

المعتقد بقسم منه قد يصدق فيه وقد يكذب ، ولكن الصدق في الآية هنا وصف من الله للذين عملوا بجوانب الخير المذكورة فلابد أنهم صادقون لما وصفهم الله بالصدق العليم بصدورهم ، وصدق القول أظهر لنا من صدق الاعتقاد ، حيث نستطيع مطابقة الخبر القولى للواقع العملى ، ولكن ذلك يمكن أن يخالف ، فقد يكون حريصا على صدق قوله أمام الناس ، وقد يكون عكس ذلك إذا غاب عنه الناس ، لكن صاحب الصفات التى في الآية لما وصف بالصدق من ربه فيصبح بالتأكيد صادقا أمام الناس أو في غيبتهم ، والصادق في العمل أمامنا قد يكون قصده مراءاتنا أيضا لنثنى عليه ، حيث لا يرى إلا في مواضع الخير وأماكن التقوى ، ولكن لا ندرى هل كان ذلك أمام الله أم لا ؟ لكن في هذه الآية العظيمة ، لما أصبح من أهلها ووصفه منزلها بالصدق ، فهو إذاً باليقين صادق العمل ، ومن هنا لما جمع جوانب الصدق الثلاثة يكون جمع الأسس الثلاثة جميعها التى في الآية (١) ، الاعتقاد القائم على الإيمان بالغيب فلا يشرك ولا يشك ولا يسأل(٢) ، أخوة المجتمع الإسلامى القائمة على الترابط والتعاون على البر(٣) ، تزكية النفس والتسامى بها ابتداء بالصلاة فما دونها من بقية العبادات وهنا نفى عن نفسه صورة البر الزائفة بوجهة المادة إلى المشرق أو المغرب دون جهة الروح المفصلة في الآية المجيدة ، وأحلى وأجمل ما حمله معه المتصف بهذه الآية هو ختامها لما أسبغ عليه نعمة التقوى ظاهرة وباطنة ، فأصبح سلوكه سلوك الربانيين وهذا أعلى منازل العباد عند الله بعد الملائكة والأنبياء

هذا إيجاز موجز في معنى آية واحدة من كتاب الله ، وقد تعرض للحديث عنها كثير من العلماء في كتيبات وكتب منفصلة حتى وصل بعضهم في الكلام عنها إلى كتاب مستقل بلغت صفحاته خمسمائة صفحة ، فما بال القرآن كله إذاً ؟ . . سبحان من جعله كما قال عنه مخاطباً نبيه الذى أنزل عليه وجعله به خير عباده (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) . . « سورة النحل آية ٨٩ » »

والمقصود بقوله تعالى (لكل شيء) كل شيء شمل الدنيا التي ستنتهى والآخرة التي لا تنتهى ، هكـــذا فهمه الكرام الأعلام السابقون من أهل هذا القرآن ، واليوم ما أمره عند من ينتسبون أو يدعون الانتساب إليه ، إننى أستطيع القول بلا أقل تحرج ، إن قوله تعالى على لسان رسوله في بداية ما نزل القرآن : (وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) « سورة الفرقان : آية ٣٠ » .. يمكن أن تقال هذه الآية حرفا ومعنى ، وإلا فمن يجيبنى عن هذه الأسئلة ؟ كم حاكم مسلم الآن ينفذ حكومة القرآن ؟ كم فرد من المسلمين اليوم يحفظونه والنذر الذى حفظه كم منهم فهمه ، والأكثر ندرة من الذى فهمه هل على نفسه طبقه ونفذه ؟ . . إن الذى بقى من القــرآن الآن مقرئو المآتم والإذاعات والحفلات يتاجرون به ويشترون بآياته ثمناً قليلا ، وقراءتهم إلى الغناء والتلحين أقرب ، ليشدوا أسماع الجهلاء بحسن النغم وليس بحسن المعنى ، والذى بقى من القرآن الآن آلاف من النسخ المطبوعة المكدسة في المساجد وفي المكاتب للغبار والفئران والأرضة ، والذى بقى من القرآن الآن قراءته على القــبور واستعماله للاستجداء والسؤال ، والذى بقى من القــرآن الآن جعله للشــعوذة والأحجبة خوفا من المرض وا لحسد ومس الجن في اعتقاد البلهاء المستدرجين والذى بقى من القرآن الآن كتابة بعض آياته على حلى النساء وخواتم الاصابع للرجال والنساء وفي غمرة الجنابة والحيض والجماع ودخول المراحيض وإزالةالبرازوالبول بالأيادى المكتوب عليها اسم الله وآياته ، كل هذا وأكثر منه يحدث من الذين يقولون إنهم أمة القــرآن المؤمنون بمنزله سبحانه ومبلغه صلى الله عليه وسلم ، يحدث منهم هذا بهذه الصورة المجرمة الوقحة **ولا** يستحون معها أن يقولوا إننا مسلمون ونؤمن بكتاب الإسلام ، ولم لايكون من أمتنا ذلك ولم تبال حكوماتهم في برامج تعليمها على اختلاف مراحله بكتاب الله ، لا تحفيظا ولاتفهيما ولاعلومه المستخرجة منه إلا بعض جامعات وسط هذا الخضم المتلاطم من الجهل والنعيق مما لا يسمع إلابالانحراف والإرجاف فهل من غيورين محزونين على ما أمسى فيه كتاب الله من ترك وتجاهل

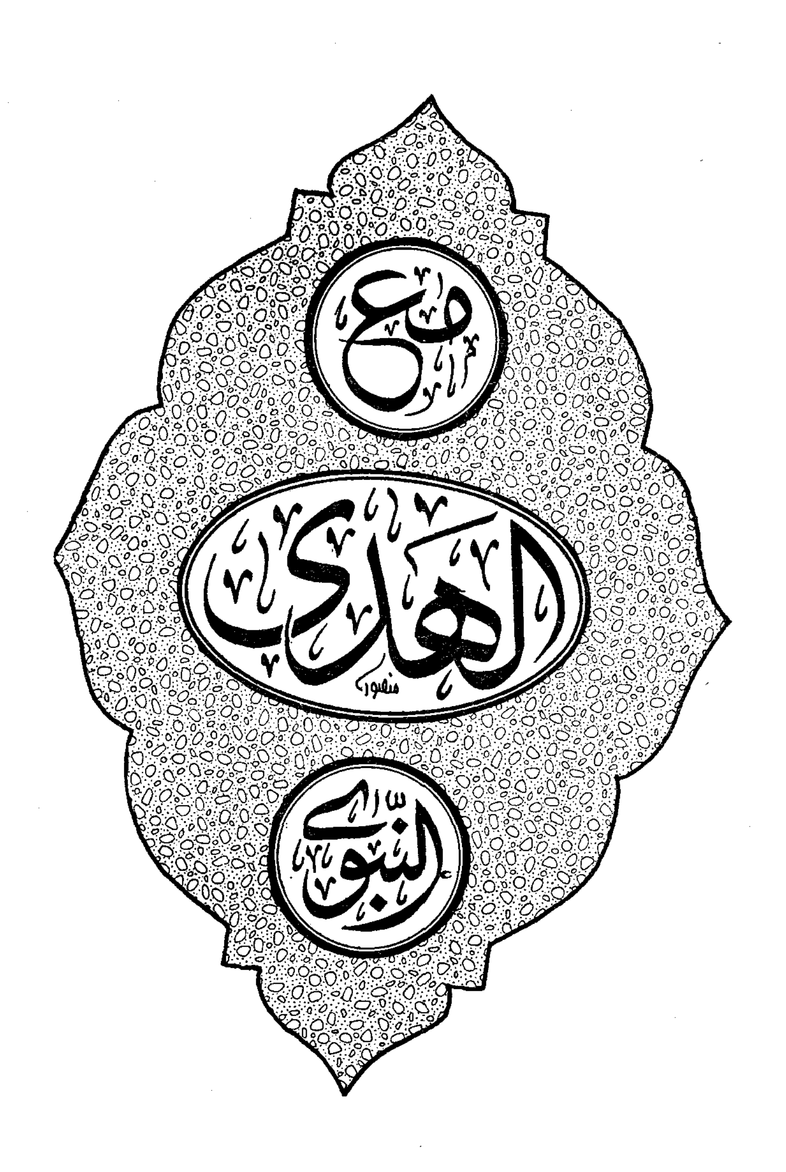
وإهمال فيتعاونوا على إعادة عصر القـرآن الذى كان يهيمن فيه على كل تصرفات المجتمع بأسره صغارا وكبارا ، فقد حـدث أن كان الأصمعى رحمه الله يمر في طريق فوجد كما قال : صبية خماسية أو سداسية العمر تجلس أمام بيت أهلها وهى تردد : (أستغفر الله لذنبي كله ، انقضى الليل ولم أصله) ، فقال لها الأصمعى : أصغيرة لم يجر عليك قلم بعد في السماء ، وتستغفرين الله بهذه الفصاحة ؟ فقالت الصبية : وأين هذه الفصاحة من آية قصيرة في كتاب الله لم تزد عن السطرين ، اشتملت على خبرين (تقصد الأخبار البلاغية) وأمرين ، ونهيين ، ويشارتين

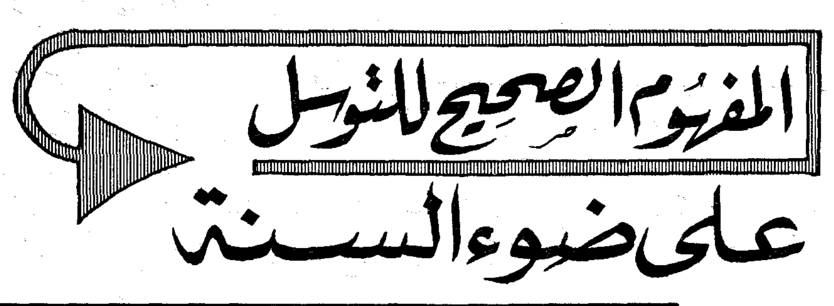
فازداد الأصمعى غرابة وعجبا من حديث الصبية ، وسألها عن هذه الآية وما تحويه من الأمور الأربعة التى ذكرتها ، فقالت : الآية هى قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) (سورة القصص رقم ٧) . والخبر الأول فيها يفيد الوحى (وأوحينا إلى أم موسى) والخبر الثاني يفيد الخوف (فإذا خفت عليه) والأمر الأول (أرضعيه) والأمر الثاني (فألقيه في اليم) والنهى الأول (ولا تخافي) والنهى الثاني (ولا تحزني) والبشارة الأولى (إنا رادوه إليك) والبشارة الثانية (وجاعلوه من المرسلين) . فسر الأصمعى من قول الصبية أيما سرور وقال : تعلم الأصمعىالذى يدعى أنه يعلم الناس من صبية في عمر أحفاده .

هذا أمر وقع في حقبة من احقاب عصر من عصور أضاءت بنور القرآن شملت الصغير والكبير ، واليوم لا يعرف شيئا عن القرآن صغير ولا كبير إلا من كان في هذا الزمان كالنواة مع القطمير ، فأصابتنا المذلة لما هجرنا كتاب العزة إلى خصوم هذا الكتاب (أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) سورة النساء آية ١٤٠ فهل من عودة إلى القرآن لنعود غالبين بعد أن أصبحنا مغلوبين نعم باعتقاد أكيد (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز) سورة قد سمع آية ٢٢ .

وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

عبد الفتاح عشماوى
المعهد الثانوى


مع
الهدى
النبوي



المفهوم الصحيح للتوسل على ضوء السنة

لفضيلة الأستاذ حماد بن محمد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد . . فقد اطلعت على رسالة صغيرة كتبها شخص باسم عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني وسماها (اتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء) يدعو فيها الى التوسل بذوات الصالحين مستدلاً على دعواه فيها بخمسة أحاديث مرفوعة وبخمسة آثار موقوفة ، وعقب على كل واحد منها بأنه صحيح ، وأنها دالة كلها على مرامه . .

هذا وقد ألفت رسائل كثيرة في الرد على مثل هذه الرسالة ، منها قاعدة التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وصيانة الانسان عن وسوسة الشيخ زيني دحلان للشيخ السهسواني ، وغاية الأماني في الرد على النبهاني للالوسي ، ومنهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس للشيخ عبد اللطيف ، وتأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس لابابطين النجدي ، ومصباح الظلام في الرد على ابن منصور للشيخ عبد اللطيف وغير ذلك كثير .

فمشاركة لهؤلاء الأعلام في الذب عن السنة المطهرة وحفاظا على العقيدة السلفية من أن يعبث بها كل لاعب رأيت من الواجب على بيان الحق نحو الأخبار ولآثار

التى لبس بها الغمارى على العامة فوضعت قلمى على هذه الأوراق مستعينا بالله وحده، فاذا تلك الأخبار والآثار على قسمين، قسم دال على مرامه ولكنه ضعيف جدا أو موضوع، وقسم خارج عن الموضوع على فرض صحته، وقد قدمت الكلام على الأحاديث المرفوعة التى ساقها في رسالته الصغيرة التى تقدمت الاشارة اليها. وكذلك ما ساق في أصل رسالته هذه ثم قفيته بالكلام على ماأورده من الآثار الموقوفة، وسميت هذه الرسالة (بتحفة القارى في الرد على الغمارى) فاليك أيها القارىء أدلة الغمارى التى لا تنطلى إلا على الأغمار لأنك إذا نظرت إليها تجد أن أسانيدها كلها لاتخلو من كذاب أو متهم بالكذب متروك الحديث أو مجهوله تنقطع أعناق الابل دون أن يعرف. إضافة إلى أنه أورد فيها حديث عمر في الصحيحين وحديث الأعمى في السنن مع انهما خارجان عن الموضوع، كما ستقرؤه إن شاء الله في محله.

١ – الحديث الأول من أحاديث الغمارى قال: أخرج الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنهما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمى، كنت أمى بعد أمى تجوعين وتشبعينى وتعرين وتكسينى وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينى تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذى فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها اياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه وقال الله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضى الله عنهما. قال: قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح، وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف. قال فالحديث صحيح وله طرق، منها عن ابن عباس عند أبي نعيم في المعرفة والديلمى في مسند الفردوس بإسناد حسن كما قال الحافظ السيوطى، انتهى كلام الغمارى. قلت: قال الحافظ ابن حجر في اللسان: إن روح بن صلاح ذكره

يونس في تاريخ الغرباء وقال هو من أهل الموصل قدم مصر وحدث بها . رويت عنه مناكير . قال الدارقطني : ضعيف في الحديث . وقال ابن ماكولا : ضعفوه ، سكن مصر . وقال ابن عدى بعد أن أخرج له حديثين : وله أحاديث كثيرة في بعضها نكرة ، وقال الذهبي في الديوان : روح بن صلاح عن ابن لهيعة قال ابن عدى ضعيف. وقال السهسواني في الصيانة : روح ضعيف ضعفه ابن عدى ، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال ، كما في فتح المغيث للسخاوى ، ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات فإن قاعدته معروفة من الاحتجـاج بمن لا يعرف كما في الميزان ، وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه فإنه داخل في القسم المتسمح قال السخاوى وقسم متسمح كالترمذى والحاكم . وقال السيوطى في التدريب وهو متساهل فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحا ولا تضعيفا ، حكمنا بأنه حسن الا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه .

وقال البدر بن جماعة والصواب أنه يتتبع ويحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحة ، ووافقه العراقي وقال إن حكمه عليه با لحسن فقط تحكم . فقول الحاكم وابن حبان عند التعارض لا يقام له وزن حتى ولو كان الجرح مبهما لم يذكر له سبب ، فكيف مع بيانه ، كما هو الحال في ابن صلاح هذا ، فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيفه ، وبينوا أن السبب رواية المناكير ، فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكرا لا يحتج به ، فلا يغتر بعد هذا بتوثيق من سبق ذكره إلا جاهل أو مغرض .

فحديث أنس هذا الذى تبين أنه ضعيف أوهم الغمارى أنه صحيح بتمسكه بتوثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح ، وقد بينا ضعفه وعدم اعتداد العلماء بتوثيق المذكورين فتذكر . ولم يكتف بهذا التلبيس بل قال عقبه :

ولهذا الحديث طرق منها عن ابن عباس عند أبي نعيم في المعرفة والديلمى في الفردوس بإسناد حسن كما قاله الحافظ السيوطى .

فهذا كذب منه على ابن عباس رضى الله عنهما وربما على السيوطى أيضا فليس في حديث ابن عباس موضع الشاهد من حديث أنس وهو قوله (بحق نبيك والأنبياء الذين قبلى فإنك أرحم الراحمين) .

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه : أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء إجازة بإسناده عن أبي بكر بن أبي عاصم حدثنا عبد الله بن شبيب بن خالد القيس حدثنا يحيى بن ابراهيم بن هاني أخبرنا حسين بن زيد بن على عن عبد الله بن محمد بن عمر بن على عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فاطمة بنت أسد في قميصه واضطجع في قبرها وجزاها خيرا .

وروى عن ابن عباس نحو هذا وزاد فقالوا ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ، قال إنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بي منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر (١) .

وقال ابن عبد البر روى سعدان بن الوليد السابرى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال لما ماتت فاطمة أم على بن أبي طالب ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه واضطجع معها في قبرها ، فقالوا ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ، فقال إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها (٢) .

ورواه الطبراني في الأوسط أيضا بدون هذا الشاهد مثل رواية ابن عبد البر ، وقال الهيثمى وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات (٣) . ولفظه في المجمع عن ابن عباس قال لما ماتت فاطمة أم على بن أبي طالب خلع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها ، فلما سوى عليها التراب قالوا يا رسول الله رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه بأحد ، فقال إني ألبستها قميصى لتكسى من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر ، إنما كانت أحسن خلق الله إلى صنيعا بعد أبي طالب . وليس في هذه الروايات عن ابن عباس ذكر للشاهد الذى تقدم في حديث أنس رضى الله عنه .

٢ – وعند الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك .

---

(١) أسد الغابة ج ٥ ص ٥١٧

(٢) الاستيعاب ج ٤ ص ٣٧٠

(٣) ج ٩ ص ٢٥٧

قلت : قال الهيثمي في المجمع : وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه . وقال الذهبي في الميزان قال ابن عدى عامة أحاديثه غير محفوظة . وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج به بحال ، يروى أحاديث لا أصل لها هكذا في الفوائد المجموعة للشوكاني رحمه الله.

٣ - وعن ابن عباس قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه قال سأل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت على فتاب عليه . . انتهى . قلت : قال الدارقطنى تفرد به عمرو بن ثابت أبو المقدام بن هرمز الكوفي يكنى أبا ثابت وقد قال يحي انه لا ثقة ولا مأمون . وقال ابن حبان : يروى الموضوعات . وقال الذهبي في الميزان : قال النسائى متروك الحديث ، وقال أبو داود رافضى .

وقال عبد الله بن المبارك لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف وفي سؤالات الآجرى أبا داود عنه أنه قال رافضى خبيث وهو المشئوم ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة ، ذكره ابن عراق في الوضاعين وقال عمرو بن ثابت أبي المقدام قال ابن حبان : روى الموضوعات عن الثقات وذكره الفتنى أيضا في قانون الضعفاء وقال متروك .

قال يحي: عمرو بن ثابت لاثقة ولا ثابت ، إن الله تعالى قد بين الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ، فدعا بها هو وحواء بقوله تعالى : (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . وهذا أقوى رد للمتن الذى رواه هذا الوضاع المجوسى الأصل من غلاة الروافض .

٤ - حديث الأعمى عند الترمذى والنسائى في عمل اليوم والليلة وابن ماجه ، وهذا الحديث على القول بصحته فليس فيه متمسك على دعواه لأن الأعمى إنما توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في قاعدة التوسل والوسيلة .

ذكر أن العز بن عبد السلام أوقف القول بجواز التوسل به صلى الله عليه وسلم على صحة هذا الحديث ، ولكنه لا يدل على التوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم بل إنما يدل على التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم للأعمى لقوله صلى الله عليه وسلم

(للأعمى إن شئت دعوت وإن شئت صبرت) ولقول الأعمى في آخر دعائه (اللهم فشفعه في) .

وسيأتي بسط الكلام على هذا الحديث عن قريب إن شاء الله عند الكلام على حديث الطبراني في توسل عثمان بن حنيف .

٥ ـ الحديث الخامس أخرج الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه ثواب الأعمال من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أتعلم القرآن ويتفلت مني ، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين « الحديث » لم يزد الغمارى على قوله في هذا الحديث (وهو ضعيف لضعف عبد الملك ، ولأن فيه انقطاعاً بين أبيه وبين أبي بكر كما قال الحافظ العراقي في المغنى) .

قلت : قصر في البحث أو أراد التلبيس كما هو عادته لأن عبد الملك بن هارون بن عنترة قال السعدى دجال كذاب ، وقال يحي بن معين أيضا كذاب . وقال أبو حاتم متروك ذاهب الحديث . وقال ابن حبان يضع الحديث وهو الذى يقال له عبد الملك بن أبي عمرو . وقال الذهبي واتهم بوضع الحديث ، وكذلك ابن عراق ذكر في الكذابين ما قال السعدى وابن حبان فيه . وقال الفتنى في قانون الضعفاء عبد الملك بن هارون الشيباني كذاب دجال يضع .

وقال الحافظ في اللسان قال صالح بن محمد عامة حديثه عن أبيه كذب ، وأبوه هارون ثقة . وقال الحاكم في المدخل روى عن أبيه أحاديث موضوعة .

وقال أبو نعيم يروى عن أبيه مناكير وأبوه هارون بن عنترة الشيباني الكوفي فقد قال الحافظ في التقريب لا بأس به ، الدارقطنى يحتج به وأبوه يعتبر به وأما ابنه عبد الملك فمتروك يكذب ـ الميزان .

٦ ـ قال الطبراني في الصغير ثنا محمد بن داود بن أسلم السدفي المصرى ثنا أحمد بن سعيد المدني الفهرى ثنا عبد الله بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن

أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذنب آدم عليه السلام الذنب الذى أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال (أسألك بحق محمد إلا غفرت لى) الحديث ورواه الحاكم في المستدرك أيضا قال ثنا أبو سعيدعمر و بن محمد بن منصور العدل ثنا أبو الحسن محمد بن اسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى ثنا اسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر به ففى هذا الحديث آفات كثيرة سكت عنها الغمارى لأنها لا تتلاءم مع غرضه من التلبيس . منها ان الذهبي قال في الميزان عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهرى روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبرا باطلا فيه : يا آدم لو لا محمد ما خلقتك . قال في تلخيص المستدرك بل هو موضوع وعبد الرحمن واه .

وقال أيضا رواه عبد الله بن مسلم الفهرى ولا أدرى من ذا عن إسماعيل بن مسلمة قال الحافظ في اللسان : لا استبعد أن يكون هو عبد الله بن مسلم بن رشيد وقد ذكره ابن حبان من المتهمين بوضع الحديث ، لا يحل كتب حديثه ، وهو شيخ لا يعرفه أصحابنا وإنما ذكرته لئلا يحتج به أحد من أصحاب الرأى لأنهم كتبوا عنه فيتوهم من لم يتبحر في العلم أنه ثقة وهو الذى روى عن أبي هدبة نسخة كأنها معمولة ، ضبط الخطيب أباه بالتشديد وجده بالتصغير . قلت واسماعيل بن مسلمة هذا صدوق يخطىء ، وفيه أيضا مجاهيل كما قال الهيثمى في المجمع رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم (١) .

وقال الطبراني لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أحمد بن سعيد المدني الفهرى عن عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده (٢) . عبد الرحمن بن زيد ، قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى يقول سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حدثك أبوك عن أبيه أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين ؟ قال نعم . قال محمد بن عبد الله سمعت الشافعى

---

(١) ج ٨ : ص ٢٥٣

(٢) الميزان ص ؟

يقول : ذكر لمالك حديث فقال من حدثك به ؟ فذكر له إسنادا منقطعا فقال اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام ـ انتهى .

وقال في الصارم قال الحاكم أبو عبد الله روى عبد الرحمن عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

وأما عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غير محتج به عند أهل الحديث . قال الفلاس لم أسمع عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه . وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل ضعيف .

وقال عباس الدورى عن يحي بن معين ليس حديثه بشيء . وقال البخارى وأبو حاتم الرازى ضعفه على بن المديني جدا . وقال أبو داود وأبو زرعة والنسائي والدارقطني ضعيف . وقال ابن حبان كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوفات فاستحق الترك . وقال الحاكم أبو عبد الله روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه . وقال ابن خزيمة : عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه . وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني حدث عن أبيه ، لا شيء .

وما ذكرناه في هذا المكان من كلام أئمة هذا الشأن في بيان حال عبد الرحمن وحال الفهرى فيه كفاية لمن له أدني معرفة بهذا الشأن فكيف يسوغ لأحد الاحتجاج بحديث في إسناده مثل هذين الضعيفين المشهورين بالضعف ومخالفة الثقات اللذين لو كان أحدهما وحده في طريق الحديث لكان محكوما عليه بالضعف وعدم الصحة فكيف إذا كانا مجتمعين في الإسناد .

وقال ابن عبد الهادى وإني لأتعجب من السبكى كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذى رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم ولو لا محمد ما خلقتك ، مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف في الإسناد جداً ، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمن ولو كان صحيحا إلى عبد الرحمن لكان ضعيفا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه . وقد أخطأ الحاكم وتناقض تناقضا فاحشا كما عرف له ذلك في مواضع ، فإنه قال في كتاب

الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم وقال ما حكيت عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه . ثم قال في آخر هذا الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندى جرحهم لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة ، فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به فإن الجرح لا أستحله تقليداً والذى أختار لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالراوى لحديثهم داخل في قوله صلى الله عليه وسلم (من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) هذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرك ، وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر جرحه بالدليل وأن الراوى لحديثه داخل في قوله صلى الله عليه وسلم (من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) ثم إنه رحمه الله لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم ، وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره فلذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك ببعيد .

ومن جملة ما خرجه في المستدرك حديث لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في التوسل قال بعد روايته هذا حديث صحيح الإسناد ، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب ، فانظر إلى ما وقع للحاكم في هذا الموضوع من الخطأ العظيم والتناقض الفاحش .

ثم ان السبكى عمد إلى هذا الذى أخطأ فيه الحاكم وتناقض فيه فقلده فيه واعتمد عليه وأخذ في التشنيع على من خالفه فقال : والحديث المذكور لم يقف ابن تيمية عليه بهذا الإسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه ، ولو بلغه أن الحاكم صححه لما قال ذلك يعني أنه كذب . ولنعرض للجواب عنه قال وكأني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوى الحديث ونحن قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم وذكر قبل ذلك بقليل أنه مما تبين له صحته .

قال في الصارم فانظر إلى هذا الخذلان البين وا لخطأ الفاحش كيف جاء هذا

المعترض إلى حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث موضوع فصححه واعتمد عليه وقلد في ذلك الحاكم مع ظهور خطئه وتناقضه ومع معرفة هذا المعترض بضعف راويه وجرحه واطلاعه على الكلام المشهور فيه وأخذ يشنع على من رد هذا الحديث المنكر ولم يقبله ويبالغ في تخطئته وتضليله (١) .

ويقول الغماري عن هذا الحديث الموضوع لا من أجل عبد الرحمن بن زيد وحده قال وفي علمي أن الذهبي تعقبه فحكم بوضع الحديث وأعله بعبد الرحمن المذكور .

وهذا منه غلو ومجازفة فإن عبد الرحمن من رجال الترمذى وابن ماجه وقد أخذ عنه الثقات الأثبات مثل مالك بن مغول ويونس بن عبيد وسفيان بن عيينه ووكيع وغيرهم ، وهو وان كان ضعيفا لم يبلغ به الضعف إلى حد أن يحكم على حديثه بالوضع إذ لم يتهم يكذب بل هو في نفسه صالح كما قال أبو حاتم الرازى : عبد الرحمن ليس بقوى في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا ، وقال في محل آخر هو أحب إلى من ابن أبي الرجال . وقال ابن عدى له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه . وقال ابن خزيمة ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه هو رجل صناعته العبادة والتقشف ليس من أحلاس الحديث ، ثم قال (قلت) وكذا جميع من ضعفه مثل أحمد والنسائى وابن سعد وابن حبان ، إنما ضعفوه لسوء حفظه ولغفلته مع وصف بعضهم له بالصلاح والعبادة .

فملخص ما يقال في حديثه هذا أنه ضعيف فقط ليس بصحيح كما قال الحاكم ولا بموضوع كما قال الذهبي وكيف يكون موضوعا وقد أخرجه البيهقى في دلائل النبوة وهو ملتزم أن لا يخرج في كتبه حديثا موضوعا كما ذكره الحافظ السيوطى في اللالى رادا به على ابن الجوزى إذ أورد في الموضوعات من طريق ابن شاهين حديثا هو عند البيهقى في الأسماء والصفات وبهذا امتازت كتب البيهقى على سائر من يلتزم أصحابها الصحة ، وقد طعن في الحديث ابن تيمية أيضاً كما نقله عنه التقى

(١) الصارم ص ٣١ ، ٣٢

السبكى في شفاء السقام ولم نشتغل برد كلامه لكونه في معنى كلام الذهبي ، انتهى كلام الغمارى الذى إن دل على شيء فإنما يدل على المغالطة إذ تقدم أن عبد الرحمن بن زيد يروى عن أبيه أحاديث موضوعة وهذا الحديث من جملتها .

هذه أدلته المرفوعة على جواز التوسل بذوات الصالحين مع بيان عدم صلاحيتها للاستدلال بها على ما يريد .

الآثار التى دلس بها الغمارى على مطلوبه :

(١) منها ما رواه الحاكم في المستدرك والبيهقى في الدلائل من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمن إلا نصرتنا عليهم ، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يعنى وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد ، إلى قوله (فلعنة الله على الكافرين) ثم قال الغمارى تلبيسا كعادته : هذا إسناد ضعيف لضعف عبد الملك بن هارون .

قلت : قال الحاكم في المستدرك : أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب من حديثه . وقال الذهبي في التلخيص : قلت لا ضرورة في ذلك فعبد الملك متروك هالك لكن للاثر طرق ، فأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريقى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال : كانت يهود بنى قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون الله ، يدعون على الذين كفروا ، يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمى إلا نصرتنا عليهم ، فينصرون ، فلما جاءهم ما عرفوا — يريد محمداً صلى الله عليه وسلم — ولم يشكوا فيه كفروا به .

وأخرج أيضا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان يهود المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة يستفتحون عليهم ويستنصرون ، يدعون عليهم

باسم نبي الله فيقولون : ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذى تنزل عليه الذى وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان .

قلت : هذا الأثر فيه الكذاب عبد الملك بن هارون بن عنترة وقد تقدم الكلام عليه في الأخبار المرفوعة . قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا محمد بن يحيى المروزى قال حدثنا أحمد بن أيوب قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق أنه قال بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله عز وجل من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبسر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا وقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد وإنا أهل الشرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته . فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذى كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشيء نعرفه ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم (فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين) (١) .

قال ابن جرير ثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا ابن إسحاق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، الحديث .

قال حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال كانوا يستظهرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليس كذلك يكذبون .

قال العلائي في المراسيل : الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير كان شعبة ينكر أن يكون لقي ابن عباس وروى عن يونس بن عبيد أنه قال ما رأى ابن عباس قط

(١) الدلائل ص ٤٤ . سورة البقرة

وعن عبد الملك بن ميسرة أنه لم يلقه ، إنما لقى سعيد ابن جبير بالرى فأخذ عنه التفسير، وروى شعبة عن مشاش أنه قال : سألت الضحاك لقيت ابن عباس ؟ قال لا ، وقال الأثرم : سمعت أحمد بن حنبل يسأل الضحاك لقى ابن عباس قال ما علمت ، وقيل له فممن التفسير ؟ قال يقولون سمعه من سعيد بن جبير .

وأما كون اليهود كانوا ينتصرون على العرب فهذا لا يعرف بل المعروف خلافه ، والله تعالى قد أخبرنا بما يدل على ذلك فقال تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) (١) . لم يكونوا بمجردهم ينتصرون على العرب ولا على غيرهم . وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الاسلام ، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذبوه قال تعالى (يا عيسى إني متوفيك) الآية . وقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين) إلى آخر السورة . . وكانوا قد قتلوا يحي بن زكريا وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فأنزل الله تعالى هذه الآيات (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) الآية . وروى محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه قالوا : مما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، كثيرا ما كنا نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله محمدا رسولا من عند الله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات التى في البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) الآيات . ولم يذكر ابن أبي حاتم وغيره ممن جمع كلام مفسرى السلف الا هذا ، وهذا لم يذكر فيه السؤال به أحد من السلف بل ذكروا الأخبار به أو سؤال الله أن يبعثه فقد روى ابن أبي حاتم عن أبي رزين عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : (وكانوا من قبل

---

(١) السورة

يستفتحون على الذين كفروا) قال يستظهرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك يكذبون .

وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) قال كانوا يقولون إنه سيأتي نبي (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وروى باسناده عن ابن اسحاق ثنا محمد بن أبي محمد قال أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته ، فقال سلام ابن مشكم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله) الآيات .

وروى باسناده عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركى العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم ، فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به ، حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وأما الحديث الذى يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت اليهود فعاذت بهذا الدعاء (اللهم انا نسألك بحق محمد النبى صلى الله عليه وسلم الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فأنزل الله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه وقال : أدت الضرورة إلى اخراجه ، وهذا مما أنكره عليه العلماء فان عبد الملك بن هارون من أضعف الناس وهو عند أهل العلم بالرجال متروك بل كذاب . وقد تقدم ما ذكره يحيى بن معين وغيره من الأئمة في حقه . قلت : وهذا الحديث من

جملتها ، وكذلك الحديث الآخر الذى يرويه عن أبي بكر كما تقدم في الأحاديث المرفوعة .

ومما يبين ذلك أن قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية إنما نزلت باتفاق أهل التفسير والسير في اليهود المجاورين للمدينة أولا كبنى قينقاع وبنى قريظة والنضير ، وهم الذين كانوا يحالفون الأوس والخزرج وهم الذين عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ثم لما نقضوا العهد حاربهم فحارب أولا بنى قينقاع ثم النضير وفيهم نزلت سورة الحشر . ثم بنى قريظة عام الخندق فكيف يقال نزلت في يهود خيبر وغطفان فان هذا من كذب جاهل لم يحسن كيف يكذب

ومما يبين ذلك أيضا أنه ذكر فيه انتصار اليهود على غطفان لما دعوا بهذا الدعاء ، وهذا مما لم ينقله أحد غير هذا الكذاب ، ولو كان هذا مما وقع لكان مما تتوفر دواعى الصادقين على نقله ، . . انتهى (٢١ ص ٨٦) . .

وأما قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية ، فكانت اليهود تقول للمشركين : سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم لم يكونوا يقسمون على الله بذاته ولا يسألون به بل يقولون اللهم ابعث هذا النبي الأمى لنتبعه ونقتل هؤلاء معه . هذا هو النقل الثابت عند أهل التفسير وعليه يدل القرآن الكريم فانه تعالى قال (وكانوا من قبل يستفتحون) والاستفتاح الاستنصار وهو طلب الفتح والنصر ، فطلب الفتح والنصر به هو أن يبعث فيقاتلون معه بهذا ينصرون ، ليس هو باقسامهم به وسؤالهم به إذ لو كان كذلك لكانوا كلما سألوا أو أقسموا به نصروا ، ولم يكن الأمر كذلك بل لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نصر الله من آمن به وجاهد معه على من خالفه . وما ذكره بعض المفسرين من أنهم كانوا يقسمون به أو يسألون به فهو نقل مخالف للنقول الكثيرة المستفيضة المخالفة لهذا النقل وقد ذكرنا طرفا من ذلك في دلائل النبوة . وفي كتاب الاستغاثة الكبير ، وكتب السيرة ودلائل النبوة والتفسير مشحونة . بمثل هذه النقول الكاذبة قال أبو العالية وغيره : كان اليهود إذا استنصروا بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركى العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي صلى الله عليه وسلم الذى نجده مكتوبا عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولفظ الآية إنما فيه « كانوا يستفتحون

على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » وهذا كقوله تعالى « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » والاستفتاح طلب الفتح وهو النصر ، ومنه الحديث المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين أى يستنصر بهم أى بدعائهم كما قال « وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم بصلاتهم ودعائهم واخلاصهم » ، وهذا قد يكون بأن يطلبوا من الله تعالى أن ينصرهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان بأن يعجل بعث ذلك النبي إليهم لينصروا به عليهم لا لأنهم أقسموا على الله وسألوه به ، ولهذا قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

فلو لم ترد الآثار التي تدل على أن هذا معنى الآية لم يجز لأحد أن يحمل الآية على ذلك المتنازع فيه بلا دليل لأنه لا دلالة فيها عليه فكيف وقد جاءت الآثار بذلك .

وأما ما ذكر عن اليهود من أنهم كانوا ينصرون لقد بينا أنه شاذ وليس هو من الآثار المعروفة في هذا الباب فإن اليهود لم يعرف أنها غلبت العرب بل كانوا مغلوبين معهم ، وكانوا يحالفون العرب فيحالف كل فريق فريقا كما كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت بنو النضير حلفاء الخزرج . ومما ينبغى أن يعلم أن مثل هذا اللفظ لو كان مما يقتضى السؤال به والإقسام به على الله تعالى لم يكن مثل هذا مما يجوز أن يعتمد عليه في الأحكام لأنه أولا لم يثبت وليس في الآية ما يدل عليه ، ولو ثبت لم يلزم أن يكون هذا شرعا لنا فان الله تعالى قد أخبر عن سجود إخوة يوسف وأبويه له وأخبر عن الذين غلبوا على أهل الكهف أنهم قالوا : « لنتخذن عليهم مسجدا » ونحن قد نهينا عن بناء المساجد على القبور : انتهى .

(٢) وأخرج الدارمى في مسنده في باب ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته قال حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك النكرى حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق ، وقال على بن محمد القارى في شرح المشكاة : قيل في سبب كشف قبره أنه صلى الله عليه وسلم كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فأمرت عائشة رضى الله عنها بكشف قبره مبالغة

في الاستشفاع به ، فلا يبقى منه بينه وبين السماء حجاب ، قال الغماري : وإسناده لا بأس به ، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي البصري الملقب بعارم ثقة من رجال الصحيحين ، وسعيد بن زيد هو أخو حماد بن زيد ، قال ابن معين ثقة . وعمرو بن مالك النكري ثقة من رجال الأربعة .

وأبو الجوزاء ثقة من رجال السنة ، انتهى كلامه .

قلت : فيه أربع آفات :

(الف) أبو النعمان عارم قد اختلط في آخر عمره .

(ب) أبو الجوزاء أوس بن عبد الله ، قال البخاري في إسناده نظر ويختلفون فيه ، قال الحافظ في التهذيب : إنما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمرو بن مالك النكري ، والنكري ضعيف عنده . وقال الحافظ في التهذيب أيضا : وقول البخاري في إسناده نظر ، يريد أن أبا الجوزاء لم يسمع من عائشة وابن مسعود وغيرهما ، لا أنه ضعيف عنده . وأحاديثه مستقيمة ، وحديثه عند مسلم عن عائشة في الافتتاح بالتكبير . وذكر ابن عبد البر في التمهيد أيضا أنه لم يسمع من عائشة ، قال الحافظ في التقريب : ثقة يرسل كثيرا .

(ج) وعمرو بن مالك النكري صدوق له أوهام قاله في التقريب ، قال ابن حبان : يعتبر حديثه من غير رواية ابنه يخطىء ويغرب .

(د) سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد صدوق له أوهام ، وقال ابن حبان : كان صدوقا حافظا ممن كان يخطىء في الأخبار ويهم حتى لا يحتج به إذا انفرد ، انتهى من التقريب وأصله .

(٣) ذكر الغماري الحكاية التى ذكرها القاضي عياض في الشفاء فيما جرى بين مالك وأبي جعفر المنصور ، وقال بعد ذكرها بسندها ما نصه : وقد زعم ابن تيمية على عادته في التسرع إلى الاطلاقات الكاذبة أن هذا الأثر مكذوب على الإمام مالك ، ورد عليه جماعة من العلماء مبينين خطأه وجهله ، منهم عصريه السبكي في شفاء السقام وكذا محمد بن عبد الباقي الزرقاني قال في شرح المواهب عقب نقل صاحبها عنه ما نقلناه ما لفظه : هذا تهور عجيب فان الحكاية رواها أبو الحسن على بن فهر في

كتابه فضائل مالك باسناد لا بأس به ، وأخرجه القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه فمن أين أنها كذب ، وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب .

وقال الخفاجي في نسم الرياض بعد تخريج عياض للاثر المذكور: وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من أن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا في حكاية مفتراة على مالك ، يعني هذه القصة التي أوردها المصنف ، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه ، فقوله أنها كذب محض مجازفة من ترهاته » .

هذا كله كلام الغماري ، وهو كلام رجل إمعة كل من يمشي معه وإلا فهذه الحكاية من نظر في سندها جزم بأنها مفتراة وكذب وهي كما يلي ، رواها القاضي عياض في الشفاء عن غير واحد باسناد غريب منقطع مظلم فإليك سندها ، قال القاضي عياض في الشفاء : حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا ثنا أبو العباس أحمد بن عمرو بن دلهاث ثنا أبو الحسن علي بن فهر ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية ، ومدح قوما فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية ، وذم قوما فقال (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية .

وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر ، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام ،بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك ، هذه هي الحكاية المكذوبة مع سندها المظلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وهذه الحكاية منقطعة فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨ هـ

وتوفي مالك سنة ١٧٩ هـ وتوفي ابن حميد سنة ٢٤٨ هـ ولم يخرج من بلده في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث ، كذبه أبو زرعة وابن وارة وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب الزبيرى وتوفي سنة ٢٤٢ هـ وآخر من روى عن مالك على الاطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن اسماعيل السهمى توفي سنة ٢٥٩ هـ وفي الاسناد المذكور أيضا من لا تعرف حاله .

قال ابن عبد الهادى في الصارم المنسكى في الرد على السبكى : والمعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء ، وهذه الحكاية التى ذكرها القاضى عياض ورواها باسناده عن مالك بصحيحه عنه وإسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل حاله ، وابن حميد ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئا ولم يلقه ، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة .

قال إسحاق بن منصور : أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدى الله أنهما كذابان ، وقال أبو زرعة : كان يكذب وقال ابن حبان : ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبة ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده ، فإذا كانت هذه حال ابن حميد عند أئمة هذا الشأن فكيف يقول السبكى في حكاية روايتها منقطعة إسنادها جيد ، مع أن في طريقها إليه من ليس بمعروف وقد قال السبكى بعد أن ذكرها وتكلم على روايتها : فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك ، هكذا قال السبكى .

والذى حمله هو ومقلدوه على ارتكاب هذه السقطة قلة علمه بهذا الشأن وارتكاب هواه ، والذى ينبغى أن يقال : فانظر إلى هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم إلى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء .

هذا كلام الحافظين الناقدين في هذه الحكاية المفتراة التى تدور بين متهم بالكذب وبين مجاهيل لا يمكن للغمارى وغيره أن يعرفهم .

وأذكر هنا كلام الحفاظ الآخرين الذى يؤيد كلام الحافظين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن عبد الهادى حول ابن حميد الرازى فأقول : ان ابن حميد الرازى

ذكره برهان الدين الحلبي في الكشف عمن رمي بوضع الحديث وقال : قال صالح جزرة كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا به ، ما رأيت أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض . وقال أبو احمد العسال : سمعت فضلك الرازى يقول دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون . و قال الذهبي في الميزان : قال أبو علي النيسابورى قلت لابن خزيمة لو أخذت الاسناد عن ابن حميد فإن أحمد بن حنبل أحسن الثناء عليه ، فقال : إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه أصلا . وقال صالح جزرة : ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني . وقد حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين وآخر أصحابه البغوى وابن جرير ، مات سنة ٢٤٨هـ .

وذكره ابن عراق أيضا في الكذابين وقال فيه كما قال البرهان وغيره . وقال البخارى في الجزء الأول من تاريخه الكبير : محمدبن حميد أبو عبد الله الرازى سمع يعقوب القمى وجريرا ، فيه نظر ، مات سنة ٢٤٨ هـ وسئل أبو عبد الله عن محمد بن حميد الرازى لماذا تكلم فيه فقال لأنه أكثر على نفسه .

وقال أبو حاتم الرازى في الجرح : قال ابن معين : ابن حميد ثقة ليس به بأس رازى كيس ، وهذه الأحاديث التى يحدث بها ليست هى من قبله ، إنما هى من قبل الشيوخ الذين يحدث بها عنهم . وقال أبو حاتم : سألنى ابن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهر قال أى شيء تنقمون عليه ؟ فقلت : يكون في كتابة الشيء فنقول ليس هذا هكذا إنما هو كذا وكذا فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول . قال ابن معين : لبئس هذه الخصلة ، قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمى ففرقنا الأوراق بيننا ومعنا أحمد بن حنبل فسمعناه ولم نر إلا خيرا . هذا قبل أن يعرفه أحمد وابن معين كما يدل عليه كلام ابن خزيمة الذى تقدم آنفا .

(٤) قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن ابراهيم التسترى حدثنا المفضل بن الموفق أبو الجهم حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته إلى الصلاة فقال « اللهم إني أسألك حق السائلين عليك » الحديث .

ثم قال الغمارى ورواه أحمد عن يزيد بن هارون والطبراني في الدعاء عن بشر

ابن موسى عن عبد الله بن صالح العجلي وابن خزيمة في كتاب التوحيد عن طريق محمد بن فضيل بن غزوان . ومن طريق أبي خالد الأحمر وأبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكو في خصتهم عن فضيل بن مرزوق به ، فزال ما يخشى من ضعف الفضيل بن الموفق بمتابعة هؤلاء له ، ولم يبق إلا النظر في حال فضيل وشيخه ، فأما فضيل فثقة كما قال ابن عيينة وابن معين وغيرهما، وروى له مسلم والأربعة ، وأكبر ما عيب به تشيعه ، وليس ذلك بعائبه على ما تقرر في هذا الشأن .

وأما عطية فقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله ، وقال الحافظ السيد محمد مرتضى الحسيني : هو صدوق في نفسه ، حسن له الترمذي عدة أحاديث انفرد بها .

وقال الغماري : فهذا الحديث حسن كما قال الحافظ العراقي في المغني . هذا ، وللحديث طريق آخر عن بلال رضى الله عنه قال ابن السني في عمل اليوم والليلة : حدثنا ابن منيع حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت الجزرى عن الوزاع بن نافع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله عن بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قاله بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لاحول ولاقوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» الحديث .

ثم قال الغماري : ولم أجد في التوسل بهم يعني الصالحين ، حديثا أصرح من هذا الحديث . وغيره من الأحاديث ليس صريحا مثله ثم ذكر حديث الابدال ، انتهى كلام الغماري .

قلت : هذا كله كلام الغماري حول هذا الخبر الذى حاول أن يلبس به على العامة موهما أنه وجد ضالته وإلا ففى هذا الخبر أمران لم يتناولهما الغماري لأن تناوله لهما ينقض عليه ما يريد من التلبيس :

(١) في سنده ضعيف وهو فضيل بن مرزوق ، قال الحافظ : صدوق يهم ورمى بالتشيع . وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ، كان ممن يخطىء على الثقات ويروى عن عطية الموضوعات . وقال الذهبي في الميزان : عطية أضعف من فضيل بن مرزوق . وقال أبو عبد الله الحاكم : فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح ، عيب على مسلم إخراجه في الصحيح . وروى احمد بن ابي خيثمة عن ابن معين . ضعيف اختلف فيه قول ابن معين كما قال ابن شاهين في ثقاته . وقال أبو حاتم : صالح الحديث صدوق يهم كثيراً يكتب حديثه ولا يحتج به، كذا في التهذيب، وقال ابن عدى إذا وافقه الثقات يحتج به. وفي روايته هذا الحديث لايعلم أحد تابعه إلا من لا يعتد بمتابعته.

(ب) الفضل بن الموفق بن أبي المتئد الكوفي فيه ضعف . قاله في التقريب وقال الذهبي في الميزان : ضعفه أبو حاتم وكذا في الترغيب والترهيب للمنذرى والكاشف للذهبي والتلخيص للحافظ . فان قلت قد وثقه ابن حبان كما ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ، قلت : لا اعتداد بتوثيق ابن حبان إذا تفرد به ، قال الذهبي في الميزان في ترجمة عمارة بن حديد : ولا تفرح بذكر ابن حبان له في الثقات فان قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرفه ، ونص الحافظ في التهذيب ، قال أبو حاتم : كان شيخنا صالحا ضعيف الحديث وكان قرابة لابن عيينة له عند ابن ماجه حديث أبي سعيد في القول إذا خرج إلى الصلاة .

(ج) عطية بن سعد العوفي صدوق يخطىء كثيراً كان شيعياً مدلسا قاله في التقريب . وقال الامام أحمد : بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير ، كان يكنيه بأبي سعيد فيقول قال أبو سعيد : يعني يوهم أنه الخدرى فهذا تدليس أى تدليس .

قال في توضيح الأفكار فان : صادف شهرة راو ثقة يمكن أخذ ذلك الراوى عنه فمفسدته أشد كما وقع لعطية العوفي في تكنية محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان إذا حدث عنه يقول حدثني أبو سعيد فيوهم أنه أبو سعيد الخدرى لأن عطية كان قد لقيه وروى عنه ، وهذا أشد ما بلغنا من مفسدة تدليس الشيوخ ، وقد اجتمع في عطية من وجوه الضعف ثلاثة : تدليس ، وعدم الضبط ، وكثرة الخطأ ، كما صرح بذلك الحافظان ابن القيم في الهدى والحافظ ابن حجر في التقريب وطبقات المدلسين. فعلى كل حال فالذين جرحوا عطية أكثر ممن وثقه ، ومن المعلوم أن الجرح المبين مقدم على التعديل ، فالذين جرحوه خمسة عشر من النقاد (١) أبو حاتم (٢) وسالم المرادى (٣) وأحمد (٤) وهشيم (٥) ويحيى (٦) والنسائى (٧) والبيهقى (٨) والثورى (٩) وابن عدى (١٠) وعبد الحق الأشبيلى (١١) والذهبي (١٢) والمنذرى (١٣) والحافظ ابن القيم (١٤) والحافظ ابن حجر (١٥) والدارقطنى .

وأما الموثقون فمنهم ابن معين على قول والترمذى ، فابن معين قال فيه صالح كما في الميزان وهذه اللفظة في المرتبة السادسة من مراتب التوثيق فهى توثيق لين وحكمه أنه يكتب حديثه للاعتبار فهذا التوثيق لا ينافي القول بالضعف وأما الترمذى فلم يصرح بتوثيقه ، نعم حسن له غير حديث ، وتحسينه لا يدل على أن عطية ممن يحتج بحديثه في كل موضع فانه ربما يحسن الحديث لمجيئه من طريق أخرى ولاحتمال أن

يكون التحسين في موضع قد ثبت عند الترمذى التصريح بالتحديث فيه فان عطية مدلس كما تقدم ، وحديث المدلس إنما يقبل إذا صرح بالتحديث على أن الترمذى متساهل في التصحيح والتحسين ، ولذا لم يعتمد العلماء عليه في هذا الباب وردوا على تصحيحه وتحسينه في غير موضع .

فان قلت : إن الحافظ ابن حجر قال في تخريج الأذكار للنووى وفي كتاب الصلاة لأبي نعيم عن فضيل عن عطية قال حدثنى أبو سعيد فذكره لكن لم يرفعه فقد أمن من ذلك تدليس عطية العوفي .

فالجواب أنه لا يحصل الأمن من تدليس عطية بهذا فان عطية تقدم أنه يكنى محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان إذا حدث عنه يقول حدثنى أبو سعيد فيوهم أنه أبو سعيد الخدرى ، والأشبه أن هذا الحديث موقوف . قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الله بن صالح العجلى الكوفي : وله عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا خرج الرجل من بيته قال اللهم بحق السائلين عليك » الحديث ، قال خالفه أبو نعيم ورواه عن فضيل فما رفعه قال أبو حاتم وقفه اشبه ، والموقوف ليس بحجة عند المحققين . وقد صدر المنذرى هذا الحديث في باب الترغيب في المشى إلى المساجد بلفظ (روى) وأهمل الكلام عليه في آخره وهذا عنده دلالة للاسناد الضعيف كما قال في ديباجة الكتاب وصرح النووى في الأذكار بضعفه ، فبطل قول الغمارى أنه بسند صحيح ، وهذا كله مع أن الحديث خارج عن الموضوع لأن الغمارى ساقه مستدلا به على التوسل بالذوات فليس في هذا الحديث توسل بالذوات بل هو توسل بحق تفضل الله به على من سأله ودعاه وحده وهو الاجابة في قوله تعالى « ادعوني أستجب لكم » .

وأما الشاهد الذى فرح به الغمارى فهو من رواية الوازع بن نافع العقيلى قال فيه ابن معين : ليس بثقة ، وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال النسائى : متروك ، وقال أيضا : ليس بثقة ، قاله في الميزان .

(٥) حدثنا إبراهيم بن على الباهلى حدثنا يحي بن يحي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح السمان عن مالك قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال ائت عمر فأقرئه منى السلام وأخبرهم أنهم يسقون وقل له عليك بالكيس الكيس ، فأتي الرجل فأخبر عمر فقال يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه ، قال الحافظ : اسناده صحيح ، وأخرجه البيهقي في الد لائل باسـناد صحيح . وقا ل الحافظ في الفتح : و قد رو ى سيف في الفتــوح أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المز ني أحد الصحابة انتهى كلام الغمارى .

قلت : في هذا الأثر مالك بن عياض الدارى ، ذكره البخارى في التاريخ الكبير وسكت عنه (ج ٤ :ص ٣٠٤ هـ) وكذلك ابن أبي حاتم ذكره في الجرح والتعديل بما نصه :

مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب روى عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وروى عنه أبو صالح السمان سمعت أبي يقول ذلك وسكت عنه أيضا انتهى منه (ج ٤ : قسم (١) ص ٢١٣) .

وكل من سكت عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل فهو مجهول ، فانه قال في الجزء الأول من الجرح والتعديل ما نصه : وقصدنا بحكاياتنا الجرح والتعديل في كتابنا هذا إلى العارفين به العالمين له متأخرا بعد متقدم إلى أن انتهت بنا الحكاية إلى أبي وأبي زرعة رحمهم الله ، ولم نحك عن قوم قد تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به ونسبنا كل حكاية إلى حاكيها ، والجواب إلى صاحبه وتظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسئولين عنهم فحذفنا تناقض قول كل واحد منهم وألحقنا بكل مسئول عنه ما لاق به وأشبهه من جوابهم على أنا قد ذكرنا أسامى كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى ، انتهى (ج ١ : ص ٣٨ من الجرح والتعديل) وقد قال الأخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة فهذه

القصة غير ثابتة وقد أوهم المؤلف صحتها محرفا لكلام بعض الأئمة مقلدا في ذلك بعض ذوى الأهواء قبله وقد وعد بتفصيل ذلك في رسالة أفردها في هذا الموضوع ، انتهى من السلسلة (ج ١ : ص ٤٧) وفي هذه القصة أيضا أن سيف بن عمر الضبي الأسدى المعروف هو الذى روى في فتوحه أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث ، فعلم بهذا أن الأثر المذكور ليس فيه أن الجائى أحد الصحابة بل الذى روى أن الجائى أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف فان سيفا صاحب الفتوح الذى روى هذا الكلام الأخير ، قال فيه يحي « فليس خير منه » وقال أبو داود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك » وقال ابن حبان : أتهم بزندقة وقال ابن عدى : عامة حديثه منكر هكذا في الميزان للذهبي . وقال الحافظ في التقريب ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ ، أفحش ابن حبان القول فيه ، وقال الخزرجى في الخلاصة : ضعفوه . وقال البرهان في الكشف الحثيث فيمن رمى بوضع الحديث : سيف كالواقدى وقال مكحول البيروتي : سمعت جعفر بن أبان قال : سمعت ابن نمير يقول سيف الضبي تميمى كان يقول حدثنى رجل من بنى تميم ، وكان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة . وقال ابن عراق في الكذابين : سيف بن عمر متهم بالزندقة ووضع الحديث . وقال الفتنى في قانون الضعفاء : متروك اتهم بالوضع والزندقة ، فعلى هذا فهذا الأثر كما قال الأخ الألباني غير ثابت لا سيا وهو منام والمنام لا تثبت به الأحكام الشرعية إلا إذا كان من نبي .

وأما ما قاله ابن سعد في الطبقات من أن مالك الدار مولى عمر بن الخطاب معروف فهذه الكلمة لا تفيد شيئا لأنه ـ أعنى ابن سعد ـ لم يذكر في ترجمته من روى عنه إلا أبا صالح السمان حيث قال في الجزء الخامس ص ١٢ ما نصه : مالك الدار مولى عمر بن الخطاب وقد انتموا إلى جبلان من حمير وروى مالك الدار عن أبي بكر الصديق وعمر رحمهما الله ، روى عنه أبو صالح السمان وكان معروفا ، فمن المعلوم أن المعروف هو الذى روى عنه اثنان فأكثر ، وإلا فهو مجهول العين والحال معا إذا لم يوثق فحديثه في قسم الضعيف إلا إذا وثقه غير من روى عنه ، وكذلك إذا وثقه من روى عنه إذا كان أهلا لذلك على القول الأصح .

٦ ـ ومنها ما رواه الطبراني في الكبير قال حدثنا طاهر بن عيسى بن قريش

(وفي نسخة قيرس) المصرى المقرى حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا ابن وهب يعنى عبد الله عن أبي سعيد المكى يعنى شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الختمى المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له عثمان ابن حنيف ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك إلى ربك فيقضى حاجتى ، وتذكر حاجتك ورح إلى حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتي باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك ، فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم ان الرحل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته في فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لى قائد وقد شق على فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات ، قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط ، ورواه في المعجم الصغير من هذا الطريق بهذا اللفظ ثم قال لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكى ، وهو ثقة وهو الذى يروى عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلى ، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمى واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح .

وأقر على هذا التصحيح الحافظان زكى الدين المنذرى ونور الدين الهيثمى ، انتهى كلام الغمارى . قلت : في هذا الحديث آفتان : إحداهما شبيب بن سعيد التميمى الحبطى أبو سعيد البصرى ، قال الذهبي في الميزان والحافظ في التهذيب : قال ابن عدى حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير وقال ولعل شبيبا لما قدم مصر في تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهم وأرجو أن لا يتعمد الكذب ، وقال ابن المدينى :

ثقة وكتابه كتاب صحيح ، وقال الحافظ في التقريب : شبيب بن سعيد التميمى الحبطى أبو سعيد لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه ، لا من رواية ابن وهب ، وفيه أيضا طاهر بن عيسى بن قريش أو ابن قيرس أستاذ الطبراني مجهول لا يعرف بالعدالة . قال الشيخ سليمان صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : قال الذهبي : طاهر بن عيسى صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : قال الذهبى بن بكير وأصبغ بن الفرج وعنه الطبراني توفي سنة ٢٩٢ ﻫ ولم يذكر فيه الذهبي جرحا ولا تعديلا ، فهو إذا مجهول الحال لا يجوز الاحتجاج بخبره لا سيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة . انتهى من التيسير (ص ٢١١ - ٢١٢ منه) .

قال الطبراني : تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة وهذا من الطبراني إخبار منه بمبلغ علمه ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة ، وذلك إسناد صحيح يبين أن عثمان لم ينفرد به وطريق ابن وهب هذه تؤيد ما ذكره ابن عدى فانه لم يحرر لفظ الرواية كما حررها ابن شبيب بل ذكر فيها أن الأعمى دعى بمثل ما ذكره عثمان بن حنيف في هذا الأثر ، وليس كذلك بل في حديث الأعمى أنه قال اللهم فشفعه في وشفعنى فيه أو قال في نفسى . . وهذه لم يذكرها ابن وهب في روايته هذه فيشبه أنه أن يكون حدث ابن وهب به من نفسه كما قال ابن عدى فلم يتقن الرواية .

قال ابن أبي خيثمة وأبو جعفر الذى حدث عنه حماد بن سلمة في حديث الأعمى اسمه عمير بن يزيد ، وهو أبو جعفـــر الذى يروى عنه شعبة ثم ذكر الحديث من طريق عثمان بن عمر عن شعبة ، وهذه الطريق فيها « فشفعنى في نفسى » مثل طريق روح بن القاسم وفيها زيادة أخرى وهى قوله « وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك » « أو قال فعل مثل ذلك » وهذه قد يقال إنها توافق قول عثمان بن حنيف لكن شعبة وروح بن القاسم أحفظ من حماد بن سلمة ، واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى وقوله « وإن كانت حاجه فعل مثل ذلك » قد يكون مدرجا من كلام عثمان لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يقل « وإن كانت لك حاجة فعلت مثل ذلك ، بل قال « وإن كانت حاجة فعل مثل ذلك » وبالجملة فهذه الزيادة لو كانت ثابتة لم تكن فيها حجة وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حنيف

ظن أن الدعاء يدعى ببعضه دون بعض فانه لم يأمره بالدعاء المشروع بل ببعضه وظن أن هذا مشروع بعد موته صلى الله عليه وسلم على فرض صحة هذا الأثر . ولفظ الحديث المعروف يناقض ذلك فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له وأنه علم الأعمى أن يدعو وأمره في الدعاء أن يقول « اللهم فشفعه في » وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم داعيا شافعا له بخلاف من لم يكن كذلك فهذا يناسب شفاعته ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم وفيه أيضا أنه قال « وشفعنى فيه » وليس المراد أن يشفع للنبي صلى الله عليه وسلم في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم وان كنا مأمورين بالصلاة والسلام عليه وأمرنا أن نسأل الله له الوسيلة فسؤال الأمة له الوسيلة هو دعاء له صلى الله عليه وسلم وهو معنى الشفاعة ولهذا كان الجزاء من جنس العمل فمن صلى عليه صلى الله عليه كذلك الأعمى سأل منه الشفاعة فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة ، وهو كالشفاعة في الشفاعة فلهذا قال : « اللهم فشفعه في وشفعنى فيه » وذلك أن قبول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذا من كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه ولهـــذا عد هذا من آياته ودلائل نبوته فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق ولهذا أمر الأعمى أن يقول « فشفعه في وشفعنى فيه » بخلاف قوله « وشفعنى في نفسى » فان هذا اللفظ لم يروه أحد إلا من طريق غريب .

وأما قوله وشفعنى فيه فانه رواه عن شعبة رجلان جليلان عثمان بن عمرو وروح بن عبادة وشعبة أجل من روى حديث الأعمى . ومن طريق عثمان بن عمرو عن شعبة رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ورواه الامام أحمد في المسند عن روح بن عبادة عن شعبة فكان هؤلاء أحفظ للفظ الحديث مع أن قوله «وشفعنى فيه» إن كان محفوظا مثل ما ذكرنا وهو أنه طلب أن يكون شفيعا لنفسه مع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يدع له النبي صلى الله عليه وسلم كان سائلا مجردا كسائر السائلين ، ولا يسمى مثل هذا شفاعة وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرا فيكون أحدهما شفيعا للاخر بخلاف الطالب الواحد الذى لم يشفع غيره ، فهذه الزيادة فيها عدة علل .

أولا : انفراد راويها بها عمن أكبر وأحفظ منه .

ثانيا : إعراض أهل السنن عنها وثالثا اضطراب لفظها ورابعا أن راويها عرف

له عن روح أحاديث منكرة ، ومثل هذا يقتضى حصول الريب والشك في كونها ثابتة ، فلا حجة فيها إذ الاعتبار بما رواه الصحابي لا بما فهمه إذا كان اللفظ الذى رواه لا يدل على ما فهمه بل على خلافه . ومن المعلوم أن الواحد بعد موته صلى الله عليه وسلم إذا قال : « اللهم شفعه في وشفعني فيه » مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع له كان هذا كلاما باطلا مع أن عثمان بن حنيف لم يأمر صاحب الحاجة أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا أن يقول (فشفعه في) ولم يأمر بالدعاء المأثور على وجهه ، وإنما أمره ببعضه وليس هناك من النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة ولا ما يظن أنه شفاعة ، فلو قال بعد موته (فشفعه في) لكان كلاما لا معنى له ، ولهذا لم يأمر به عثمان صاحب الحاجة ، كما أنه لم يأمره بالدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الذى أمره به ليس مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا لا تثبت به شريعة كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات أو الاباحات أو الايجابات أو التحريمات إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه ، وكان ما يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم يخالفه لم يكن فعل ذلك الصحابي سنة يجب على المسلمين اتباعها ، بل غايته أن يكون مما يسوغ فيه الاجتهاد ومما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول ، ولهذا نظائر كثيرة مثل ما كان ابن عمر يدخل الماء في عينيه في الوضوء ويأخذ لأذنيه ماء جديدا ، وكان أبو هريرة يغسل يديه إلى العضدين في الوضوء ويقول من استطاع أن يطيل غرته فليفعل ، وروى عنه أنه كان يمسح عنقه ويقول هو موضع الغل ، فان هذا وان استحبه طائفة من العلماء اتباعا لهما فقد خالفهم في ذلك آخرون وقالوا : سائر الصحابة لم يكونوا يتوضؤون هكذا ، والوضوء الثابت عنه صلى الله عليه وسلم الذى في الصحيحين وغيرهما من غير وجه ليس فيه أخذ ماء جديد للأذنين ، ولا غسل ما زاد على المرفقين والكعبين ، ولا مع العنق ، ولا قال النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يطيل غرته فليفعل ، بل هذا من كلام أبي هريرة جاء مدرجا في بعض الأحاديث ، وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم « وأنكم تأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » وكان صلى الله عليه وسلم يتوضأ حتى يشرع في العضد والساق ، قال أبو هريرة : من استطاع أن يطيل غرته فليفعل. ، وظن من ظن أن غسل العضد من إطالة الغرة ، وهذا لا معنى له ، فان الغرة في الوجه لا في اليد والرجل ، وإنما في اليد والرجل الحجلة والغرة لا يمكن إطالتها ،

فان الوجه يغسل كله لا يغسل الرأس ولا غرة في الرأس والحجلة لا يستحب اطالتها واطالتها مثلة ، وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبى صلى الله عليه وسلم وينزل مواضع منزله ويتوضأ في السفر حيث رآه يتوضأ ويصب فضل مائه على شجرة صب عليها ونحو ذلك مما استحبه طائفة من العلماء ورأوه مستحبا ولم يستحب ذلك جمهور العلماء كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم ، ولم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر ولو رأوه مستحبا لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته والاقتداء به ، وذلك لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى فعل فإذا فعل فعلا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة ، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة وأن يلتمس الحجر الأسود وأن يصلى خلف المقام وكان يتحرى الصلاة خلف أسطوانة مسجد المدينة وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما . وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده مثل أن ينزل بمكان ويصلى فيه لكونه نزله لا قصدا لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه ، فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين بل هذا من البدع التى كان ينهى عنها عمر بن الخطاب كما ثبت بالاسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمى عن المعرور بن سويد قال : كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم اتي على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا ، فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التى هلكوا بها ، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك ففاعل ذلك متشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى بالقصد الذى هو عمل القلب ، وهذا هو الأصل فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل ، ولهذا لما اشتبهت على كثير من العلماء جلسة الاستراحة هل فعلها استحبابا أو لحاجة عارضة تنازعوا فيها وكذلك نزوله بالمحصب عند الخروج من منى لما

اشتبه عليهم هل فعله لأنه كان أسمح بخروجه أو لكونه سنة تنازعوا في ذلك، ومن هذا وضع ابن عمر يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم وتعريف ابن عباس بالبصرة وعمرو بن حريث بالكوفة فإن هذا لم يفعله سائر الصحابة ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شرعه لأمته ، ولم يمكن أن يقال هذا سنة مستحبة بل غايته أن يقال هذا مما ساغ فيه اجتهاد الصحابة أو مما لا ينكر على فاعله لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد لا لأنه سنة مستحبة سنها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أو يقال في التعريف أنه لا بأس به أحيانا لعارض إذا لم يجعل سنة راتبة هكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله تارة يكرهونه وتارة يسوغون فيه الاجتهاد وتارة يرخصون فيه إذا لم يتخذ سنة ولا يقول عالم بالسنة أن هذه سنة مشروعة للمسلمين فان ذلك إنما يقال فيما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ليس لغيره أن يسن ولا أن يشرع وما سنه خلفاؤه الراشدون فانما سنوه بأمره فهو من سننه ولا يكون في الدين واجبا إلا ما أوجبه ولا حراما إلا ما حرمه ولا مستحبا إلا ما استحبه ولا مكروها إلا ما كرهه ولا مباحا إلا ما أباحه .

وهكذا في الاباحات كما استباح أبو طلحة أكل البرد وهو صائم واستباحة حذيفة السحور بعد ظهور الضوء المنتشر إلا أن الشمس لم تطلع وغيرهما من الصحابة لم يقل بذلك فوجب الرد إلى الكتاب والسنة .

وهكذا الكراهة والتحريم مثل كراهة عمر وابنه للطيب قبل الطـواف بالبيت وكراهة من كره من الصحابة فسخ الحج إلى التمتع أو التمتع مطلقا أو رأى تقدير مسافة القصر بحد حده وأنه لا يقصر بدون ذلك أو رأى أنه ليس للمسافر أن يصوم في السفر ، ومن ذلك قول سلمان أن الريق نجس وقول ابن عمر في الكتابية لا يجوز نكاحها ، وتوريث معاذ ومعاوية للمسلم من الكافر ومنع عمر وابن مسعود للجنب أن يتيمم وقول علي وزيد وابن عمر في المفوضة أنه لا مهر لها إذا مات الزوج وقول علي وابن عباس في المتوفي عنها الحامل أنها تعتد إلى أبعد الأجلين وقول ابن عمر لا يجوز الاشتراط في الحج وقول ابن عباس وغيره في المتوفي عنها ليس عليها لزوم المنزل وقول عمر وابن مسعود أن المبتوتة لها السكنى والنفقة وأمثال ذلك مما تنازع فيه الصحابة فانه يجب الرد إلى الله والرسول ، ونظائرها كثيرة فلا يكون شريعة للأمة إلا ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قال من العلماء إن قول الصحابي

حجة ، فانما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ولا عرف نص يخالفه ، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه كان اقرارا على قول فقد يقال « هذا إجماع اقراری » إذا عرف أنهم أقروه ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل . وأما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أن غيره لم يخالفه فقد يقال « حجـــة » .

وأما إذا عرف أن غيره خالفه فليس بحجة بالاتفاق ، وأما إذا لم يعرف هل وافقه غيره أو خالفه لم يجزم بأحدهما ، ومتى كانت السنة تدل على خلافه كانت الحجة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فيما يخالفها بلا ريب عند أهل العلم .

وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم داعيا له ولا شافعا فيه فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعا بعد مماته كما كان يشرع في حياته ، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به ، فلما مات لم يتوسلوا به بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر لا يأكل معنا حتى يخصب الناس لما استسقى بالناس قال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » فيسقون . وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره أحد مع شهرته . وهو من أظهر الاجماعات الاقرارية ، ودعا بمثله معاوية ابن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس فلوكان توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته كتوسلهم به في حياته لقالوا كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما ؟ ونعدل عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم الذى هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله ؟ فلما لم يقل ذلك أحد منهم وقد علم أنهم في حياته انما توسلوا بدعائه وشفاعته وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره ، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته .

وحديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فإنه انما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه لا بذاته ، وقال له في الدعاء « اللهم شفعه في » وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل

بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضه وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته ، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المخالف لعمر محجوجا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحديث الذى رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم حجة عليه لا له . والله أعلم .

وأما القسم الثالث مما يسمى توسلا فلا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يحتج به أهل العلم وهو الاقسام على الله عز وجل بالأنبياء والصالحين والسؤال بأنفسهم فانه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ثابتا لا في الاقسام أو السؤال به ولا في الاقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين وإن كان في العلماء من سوغه فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه فتكون مسألة نزاع فيرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويبدى كل واحد حجته كما في سائر مسائل النزاع وليس هذا من مسائل العقوبات باجماع المسلمين بل المعاقب على ذلك معتد جاهل ظالم فان القائل بهذا قد قال ما قالت العلماء والمنكر عليه ليس معه نقل يجب اتباعه لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة .

وإتماما للفائدة نختم هذه الرسالة بما ذكره ابن كثير في تفسيره وغيره عند قوله عز وجل « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » . . الآية .

قال ابن كثير ما نصه : ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبى قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله . سمعت الله يقول « ولو أنهم إذ ظلموا » الآية ، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشد يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الرسول الذى ترجى شفاعته	عند الصراط إذا ما زلت القدم
لولاك ماخلقت شمس ولا قمر	ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك إله الدهر أجمعه	فانت أكرم من دانت له الأمم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له » .

فهذه القصة الباطلة أخرجها ابن النجار في الدرة الثمينة في تاريخ المدينة بالسند التالى ، قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أبي الحسن في كتابه أخبرنا أبو الفرج ابن أحمد أخبرنا أحمد بن نصير أخبرنا محمد بن القاسم سمعت غالب بن غالب الصوفي يقول سمعت إبراهيم بن محمد المزكى يقول سمعت أبا الحسن الفقيه يحكى عن الحسن بن محمد عن ابن فضيل النحوى عن محمد بن روح عن محمد بن حرب الهلالى قال حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتي القبر ، وذكر القصة بتمامها .

فهذه الحكاية ذكرها أيضا بعض الفقهاء والمحدثين ، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي ، وقد رويت عن غيره باسناد مظلم ، وبعض العلماء يرويها عن العتبي بلا اسناد كما في تفسير ابن كثير عند الآية المتقدمة الذكر آنفا وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالى وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي ، وقد ذكرها البيهقى في كتاب شعب الايمان باسناد مظلم أيضا عن محمد بن روح بن يزيد البصرى حدثنى أبو حرب الهلالى وقد وضع لها بعض الكذابين اسنادا آخر إلى على بن أبي طالب رضى الله عنه ، روى أبو الحسن على بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخى عن على بن محمد بن على حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائى قال حدثنى أبي عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن على رضى الله عنه فذكر هذه الحكاية ، فهذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتقاد عليه ولا يحسن المصير إليه ، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض . والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم إن كان ابن عدى الطائى فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول ، وقد ولد الهيثم ابن عدى بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ثم انتقل إلى بغداد فسكنها : قال عباس الدورى : سمعت يحي بن معين يقول : الهيثم بن عدى كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقال العجلى وأبو داود : كذاب ، وقال أبو حاتم الرازى والنسائى والدولابي والأزدى : متروك الحديث . وقال السعدى : ساقط قد كشف قناعه ، وقال أبو زرعة : ليس بشيء ، وقال البخارى : سكتوا عنه أى تركوه .

وقال ابن عدى : ما أقل ما له من المسند وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار ، وقال ابن حبان : كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعة يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها . قال الحاكم أبو أحمد الكبير : هو ذاهب الحديث ، وقال الحاكم أبو عبد الله صاحب المستدرك : الهيثم ابن عدى الطائى في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة ، وقال العباس بن محمد : سمعت بعض أصحابنا يقول قالت جارية الهيثم : كان مولاى يقوم عامة الليل يصلى فاذا أصبح جلس يكذب ، وفي الجملة فليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة لأن أسنادها مظلم مختلق ولفظها مختلف أيضا ، ولو كانت ثابتة لم تكن فيها حجة على مطلوب المعترض ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم . وهى في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعى لا سيما في مثل هذا الأمر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم .

وأما سند ابن النجار فهو أيضا مجاهيل غير معروفين ابتداء من شيخه إلى محمد بن حرب الهلالى ، قال شيخ الاسلام في « اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم » قال ما نصه : ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده ، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره من الأنبياء ، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضى الله عنهما ، واتفق الأئمة على أنه إذا دعى بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره ، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما : يستقبل قبره ويسلم عليه ، وقال أبو حنيفة : بل يستقبل القبلة ويسلم عليه .

« هــذا »

وقد أغنانا الله عز وجل عما حرم من التوسلات الشركية والبدعية بما شرع لنا من التوسل المشروع وهو التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا قال الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وكذلك شرع لنا التوسل إليه بالأعمال الصالحة من دعائه وطاعته واتباع رسوله عليه الصلاة والسلام وحبه والإيمان به كما في حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إليه لما وقعوا في الشدة بأعمالهم الصالحة ففرج عليهم . قال الله تعالى

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون »
وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم باحسان أن الوسيلة إليه تعالى في هذه الآية هى طاعة الله تعالى بما شرع والانتهاء عما نهى عنه ومنع . وقال تعالى : (ادعوني أستجب لكم) . . الآية .

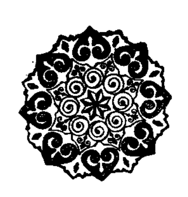
فهذا هو التوسل المشروع ، وأما التوسل غير المشروع فهو قسمان :

(١) توسل شركى ، كالحلف بغير الله ودعاء غير الله قال الله تعالى (إذا مسكم الضر ضل من تدعون إلا إياه) ، (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أ إله مع الله ، تعالى الله عما يشركون) . .

وكذلك الاستغاثة والاستعاذة بغير الله وتعليق التمائم والحلقات والطيرة هذه كلها من الشرك . لا يجوز لمؤمن بالله أن يصرف الاستغاثة والذبح والاستعاذة لغير الله فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد اشرك كما جاءت به النصوص .

(٢) التوسل البدعى ، كأن يقول توسلت بجاه فلان أو بحرمته أو بحقه عليك أو بفضله أو بعمله فان هذه الألفاظ بدعية لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في واحد منها شيء صحيح ولا حسن بل كل ما نقل في هذا الباب موضوع أو ضعيف جدا لا يصلح للاحتجاج به أو صحيح خارج عن الموضوع كما تقدم في توسل عمر رضى الله عنه بالعباس وكما في حديث الأعمى على القول بصحته .

ونسأل الله العلى القدير أن يلهمنا الصواب في القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان ، آمين . .




في
ظلال
العقيدة



لفضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

مقـــدمة :

سبق لى أن تحدثت تحت هذا العنوان في موسم المحاضرات لعام ٩٤ ـ ٩٥ هـ وتناولت بالحديث النقاط التالية :

١ ـ العبادة .

٢ ـ التوسل .

٣ ـ مبحث الصفات .

٤ ـ القرآن الكريم .

ووعدت بأني سوف أعود فأتحدث مرة أخرى تحت العنوان ذاته إن شاء الله فهاأنا ذا أعود إلى العنوان بمشيئة الله تنفيذا للوعد المذكور وأختار هذه المرة النقاط الآتية :

١ ـ الأولياء والكرامات .

٢ ـ الشفاعة .

٣ ـ السنة النبوية .

والذى دفعنى الى الحديث في تصحيح المفاهيم هذه المرة والمرة التى قبلها هو إدراكى التام ما عليه عامة المسلمين – كما يدرك غيرى – من تصورات بعيدة عن حقيقة الاسلام في الموضوعات المذكورة وغيرها في جوانب الاسلام حتى صار البون شاسعا بينهم وبين المنهج المحمدى الذى أشار اليه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله : « تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك » وعلى الرغم من هذا التوجيه النبوى المتضمن للانذار فقد زاغ جمهور المسلمين عن المنهج فصاروا يعملون خارج المنهج في جوانب كثيرة ، مغيرين بذلك مفاهيم وتصورات كثيرة فحياة المسلمين اليوم أقرب إلى الجاهلية التى قبل مبعث النبي منها الى الحياة الاسلامية مما جعل حياتهم مغايرة لحياة الرعيل الاول من الصحابة والتابعين الذين اخذوا تلكم المعاني من صاحب الشريعة مباشرة أو بسندعال ولعل سر ذلك انصراف الناس عن دراسة مصادر الاسلام الأصلية وتسرب كثير من عادات وتقاليد غير إسلامية الى صفوف المسلمين . كالهندوكية والبوذية والثقافة اليونانية . وهذا التركيب المزجى خلف في صفوف المسلمين ربيبة مدللة ومضللة في الوقت ذاته أطلق عليها « الصوفية » وكنتيجة حتمية لوجودها كثر المحترفون باسم الدين بعد أن لقبوا أنفسهم برجال السلوك فسلكوا بأتباعهم غير سبيل المؤمنين وصنفوا أنفسهم كالآتي : –

العارفون بالله – والأقطاب – والأوتاد .

أيها الأخوة لا نعلم أن المسلمين ابتلوا ببلية أو أصيبوا بمصيبة أعظم وأخطر من مصيبة الصوفية إذ من بابهم دخلت على المسلمين تصورات أجنبية ومفاهيم غريبة لا عهد للمسلمين بها في ماضيهم بل هى باب لكل بدعة دخلت على عبادة المسلمين وعقائدهم التى منها هذه التصورات الطارئة على المعاني أو النقاط التى سوف أتناولها بالبحث في هذه العجالة محاولا بيان التصور الصحيح لها والتصور غير الصحيح لعلى أكون أديت بذلك بعض ما يجب أداؤه من واجب النصح لعامة المسلمين لأني لا أريد بمحاضرتي هذه أداء واجب الموسم الثقافي للجامعة فحسب بل أرجو أن تصل هذه المحاضرة يوما الى أيدى من تعنيهم وتتحدث عنهم وعن سوء فهمهم فتصحح لهم تصوراتهم تلك باذن الله في هذه الجوانب .

والله أسأل وبمحبة رسوله أتوسل أن يجعل عملي مخلصا لوجهه الكريم انه خير مسؤول وأكرم مجيب .

وبعد هذه المقدمة التي أرجو الا تكون مملة نأخذ في الحديث عن النقاط الثلاث التي اخترتها لحديثي ، هذه المرة على النحو التالي :

أولا : الأولياء :

الأولياء جمع ولي . الولي من تولى الله أمره وخصه بعنايته لصلاحه لأن الله يتولى الصالحين ويحب المؤمنين ويدافع عنهم « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » وفي الحديث القدسي « من عادى لي وليا فقد آذنته بحرب » .

ويعتبر الصلاح والتقوى من العناصر الأساسية في الولاية ومن مستلزماتها : العلم ونعني بالعلم معرفة الله بأسمائه وصفاته وآلائه جملة وتفصيلا ومعرفة شرعه الذى جاء به رسوله المصطفى ونبيه المرتضى عليه الصلاة والسلام . وقد تولى القرآن الكريم تعريف الأولياء بما لا يترك مجالا للتردد أو التساؤل أو التوقف :

« ومن أصدق من الله حديثا » إذ يقول الله عز وجل من قائل : « الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . الذين آمنوا وكانوا يتقون » ويقول أيضاً : « إن أولياؤه الا المتقون » وقد حصر القرآن – كما ترى – الأولياء فيمن يتصفون بصفة التقوى . والتقوى تستلزم العلم والمعرفة – كما قلنا – لأن حقيقة التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات خوفا من عذاب الله وسخطه وتطلعا إلى رضائه وجنته وكرامته ولا يتم ذلك الا بالفقه في الدين ، فالخير كله في الفقه في الدين كما أن الشر كله في الجهل بالدين والإعراض عنه . يقول : الرسول الكريم في هذا المعنى « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » ولا يخفى على طالب العلم المفهوم المخالف للحديث . وهو أن من لم يرزق الفقه في الدين قد فاته الخير . وماذا بعد الخير الا الشر ؟ . .

هكذا بين الكتاب والسنة صفات أولياء الرحمن التي منها : العلم والمعرفة والصلاح والتقوى . وذلك يعني أن الأولياء هم العلماء العاملون والفقهاء المبرزون حملة كتاب الله المتبعون لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لنخلص الى القول :

بأن الله لم يتخذ ولياجاهلا يجهل دينه وما جاء به نبيهعليه الصلاة والسلام ، لنقضي بذلك على الزعم الشائع بين كثير من الناس أن الأولياء هم أولئك الجهال المخادعون

من الكهنة والمشعوذين ومن السحرة أحيانا الذين يسحرون أعين الناس ثم يتظاهرون بفعل أشياء مثيرة . وهم في الواقع لم يفعلوا شيئا وكثير من أولئكم الكهنة يستخدمون الشياطين أو على الأصح تستخدمهم الشياطين لتوحى اليهم . وقد تأتي لهم بأموال مسروقة فتظن العامة انهم من أولياء الرحمن وما يخبرون به أو يأتي اليهم من الأموال من قبيل الكرامات واني لهم الكرامة ؟ بل الاهانة أولى بهم وحقا إنهم مهانون اذ حرموا ولاية الله والأنس به ووقعوا في اسر عدو الله الشيطان فأصبحوا أولياءه « ومن يهن الله فما له من مكرم » .

والذى أريد أن أصل اليه انه لا تلازم بين الولاية وبين ظهور الأمور الخارقة للعادة . وفي هـذا المعنى يحكى عن الامـام الشافعى رحمه الله قوله : « لو رأيتم رجلا يسير في الهواء . أو يمشى على الماء لا تقبلوا منه دعوى الولاية حتى تعرضوا اعماله على الكتاب والسنة » أو كلام هذا معناه . يعنى الامام الشافعى رحمه الله أن ظهور الأمور الخارقة للعادة ليس من مستلزمات الولاية بل قد لا تظهر تلك الأمور على أيدى كثير من أولياء الرحمن لأنها ليست من صنع الأولياء . وانما هى من فعل الرب تعالى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وقد تظهر تلك الأمور على ايدى أناس غير صالحين كما سبقت الاشارة الى هذا المعنى وكما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله مفصلا .

وبالجملة من رزق الفقه في الدين يدرك تماما ان باب الولاية أوسع مما يظنه كثير من العوام واشباه العوام الذين ضيقوا مفهوم الولاية بل غيروه فحصروا الولاية في بيوت معينة أو أشخاص معينين . يتظاهرون بالدروشة . وخفة العقل . ومبادىء الجنون احيانا ويهذون هذيانا وربما أخبروا الناس عن مكان الضالة وعن بعض الحوادث التى تقع في أماكن بعيدة عن أماكن وجودهم بواسطة شياطينهم التى تنقل اليهم الأخبار من أماكن بعيدة صادقة أو كاذبة . هذا هو مفهوم الولاية عندهم ولا يخفى وجه خطأ هذا المفهوم . وقد استغل القوم جهل العوام فأثبتوا لأنفسهم منصبا وراثيا يرثه الأبناء عن الآباء فينتقل الى الأبناء بطريقة أوتوماتيكية (تلقائية) لأن القاعدة تقول كل من كان أبوه وليا لابد أن يكون وليا ولا محالة . لان الولاية عندهم غير مقيدة بقيود مكتسبة كالعلم والصلاح والتقوى . بل إن واقعهم على العكس من ذلك إذ يتصفون بالجهل والجرأة على الله والخروج على شرعه والابتداع في دينه وكراهة أوليائه وأهل طاعته من العلماء العاملين والدعاة الغيورين .

« أقسام الأولياء »

يتضح لنا مما تقدم ان الأولياء ينقسمون إلى قسمين :

١ ــ أولياء الرحمن الذين تقدم الحديث عنهم وتولى القرآن تعريفهم . وهم الذين تولى الله أمرهم ووفقهم وتفضل عليهم بالكرامات التى من أعظم أنواعها : معرفة الحق واتباعه والاستقامة عليه الاستقامة التى تنتهى بالعبد الى دار الكرامة الجنة (تسأل الله من فضله) .

٢ ــ أولياء الشيطان الذين وثقوا صلتهم بالشيطان ونظموا معه حياتهم بعد أن قطعوا صلتهم بالله أو ضعفت على الأقل إذ لا يقع العبد في ولاية الشيطان وحزبه مع قوة صلته بربه أبدا . والله المستعان .

وكما أن أولياء الرحمن تتفاوت درجاتهم عند الله . كذلك يتفاوت أولياء الشيطان في بعدهم عن الله . وذلك أمر معروف بحيث لا يحتاج الى دليل .

الأمور الخارقة للعادة على أيدى أولياء الشيطان

وقدأوضحنا فيما تقدم أنه لاملازمة بين الولاية وبين الأمور الخارقة للعادة وأنها قد تظهر على أيدى غير الصالحين . وبقى أن تعرف حقيقة تلك الأمور . فهى تنقسم إلى :

١ ــ قسم يجريه الرب سبحانه على أيديهم استدراجا ليستدرجهم بها ليزدادوا إثما على إثمهم عقوبة لهم على جريمتهم جريمة عبادة الشيطان وطاعته واتخاذه وليا من دون الله . يستدرجهم من حيث لا يعلمون ويملى لهم ومن يراها أنها من الكرامات فهو إما جاهل أو متجاهل مغالط لحاجة في نفسه .

٢ ــ القسم الثاني : ما يجرى على أيدى بعضهم من قبيل السحر . وقد أثبتت التجربة ان كثيرا من الدجالين مهرة في السحر فكثيرا ما يسحرون أعين الناس فيقوم أحدهم بأعمال غريبة ومثيرة وخارجة عن المعتاد والقانون المتبع في حياة الناس مثل أن يلقى بنفسه في النار ثم يخرج منها قبل أن تحرقه أو تصيبه بأى أذى في جسمه . ومثل أن يتناول جمرة فيأكلها كما يأكل تمرة حلوة والناس ينظرون اليه فيندهشون . أو يمشى على خيط دقيق ممدود بين عمودين مثلا وغير ذلك من الاعمال التى يعرفها كل من يعرف القوم . وهو في واقع الامر لم يعمل شيئا من تلك الاعمال بل كان على حالته

العادية الا أنه سحر أعين الحاضرين فيخيل اليهم من سحره انه يفعل شيئا وأنه يطير أو يذبح نفسه أو يذبح ولده . وكل ذلك لم يقع ولا بعضه .

فالطائفة الأولى المستدرجة والأخرى السحرة هم المعروفون عند السذج من عامة المسلمين أنهم اصحاب الكرامات ولما أدرك القوم أنه قد انطلى على العوام باطلهم هذا لفرط جهل العوام وبعدهم عن الثقافة الاسلامية . استغلوا فيهم هذا الجهل وتلك السذاجة فاتخذوا الولاية المزعومة مزرعة وبابا من أبواب الدخل . فكما يطور أهل العلم معلوماتهم ، وأرباب المهن والصناعات مهنهم وصناعاتهم حتى ينتجوا أحدث المصنوعات كذلك يطور هؤلاء الاولياء أساليب دجلهم وخداعهم ليطير صيتهم وتزداد شهرتهم فيرتفع بذلك دخلهم وهذا الدخل هو الغاية عند القوم من دعوى الولاية والكرامة ومن الخداع المتطور .

ومن أحد أساليبهم المتطورة في هذا العصر ان زعم بعضهم أن هذه التكاليف الشرعية من امتثال المأمورات واجتناب المنهيات . أمور مؤقتة ولها حد تنتهى اليه ثم تسقط وزعم هذا الزاعم انه قد وصل تلك المنزلة فسقطت عنه جميع الواجبات وأبيحت له جميع المحرمات حيث لا يقال في حقه هذا حرام أو حلال . أو هذا واجب وهذا مستحب . وهو يحاول بذلك أن يقتفى أثر رئيس الملاحدة وقطب وحدة الوجود ابن عربي الطائى وشاعر تلك الملة ابن القارض ويحذو حذوهما . وتبدو الفكرة جديدة ومتطورة لدى كثير من الناس لغرابتها ولما أدخل عليها من بعض الزخرفة والزركشة حتى ظهرت الفكرة كأنها فكرة حديثة وهى في أصلها فكرة قديمة قدم كفر وحدة الوجود التى منشأها تعطيل الصفات على طريقة الجهمية المعروفة وهى فكرة يؤمن بها كل صوفي – وللأسف – ويسعى لها بأنواع من المجاهدة في زعمهم وهو سر انتقادنا للصوفية وشطحاتهم . وما يؤخذ عليهم كثير جدا لو وسعنا التعداد ، ولا يشك كل من له أدنى فقه في الدين ان فكـــرة وحدة الوجود ملة مغايرة للاسلام وآخر التطورات التى علمناها في هذا الخصوص دعوى محمود محمد طه السوداني حيث زعم أن تلكم الفكرة الالحادية التى يدعو اليها هى مضمون الرسالة الثانية من الرسالتين المحمديتين على حد زعمه حيث زعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث برسالتين اثنتين . أما الرسالة الاولى فقد بلغها . وأما الثانية فلم يبلغها . ويعلل ذلك بقوله :

ان القوم الذين بعث فيهم رسول الله أول ما بعث ليسوا على استعداد لفهمها والعمل بها لأن مستواهم العقلى لا يؤهلهم لفهمها . أما الآن وقد نضجت العقول وتقدم الفكر البشرى قد آن الآوان للدعوة اليها والعمل بها إلى آخر تلك الجعجعة ـ المثيرة للضحك والبكاء في وقت واحد . نعم انها تثير الضحك اذا نظرت اليها ككلام ساقط ليس له أى قيمة علمية وانما هو هذيان لاينطلى على العقلاء ، ومثيرة للبكاء حيث وصلنا نحن المسلمين إلى هذا المستوى من البرودة وضعف الغيرة على شريعة الله التى يتلاعب بها أمثال محمود ولا يجد رادعا يوقفه عند حده بل لا توجد غضبة إسلامية يحسب لها حساب في المجالات الرسمية . . والله المستعان .

ولعل بعض الحضور يحسب أننى أتحدث عن أساطير الأولين ، وليس الأمر كذلك بل إن صاحب هذه الدعوة حى يرزق بمقربة منا في السودان ـ كما قلت آنفا ولا يزال يعمل جادا لهدم الرسالة الأولى وليقيم على انقاضها الرسالة الثانية المزعومة لو استطاع إلى ذلك سبيلا ـ وفي الواقع أن الرجل مدع للنبوة ولكنه لم يستطع التصريح بها خشية أن يغضب الشعب السوداني غضبة اسلامية فتكون نهاية له لكنه لدهائه ولباقته استطاع ان يتظاهر بمظهر المصلح المجدد علما بأنه ليس لديه أى جديد بل تنحصر فكرته في عقيدة وحدة الوجود التى يرأسها ابن عربي الطائى الملقب بمحى الدين مع عاشقهم المعروف بابن الفارض ومن يدور في فلكها ـ كما سبق أن أشرت ـ مع محاولة السير مع الوادى حيث ما توجه . شرق أم غرب . كعادة المحترفين باسم الدين أو التجديد .

والمسألة في الأصل ـ كما قلت ـ نتيجة حتمية لعقيدة غلاة الجهمية الذين يعطلون جميع صفات الرب تعالى واسمائه حتى لا يبقى هناك الا ذات مجردة عن جميع الصفات والأسماء التى لا يتصور لها وجود في الخارج أى خارج الذهن وانما يتصوره الذهن كما يتصور المحال والأمور الخيالية ، وهذه العقيدة هى التى أفضت بالقوم الى القول بالحلول والاتحاد ليتحقق وجود الله خارج الأذهان حالا في مخلوقاته ومتحدا معهم هذا هو منشأ الحلول والاتحاد الذى هو اخر منزلة تنتهى إليها الصوفية ولها يسعون وفيها يتنافس المتنافسون منهم وهذه الفكـــرة كفر باتفاق المسلمين لانها تجعل الرب سبحانه حالا في مخلوقاته ، بل يرى شارح الطحاوية أن فكرة الحلول والاتحاد اقبح من كفر النصارى لان النصارى خصوا الحلول بالمسيح وهؤلاء عمموا جميع المخلوقات

وقديما قال زعيمهم ابن عربي:

وما الكلب والخنزير الا الهنا		وما الله الا راهب في كنيسة

هذا ما تنتهى اليه ولاية أولياء الشيطان وما قبل هذه المنزلة وسائل مفضية إلى هذه الغاية وما ارخصها من غاية وما اقبحها من كفر وهو داء لا علاج له إلا آخر العلاج وآخر العلاج الكى فلا يردع هذ الالحاد إلا قوة السلطان لأن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكن أين قوة السلطان اليوم ؟ ؟ ! ! الا ما شاء الله . .

الكرامات :

اذا كنا تحدثنا عن الأولياء وصفاتهم وأقسامهم واستطردنا بعض تصرفات أولياء الشيطان التى يظنها بعض الناس أنها من الكرامات وبينا أنها لا علاقة لها بالكرامة اذا كنا قد تحدثنا هذ الحديث فلنتحدث الان عن الكرامات وعن موقف الناس منها بل قد استطردنا لمفهوم الكرامة لدى أتباع أولياء الشيطان وبينا تصورهم الخاطىء فلنحصر بحثنا هنا في كرامات أولياء الرحمن وتحقيق القول في ذلك بتوفيق الله .

« موقف المعتزلة من كرامات الأولياء »

انقسم الناس في مسألة كرامات أولياء الرحمن الى قسمين : ناف ومثبت وعرفت المعتزلة من بين الطوائف المنتسبة الى الاسلام بنفى كرامات الأولياء بدعوى أن اثباتها يوقع في لبس اذ تلتبس الكرامة بمعجزة الأنبياء . وليس لديهم أى دليل أو شبه دليل سوى هذه الدعوى وهى دعوى ـ كما ترى ـ لا تنهض لمقاومة النصوص الصريحة التى سيأتي ذكرها ان شاء الله . وقد ناقشهم كثير من أئمة الهدى الذين عرفوا بمناضلة أهل البدع والهوى وفي مقدمتهم الامام ابن تيمية في كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » وكتاب النبوات كما ناقشهم الامام الشوكاني في بعض رسائله مثل رسالته التى سماها « بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء » ومن أراد الاطلاع على شبههم ودحضها فليراجع تلك المراجع .

« موقف أهل السنة من كرامات الأولياء »

أما أهل السنة فقد أجمعوا على اثبات كرامات الأولياء اعتمادا على النصوص التى سنذكرها الان ان شاء الله ، وفي الامكان سرد كلامهم والوقائع التى ذكروها ولكننى أرى الاكتفاء بما جاء في كتاب ربنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد نضيف الى آيات الكتاب ما صح عنه عليه الصلاة والسلام في السنة المطهرة فنكتفى بذلك لأن فيها الغنية لمستغن ، وقد قص الله علينا في كتابه العزيز عن صالحى المؤمنين الذين لم يكونوا أنبياء وكراماتهم المتنوعة . فلنستمع الى هذا النموذج من كراماتهم :

أ ـ قصة أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وثبتوا على إيمانهم وسط تلك البيئة الكافرة بعيدين عن المداهنة وقد قص القرآن علينا قصتهم البطولية اذ يقول الله عز من قائل : « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » إلى أن قال وهو يصفهم بالايمان والهدى والثبات « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه آلها لقد قلنا اذا شططا » .

فطبيعى أن هذا ليس موقف اناس عاديين ولكن الله اكرمهم بالايمان والثبات على الهدى فصارحوا جبابرة قومهم : بأنهم لا يدعون مع الله أحدا وهو اعلان بالكفر بآلهة قومهم مع الثبات على الإيمان بالله وحده وهذه كرامة وأى كرامة .

ب ـ قصة مريم التى حكاها القرآن اذ يقول الرب تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » الى آخر الآية ويقول في موضع آخر « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » .

ج ـ قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار . وقصتهم معروفة لدى جمهور الحاضرين وهم أولئكم الذين خرجوا في سفر ما ولما أدركهم الليل دخلوا غارا في الجبل ليبيتوا فيه وفي أثناء الليل سقطت صخرة عظيمة من عل فسدت عليهم باب الغار فوقعوا في حيرة من أمرهم فتشاوروا فقرروا أنه لا ينجيهم مما هم فيه الا الالتجاء الى الله فيدعونه بالأعمال الصالحة التى عملوها مخلصين له فتوسل أحدهم الى الله ببر الوالدين اذ كان له أبوان شيخان كبيران وكان يحسن اليهما ويبرهما

كأحسن ولد . ومن بره لهما كان لا يتناول عشاءه هو وأولاده قبلهما وكان عشاؤهم حليب الابل و من عادته أن يقدم لهما عشاءهما في وقت مناسب ، وفي ذات ليلة نأى به طلب الشجر لأباه . وجاء بعشائهما في وقت متأخر من الليل فوجدهما قد ناما فكره أن يوقظهما خشية أن يقطع عليهما نومهما فيعكر راحتهما كما لم يستحسن ان يتناول عشاءه قبلهما هو وأولاده فظل واقفا على رأسهما رجاء ان يستيقظا في اثناء الليل ولم يستيقظا الى أن أصبح الصبح وهو واقف والحليب في يده . فتذكر هذا العمل الجليل فدعا الله به فأكرمه الله وأجاب دعوته فنزلت الصخرة حتى دخل لهم الهواء فطمعوا في الخروج .

وأما الآخر فتوسل الى الله بعفته والخوف من الله وملخص قصته انه كانت له ابنة عم وكان يحبها كأشد ما يحب الرجل أمرأة . فراودها فامتنعت ورفضت طلبه إلى أن ألجأتها الحاجة اليه فقدم لها مبلغا من المال بقدر مائة وعشرين دينارا تقريبا مساعدة لها وسدا لحاجتها فأعاد المراودة بعد هذا الاحسان – فطالما استعبد الاحسان انسانا والح في طلبه طبعا واخيرا وافقت على تحقيق رغبته تحت الحاجة وتأثير الاحسان ونفسها غير مطمئنة بالمعصية فمكنته من نفسها فقعد منها مقعد الرجل من المرأة فصرخت في وجهه قائلة : اتق الله يا عبد الله لا تفض الخاتم الا بحقه – تعنى – الا بنكاح وبطريقة شرعية . هكذا ذكرته بالله فتذكر لأنه مؤمن . « فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » فقام من مقعده ذلكم فورا مالكا نفسه قاهرا شهوته وهواه وهو موقف صعب كما ترون .

هذا ملخص قصة صاحب العفة فقال وهو في الغار اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فأجاب الله دعوته وأكرمه بكرامته فنزلت الصخرة مرة أخرى بيد أنهم لا يقدرون على الخروج . ولكن أملهم أقوى في الخروج من ذى قبل ولا شك .

وأما الثالث : فتوسل الى الله بحفظ الامانة اذ عمل عنده اجراء كثيرون فأخذ كل أجير أجرته وذهب الا واحدا منهم فترك اجرته وذهب وبعد مدة طويلة جاء فطلب أجرته فقال له : ان كل ما تراه من الابل والبقر والغنم من اجرتك لاني نميتها لك لما طال غيابك خشية ان تضيع ، ولم يصدقه بل قال لا تستهزىء بي يا عبد الله فقال

له لست مستهزئا بك وانما الواقع ما قلته لك فسق مالك فأخيرا أخذ أمانته بنمائها وزيادتها .

فقال الذى حفظ الأمانة : وهو يتوسل الى الله بعمله هذا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فأجاب الله دعوته وأكرمه باخلاصه وصدقه فنزلت الصخرة فخرجوا يمشون . هذا ملخص قصة الثلاثة .

ومما يدل على ثبوت الكرامات من السنة – قوله عليه الصلاة والسلام ؛ : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » وقصة أسيد بن حضير وعباد بن بشر الانصاريين وملخصها «أنهما كانا عند النبي عليه الصلاة والسلام : في ليلة ظلماء فلما خرجا اضاءت عصا احدهما فمشيا في ضوئها . فلما افترق بهما الطريق أضاءت عصا الآخر فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله والقصة في صحيح البخارى في كتاب مناقب الانصار وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة عند البخـــارى في فضائل الصحابة « لقد كان فيما قبلكم من الأمم اناس محدثون فان يكن في أمتى أحد فانه عمر » وفي لفظ « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء ، فان يكن من امتى منهم أحد فعمر » .

واكتفى بهذا المقدار من نصوص الكتاب والسنة التى تثبت دون شك كرامات الأولياء وهناك نصوص أخرى كثيرة مرفوعة أو موقوفة . وكلها تثبت لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم كرامات أكرمهم الله بها . ومن راجع كتب الحديث وكتب السير يرى الشيء الكثير من الوقائع في هذا المعنى . واذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بنا إلى سرد قصص أو روايات لاثبات كرامات الأولياء من أقوال التابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم الناس هذا ليقينى الذى لا يخالطه شك بأنكم اكثر تطلعا الى سماع النصوص منكم الى سماع القصص والحكايات والروايات وهو موقف محمود تغبطون فيه ولله الحمد والمنة .

وبعد لعلى وصلت بهذه المحاولة الى بيان التصور الصحيح في مسألة الأولياء وكراماتهم على ضوء الكتاب والسنة كى يتبين الحق من الباطل . والحق أبلج والباطل لجلج والحق وسط بين التفريط والافراط .

« الموقف السليم من الأولياء »

اذا كنا قد تحدثنا عن الأولياء والكرامات وأثبتنا الولاية بشكل واضح ودعمنا حديثنا بنصوص الكتاب والسنة . ثم اثبتنا الكرامات كذلك اثباتا يعتمد على الكتاب والسنة ، بقى أن نفهم ما هو الموقف السليم في معاملة الأولياء في نظر الاسلام ؟ وقبل أن أجيب على هذا التساؤل استحسن أن أوضح السبب المثير لهذا التساؤل . وذلك هو موقف جمهور المسلمين المحزن من الأولياء وهو الغلو في الصالحين الذى يصل أحياناً إلى حد العبادة ، بدعوى المحبة والتقدير ، ومن يذهب الى تلك الأضرحة المنتشرة في أكثر عواصم المسلمين ومدنهم يرى عدداً كبيراً من المسلمين معتكفين عند تلك الأضرحة ليتبركوا بها وبأصحابها وربما وصل هذا التبرك الى حد الطواف بالضريح بل الى حد السجود على عتبة الضريح والأدهى والأمر أن يجد هذا السادن الذى يسجد لغير الله ولا يلهج لسانه الا بذكر صاحب الضريح من يفتى له بجواز ذلك وأنه ليس من باب الشرك وانما هو من باب محبة الصالحين أو التوسل بهم . وهذا المفتى أو الفتان على الأصح معدود من علماء المسلمين المشار اليهم ، والله المستعان واليه المشتكى .

انه لموقف خطير : العامى يقع في عبادة غير الله جهلا والعالم يفتى بجواز ذلك ويجد له تفسيرا وتأويلا وتخريجا ، وخطورته تأتي من حيث أصبح الولى ندا لله في هذا التصور وشريكا له في استحقاق العبادة باسم المحبة أو التبرك بفتوى ممن ينتسبون الى العلم ويجهلون حق الله على عباد الله . أعود فأقول : هذا الموقف وهذا التصور الذى يسود صفوف العوام وأشباه العوام هو الذى أثار تساؤلى :

ما هو الموقف السليم من الأولياء ؟ ؟ ! !

فأما الجواب عليه : أن الموقف السليم هو عدم الغلو فيهم مع عدم الجفاء والاستخفاف بهم وايذائهم . بل الواجب محبتهم في الله وموالاتهم ولك أن تطلب منهم الدعاء في حياتهم ويسمى الاستشفاع بهم أو التوسل بهم . ويجب أن تفرق بين محبتهم في الله ومحبتهم مع الله . ومحبتهم في الله عمل صالح وأما محبتهم مع الله فعمل غير صالح بل هو بريد الشرك أو الشرك ذاته . ويختلف ذلك باختلاف ما يقوم بقلب العبد

وسر التخبط لدى كثير من المسلمين والخلط في عباداتهم هو عدم التفريق بين الحقوق مما جعلهم يصرفون كثيرا من حقوق الله على العباد للعباد انفسهم .

« الحقوق الثلاثة »

إن الدارس لكتاب الله وسنة رسول الله والفاهم لمعنى كلمة التوحيد حق فهمها يستطيع أن يستنتج الحقوق الثلاثة التى يأتي شرحها ، ومعرفة تلكم الحقوق تحدد للعبد طريق السير الى الله والدعوة اليه على بصيرة قبل أن يخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، ويخرج عن الصراط المستقيم ويتخبط في بنيات الطريق .

١ ـ حق الله على عباده وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا في عبادته . وذلك بعد تصور مفهوم العبادة بأوسع نطاقها . وقد وجه النبي عليه الصلاة والسلام سؤالا الى معاذ ذات مرة هكذا : « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » ولم يسع معاذا إلا ان يقول : الله ورسوله أعلم فقال النبي عليه الصلاة والسلام ـ بعد أن أثار انتباهه ولعل ذلك هو المقصود من السؤال ـ قال : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » الحديث ،وهو معنى قولنا أشهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك له .

٢ ـ حق الرسول على أتباعه الذى يؤخذ من قولهم أشهد أن محمدا رسول الله وحقيقة ذلك محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام المحبة الصادقة التى تثمر الطاعة والاتباع وعبادة الله بما جاء به فقط . وهو المعنى الذى يشير اليه الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين »

٣ ـ حقوق عباد الله الصالحين تلك الحقوق التى نستطيع ان نستنتجها من قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله عليه الصلاة والسلام « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » الحديث وقوله عليه الصلاة والسلام « من عادى لى وليا فقد آذنته بحرب » . وغير ذلك من النصوص الكثيرة .

فمعرفة هذه الحقوق ، ثم اعطاء كل ذى حق حقه أمر له أهميته ولا سيما حق الله على عباده ، تجب العناية به علما و عملا لأنه الغاية التى من أجلها خلق الانسان والتقصير في هذه الغاية ذنب لا يغتفر إلا لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا .

وهذا التقصير واقع من كثير من المسلمين ـ مع الأسف الشديد ـ وهو سر اختيارنا لهذه النقطة ضمن النقاط الثلاث . رجاء أن ننبه إلى هذا الخلط الشائع بين جمهور المسلمين من إدخال بعض الحقوق في بعض ، وصرف كثير من حقوق رب العالمين لعباد الله الصالحين بدعوى محبتهم كنتيجة لهذا التقصير .

والله المستعان . .

النقطة الثانية : الشفاعة :

فلفظ الشفاعة من الألفاظ التى تغير مفهومها عما كان عليه في عرف الصحابة ولغتهم : استشفع أو توسل بفلان أى طلب منه الدعاء لتقضى حاجته عند الله من من انزال المطر أو دفع الضر أو جلب المنفعة ، فالاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته أو التوسل به هو طلب الدعاء منه ، وهذا أمر لا نزاع فيه لدى الصحابة وأتباعهم . وقد كان الصحابة يستشفعون به في عدة مناسبات ، مثل مناسبة القحط ليغيثهم الله بدعائه عليه الصلاة والسلام ، وقد يأتي اليه من فقد بصره فيطلب منه الدعاء ليرد الله له بصره فيدعو له النبي عليه الصلاة والسلام ويأمر الأعمى أن يدعو الله ليجيب الله دعاء نبيه فيفعل الأعمى ما أمر به فيرد الله له بصره بدعائه عليه الصلاة والسلام وشفاعته وشفاعة الأعمى معا . وقصة الأعمى معروفة لدى طلاب العلم .

وقد كان الأعرابي يأتي الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يخطب خطبة الجمعة فيقول : يا رسول الله انقطعت السبل وهلكت الأموال ادع الله يغيثنا ، فيرفع رسول الرحمة يديه الى السماء فيدعو الله تعالى فيغيثهم الله ، هذا وغيره يسمى شفاعة ويسمى توسلا .

وقد تغير هذا المفهوم لدى كثير من الناس فترى أحدهم يدعو رسول الله عليه الصلاة والسلام أو يدعو عبدا صالحا يطلب منه مالا يطلب الا من الحى القيوم يطلب منه شفاء مريضه . . يطلب منه نزول المطر . . يطلب الولد الى غير ذلك من المطالب .

وإذا قيل له في ذلك قال : هذا استشفاع أو توسل أو هذه محبة الصالحين فلنقارن بين المفهومين : الأعرابي يذهب الى رسول الله في مسجده فيطلب منه الدعاء ، فيقول في طلبه ادع الله يغيثنا والأعمى يتكلف الذهاب الى النبي عليه الصلاة والسلام فيطلب منه الدعاء ليرد الله له بصره .

أما اليوم : قد نرى من يجلس في منزله ايما كان منزله فيطلب نزول المطر أو رد الضالة أو غلبة العدو وما إلى ذلك من المطالب فيقول في طلبه أغثني يا رسول الله أغثنا يا جيلاني . المدد يا حسين الى غير ذلك من العبارات الوثنية التى صارت مألوفة لدى جماهير المسلمين وللأسف الشديد .

أولا : لا يكلف نفسه بالذهاب الى من يستشفع به أو يتوسل به .

ثانيا : يوجه الطلب للمخلوق دون الخالق ثم يسمى هذا الطلب توسلا أو استشفاعا ولو حاولت توجيهه اتهمت بأنك لا تحب الصالحين وتنكر التوسل بهم بل ولا تحب رسول الله الى آخر تلك العبارات التقليدية التى يرددها علماء السوء ومقلدوهم الذين حالوا بينهم وبين المفهوم الصحيح في كثير من المعاني الاسلامية عاملهم الله بما يستحقون . كم استغلوا جهل الناس وسذاجتهم وطيبة نفوسهم فصاروا لهم حجر عثرة في سبيل فهم الاسلام .

« المفهوم الصحيح للشفاعة »

نعود فنقول : لا نزاع بين جمهور الأئمة من أهل السنة أنه يجوز أن يستشفع بالنبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا في حياته كما سبق أن أشرنا إلى قصة الأعرابي وهى في صحيح مسلم . وقصة الأعمى المعروفة عند أهل السنن كما يشفع عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لأهل الكبائر من أمته الذين استوجبوا النار ليدخلوا الجنة بشفاعته عليه الصلاة والسلام ولم ينكر هذه الشفاعة إلا الخوارج والمعتزلة بناء على أصلهم المعروف من أن صاحب الكبيرة مخلد في النار مع الكفار . وهو أصل باطل مصادم للنصوص كما لا يخفى ، ومن أعظم الشفاعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام شفاعته لأهل المحشر حين يعتذر أبو البشر وجميع أولى العزم من الرسل ويقول كل واحد منهم نفسى إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب من قبله مثله ولن يغضب بعده مثله : نفسى نفسى ، في ذلك الموقف الرهيب يتقدم أهل المحشر الى سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام فيطلبون منه الشفاعة عند الله ، فيقول عليه الصلاة والسلام أنا لها فيسجد تحت عرش الرحمن سجدة طويلة يثنى فيها على الله ثناء ويحمده حمدا كثيرا ويفتح الله عليه من الثناء ما لا يعلمه قبل ذلك كما صح عنه عليه الصلاة والسلام في احاديث الشفاعة ثم يقال له يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه

فيحد الله له حدا ويتكرر منه ذلك عدة مرات . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام عند مسلم وأبي داود قوله : « أنا أول شافع وأول مشفع وأول من ينشق عنه القبر » .

وله صلى الله عليه وسلم : أنواع من الشفاعات في الآخرة كما ذكرنا أن له أنواعاً من الشفاعات في الدنيا ومعنى الشفاعة في كلتا الدارين لا يخرج عما ذكرنا من أنه طلب الدعاء ويلتقى معنى التوسل والشفاعة عند هذا المعنى بالذات كما اتضح مما تقدم . ومما يؤيد ما ذكرنا أن أصحاب رسول الله الذين رأيناهم يستشفعون برسول الله في حياته : رأيناهم مرة أخرى قد عدلوا عن التوسل والاستشفاع به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فجعلوا يتوسل بعضهم ببعض ويستشفع بعضهم ببعض : ففى عام الرمادة أصيب أهل المدينة بجفاف فجمع عمر بن الخطاب المسلمين في صعيد واحد في المدينة فقال : اللهم انا كنا اذا أجدينا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا والآن نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فطلب من العباس عم النبي الدعاء فدعا الله فأغاثهم الله .

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان مع الأسود بن اليزيد عندما اصيب المسلمون في الشام بالقحط جمع الناس فطلب من الأسود بن اليزيد أن يدعو الله تعالى فدعا الله تعالى فأجاب دعاءه فأغاثهم الله تعالى ولو كان معنى التوسل عندهم كما يظن هؤلاء العوام وأشباههم من الذهاب الى قبور الصالحين أو المراد بالتوسل بالصالحين هو التوسل بذواتهم لما عدلوا عنه عليه الصلاة والسلام بل لذهبوا الى قبره فدعوا الله عند قبره أو توسلوا بذاته لأن جسده الطاهر لا يزال في قبره لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء كما صح ذلك عنه عليه الصلاة والسلام .

فعدولهم رضوان الله عليهم عنه واستشفاع بعضهم ببعض يؤيد ما قررنا من أن معنى الاستشفاع أو التوسل هو طلب الدعاء من الحى الصالح . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في صدد حديثه في هذا المعنى : « يقول العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح . واذا كان بأهل بيت الرسول فهو أحسن(١) » كأن شيخ الاسلام يشير الى صنيع عمر مع العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام حيث استسقى به لأنه عم النبي عليه الصلاه والسلام كان سر اختياره كونه من أهل بيت الرسول .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة .

« وبعـــد »

فلو درس المسلمون حياة الصحابة وعرفهم واصطلاحاتهم بل ولغتهم ثم حاولوا أن يطبقوا حياتهم على حياة أولئك السادة لساعدهم ذلك على تصور هذه المعاني التى ساءت فيها مفاهيمهم وأخذوا يخلطون عملا صالحا وآخر سيئا ويتخبطون في عباداتهم وجميع أعمالهم لأن القوم قد باشروا الوحى وأخذوا الاسلام غضا طريا عن صاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولا يخالطنا أدنى شك في أن الصحابة فهموا هذا الدين فهما لا مزيد عليه وانحصر الحق فيما فهموه ثم لا يخالطنا أدنى شك بأنهم بلغوه لمن بعدهم كما فهموا وهكذا الذين يلونهم ثم الذين يلونهم بالجملة الى آخر القرون المفضلة الذين شهد لهم بالخيرية الصادق المصدوق محمد عليه الصلاة والسلام حيث يقول : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث . وأخيرا طرأ على المفاهيم والتصورات ما طرأ فساءت المفاهيم وتغيرت التصورات وحدثت تصورات لا وجود لها عند المسلمين الأولين في عهد الوحى وفي الذين يلونهم ليصدق قوله عليه الصلاة والسلام « ما من عام الا والذى بعده شر منه » . . والله المستعان .

ولعل المستمع الكريم استطاع أن يسايرني فيما أردت من بيان المفهوم الصحيح والمفهوم الخاطيء في باب الشفاعة والتوسل ،وأنهما بمعنى واحد ـ ولا يعدوا معناهما طلب الدعاء من الحى الذى يدعو ، وأن الخروج بهما عن هذا الاطار الى دعوة غير الله وما في معناها من أنواع العبادة فمفهوم غير سليم ، هذا ملخص ما أردنا أن نقوله في هذه النقطة والى النقطة الثالثة والأخيرة بعون الله تعالى .

« السنة النبــوية »

أيها الاخوة هكذا نصل الى النقطة الثالثة من النقاط الثلاث المختارة لحديثنا هذه المــرة وهى الســنة النبوية . ممـــا لا يختلف فيـــه اثنان ان ديننا الاســـلامى مبنى على أصلين اثنين :

الأصل الأول : أن يعبد الله وحده دون أن يشرك به غيره. وهو معنى قولنا أشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له .

والأصل الثاني : أن يعبد الله بما شرعه على لسان رسوله وخليله محمد عليه الصلاة والسلام وهو معنى قولنا : أشهد أن محمدا رسول الله .

وصحة الأصل الأول تتوقف على تحقيق الأصل الثاني . ويمكن أن نوجز معنى تحقيقه في صدق متابعة رسول الله عليه الصلاة والسلام لأن اتباعه دليل محبة الله عز وجل الذى محبته والأنس به ومراقبته غاية سعى العبد وكده وهى أيضا جالبة لمحبة الرب عبده ومغفرته له اذ يقول الرب تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ذلك لأنه رسوله المختار ليبلغ عنه دينه الذى شرعه لعباده ، وهو المبلغ عنه أمره ونهيه وتحليله وتحريمه ، فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه والدين ما شرعه . والرسول واسطة بين الله وبين عباده في بيان التشريع وما يترتب عليه من وعده ووعيده . وتبليغ وحيه الذى اشتمل على ذلك كله . قرآنا وسنة . وقد كلف بذلك بقوله تعالى « بلغ » وبقوله « لتبين » وبقوله « ادع » اذ يقول الرب عز وجل « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » . . « ما على الرسول الا البلاغ » . . « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » . . « ادع الى سبيل ربك بالحكمة » الآية .

إن هذه الآى من الذكر الحكيم تعلن بوضوح وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام وهى التبليغ والبيان والدعوة الى الله الى دينه وشريعته ، وهذه الأوامر الربانية الثلاثة تحقق غرضا واحدا وهو دلالة الخلق على الطريق الموصل الى الخالق وهو راض عنهم حتى يكرمهم في دار كرامته لقاء ما قاموا به من أداء التكاليف في هذه الدار حتى يصدق في حقه عليه الصلاة والسلام « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

انه والله رحمة مهداة ونعمة مسداة ولكن الشأن كل الشأن هل رفع أتباعه رؤوسهم لدراسة سنته كما يجب – مكتفين بها ومتجردين لها – تلك السنة التى هى ذلكم البيان وذلك البلاغ وتلكم الدعوة ؟ .

هذا هو موضوع بحثنا من هذه النقطة ؟ ! ولا يشك مسلم ما مهما انحطت منزلته العلمية وضعفت ثقافته وضحلت معرفته أن الرسول الكريم بلغ ما نزل اليه وهو القرآن وذلك لان الايمان بأن الله نزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام . وأنه بلغه كما

نزل وانه بين للناس ما يحتاج الى البيان وانه دعا الناس الى سبيل الله ولم يفتر عن الدعوة الى الله حتى التحق بالرفيق الأعلى .

إن هذا المقدار من الايمان من أصول هذا الدين وأساسه الذى ينبني عليه كل ما بعده . اذا كنا نؤمن هذا الايمان ـ ويجب أن نؤمن ـ فأين نجد بيانه الذى به يتحقق امتثاله عليه الصلاة والسلام لتلك الأوامر « بلغ » « لتبين » « ادع » الجواب نجد ذلك في سنته المطهرة التي قيض الله لها من شاء من عباده فصانوها وحفظوها من كل قول مختلق وكل معنى مزيف ، ليصدق قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » والذكر المنزل المحفوظ هو القرآن في الدرجة الأولى وتدخل السنة في الدرجة الثانية عند التحقيق وامعان النظر ! !

وهذه السنة التى يتم بها البيان المطلوب هى أقواله وأفعاله وتقريراته .

« الآحـــاد والمتواتر »

في أثناء الفتوحات الإسلامية الواسعة دخلت على المسلمين اصطلاحات أجنبية بواسطة الكتب اليونانية التى ترجمت إلى اللغة العربية في عدة علوم ومن أخطرها علم المنطق والفلسفة ، فدخلت تلكم البحوث والاصطلاحات في الالهيات ، فأفسدت على الناس جوانب خطيرة من عقيدتهم لأنها وجدت تشجيعا رسميا ودعما قويا من الخلفاء المعاصرين وفي مقدمتهم المأمون العباسى الذى تعرفون موقفه من كبار علماء المسلمين والائمة البارزين كالأمام أحمد بن حنبل ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في صدد حديثه عن موقف المأمون « ما أظن الله غافلا عما فعل المأمون بعقيدة المسلمين » .

ومن تلكم الاصطلاحات الغريبة والدخيلة تقسيم الأحاديث النبوية الى ظنية وقطعية كخطوة أولى في سحب ثقة المسلمين من أحاديث نبيهم .

فزعموا أن الآحاد من الأحاديث لا تفيد العلم ولا يجوز الاستدلال بها في باب العقيدة ، وانما يستدل في هذا الباب بالأدلة القطعية ، وهى الأحاديث المتواترة أو الآيات القرآنية ، وقد انطلى ـ وللأسف الشديد ـ على علماء الكلام هذا القول المزخرف لضعف بضاعتهم في علوم السنة وانشغالهم بالاصطلاحات الكلامية عن الكتاب والسنة

ثم جعل المتأخرون من علماء الأصول يتناقلون فيما بينهم هذا الاصطلاح وهذه الدعوى مما جعل جمهور الخلف يعتقد هذا الاعتقاد ، وظن الناس أن هذا هو معتقد المسلمين سلفا وخلفا . وخشية أن يفطن بعض الحذاق لهذا الخداع المقنع خطوا خطوة اخرى كذر للرماد في العيون . فقالوا قولة حق أرادوا بها الباطل وهى قولتهم المشهورة « أن طريقة السلف أسلم » وأوهموا الناس أن طريقة السلف مجرد سرد النصوص دون فهم لمعانيها حتى أطلق عليها بعضهم « أنها طريقة العوام » وأما الطريقة المثلى التى فيها التحقيق والتدقيق هى طريقة الخلف ، ولما هدأوا الجمهور بعباراتهم تلك مضوا في طريقهم في افساد عقيدة المسلمين وابعادهم عن سنة نبيهم ولم يقف القوم عند هذا الحد بل خطوا خطوة أخرى أخطر من التى قبلها اذ قالوا : ان باب العقيدة باب خطير ومبحث هذا الباب أساس في الاسلام فلا ينبغى أن يستدل فيه الا بدليل قطعى لا يتطرق اليه النسخ ولا يخضع للتخصيص أو التقييد . ألا وهو الدليل العقلى هذه هى الغاية في تدرجهم ، وأنت ترى أن مفهوم الدليل القطعى قد تغير ، فبينما كان المراد به في الخطوة الأولى الأحاديث المتواترة أو الآيات القرآنية فإذا يراد به هنا الدليل العقلى فقط . وأما الأدلة اللفظية أو النقلية قرآنا وسنة فلا تنهض للاستدلال بها استقلالا في هذا الباب . وانما يستأنس بها إن وافقت الأدلة العقلية القطعية . هكذا تدرج القوم في أسلوبهم الى ان عزلوا نصوص الكتاب والسنة عن وظيفتها وهى هداية الناس « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » والسنة مثل القرآن في الهداية « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما . كتاب الله وسنتى » ، « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدرى!! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه الترمذى ، وفي لفظ « ألا واني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا وإن ما حرمه الرسول مثل ما حرمه الله » أو كما قال . .

وعلى الرغم من هذه النصوص وغيرها من النصوص التى تصرخ بأعلى صوتها بأن الهداية كل الهداية والخير كل الخير في كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي سنة رسوله المبينة للقرآن المفصلة ما أجمل فيه المقيدة لإطلاقه على الرغم من ذلك كله قد التمس القوم الهدى في غير وحى الله فأضلهم الله عقوبة لإعراضهم عنه واستخفافهم بشرعه . وفي حديث على بن أبي طالب عند الترمذى

في وصف القرآن « من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » (١) .

وإذا ما عزلت النصوص كما رأينا . ولم تعد تصلح للاستدلال بها على سبيل الاستقلال فلم يبق إلا أن يرجع الناس الى ما كانوا عليه قبل الوحى وهو التحاكم الى العقول فنتيجة لذلك خاضوا بعقولهم في المطالب الالهية فتكلموا في صفات الله فاختلفت العقول وتنازعت – ولابد أن تتنازع – فافترقوا فرقا مختلفة يضلل بعضهم بعضا بل ربما كفر بعضهم بعضا وكلهم على غير هدى طبعا على تفاوت في ضلالهم .

١ – فريق يثبت بعض الصفات وينفي البعض الآخر بدعوى أن ذلك مقتضى العقل وبعبارة صريحة : إن عقول الاشاعرة والماتريدية تثبت صفات الذات كالقدرة والأرادة والعلم مثلا . وترى وجوب تأويل صفات الأفعال كالرحمة والمحبة والغضب والاستواء على العرش وغيرها من صفات الأفعال . هذا مقتضى عقول الأشاعرة وأتباعهم .

٢ – أما المعتزلة فقد انقسموا على انفبسهم فافترقوا عدة فرق فأقربهم من يثبت الأسماء مع نفي الصفات مع ملاحظة أن أسماء الله عندهم كالأسماء الجامدة التى لا تدل على المعاني ومن غلاتهم من ينفي الصفات والأسماء معا ولا يثبتون الا ذاتاً مجردة من الأسماء والصفات حتى أصبح وجود الله عندهم وجوداً ذهنيا فقط ، ولا يتصور وجوده في الخارج .

هذا ما نتج من ذلك التصرف والتلاعب بالنصوص بل عزلها عن وظائفها كما قلنا سابقا وفي النهاية استولت عليهم الحيرة واستوحشوا مع أنفسهم بعد أن فقدوا الأنس بالله ، ومهما تستّر القوم بما أبدوا من تعظيم مبحث العقيدة بتلكم العبارات المعسولة التى سبق ذكرها والتى لا تنطلى الا على من يجهل القوم على صورتهم الحقيقية ، فقدانجلى لكل دارس فاهم ما انتهى اليه أمرهم فاسمعوا معى ما قال بعض فطاحلتهم متندمين في آخر جولاتهم في علم الكلام والفلسفة ولعل الله ختم لهم بالتوبة النصوح وحسن الخاتمة يقول الرازى متندما وواصفا لحياة علماء الكلام :

(١) شرح الطحاوية

١ – نهاية اقدام العقول عقال / وغاية سعى العالمين ضلال
٢ – وأرواحنا في وحشة من جسومنا / وحاصل دنيانا أذى ووبال
٣ – ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا / سوى ان جمعنا فيه : قيل وقالوا

إلى أن قال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمفاهيم الفلسفية ، ما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الاثبات « الرحمن على العرش استوى » « اليه يصعد الكلم الطيب » واقرأ في النفى « ليس كمثله شيء » « ولا يحيطون به علما » ، ثم قال : ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى ، ويقول الشهرستاني هو الآخر : « انه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين الا الحيرة والندم حيث يقول :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها / وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر / على ذقن أو قارعاً سن نادم

وثالثهم أبو المعالى الجوينى يقول : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذى نهوني عنه والآن إن لم يتداركنى ربي برحمته فالويل لابن الجوينى وهأناذا أموت على عقيدة أمى أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور « يعنى الفطرة » .

ويحكى عن بعض تلامذة فخر الدين الرازى : واسمه شمس الدين الخسر وشاهى يحكى عنه أنه قال لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوما ، ما تعتقد ؟ قال ما يعتقده المسلمون فقال الخسر وشاهى : وأنت منشرح الصدر لذلك ومستيقن به ؟ فقال : نعم فقال : اشكر الله على هذه النعمة ، ولكنى والله ما أدرى ما اعتقد . والله ما أدرى ما أعتقد . والله ما أدرى ما أعتقد ثلاث مرات وبكى حتى أخضل لحيته ، ثم لنسمع الأبيات الآتية : لابن أبي الحديد الفاضل المعروف بالعراقي وهو يذم علم الفلسفة ويرى أن تسميتهم اياه بالنظر غير صحيحة فلنسمع نص كلامه :

فيك يا أغلوطة الفكر / حار أمرى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما / ربحت الا أذى السفر

فلا حيا الله الأولى زعموا انك المعروف بالنظر
كذبوا ان الذى ذكروا خارج عن قوة البشر

ونختتم هذه النقول بحكايتين قصيرتين ولكنهما خطيرتان :

احداهما يروى عن بعضهم : وهو « الخوفجى » انه قال عند موته : « ما عرفت مما حصلت شيئا سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح . ثم قال : الافتقار وصف سلبي أموت وما عرفت شيئا » هكذا نتركها دون تعليق لننقل لكم الحكاية الثانية والأخيرة ، وقد تحاشى الرواة ذكر اسم هذا الأخير لأمر ما وهو يقول : « أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهى ، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندى منها شيء » ويقول شارح الطحاوية : وهو يعلق على أصحاب هذه النقول بصفة عامة والاخيرتين بصفة خاصة : يقول : « ومن وصل الى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق ، كما قال أبو يوسف : من طلب الدين بالكلام تزندق » .

ومسك الختام لهذه النقول : كلام لإمام من أئمة الهدى الإمام الشافعى عرف القوم وعرف فيهم ما لا يظن وجوده عندهم فلنسمع ماذا يقول الامام « لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلما يقوله ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله ـ خير له من أن يبتلى بالكلام (١) .

وبعد : لعلى لست بحاجة الى التعليق على هذه النقول المختلفة ، بعد أن أعلن علماء الكلام أنفبسهم ممثلين في أئمتهم الذين يحتجون بكلامهم بأنهم ليسوا على شيء وأنهم قضوا أعمارهم فيما لا طائل تحته بل في كلام بعيد عن علوم المسلمين ثم توج اعلانهم ذلك كلام الامام الشافعي الذى سمعناه ولكن الذى يهمنا في المقام أن ندرك أن تلك المحاولة الجهمية الجهنمية التى قام بها علماء الكلام والتى سبق أن تحدثنا عنها والتى قدمت للمسلمين السذج بأسلوب خداع أظهر تعظيم شأن العقيدة أن تلك المحاولة هى التى نجحت ـ وللأسف وانتجت هذا الموقف الخطير على عقيدة المسلمين .

(١) شرح الطحاوية ص ٢٢٧ - ٢٢٩

« ما هو الموقف السليم »

إذا اثبتنا أن ما ذهب اليه علماء الكلام وتبعهم فيه قوم آخرون أنه غير سليم لابد أن يطرح هنا هذا السؤال : ما هو الموقف السليم إذاً ؟ ؟ ! . .

الجواب : بديهى أن الموقف السليم هو ذلك الذى كان عليه الرعيل الأول قبل أن يوجد علم الكلام بفروعه المتعددة .

وتوضيح ذلك أن السنة مثل القرآن في الاستدلال بها فيستدل بالسنة في كل مقام يستدل فيه بالقرآن ، ولا يشترط لذلك إلا صحة الثبوت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين متواترها وآحادها من حيث الاستدلال بالجملة وكل ما في الأمر أنه يقدم المتواتر على الآحاد في حالة التعارض كما يقدم الصحيح على الحسن عند التعارض وهذا معروف لدى طلاب العلم .

أما القول بأنه لا يستدل بالآحاد في باب العقيدة أو لايستدل بالأدلة النقلية على وجه الاستقلال في هذا الباب فقول مبتدع في الأسلام .

ولنبرهن على صحة ما قررنا نذكر ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه من عدم اعتبار هذه الاعتبارات المحدثة التى أحدثها من أحدثها ليلبسوا بها على المسلمين السذج الذين لا يفرقون بين الشحم والورم وبين التمرة والجمرة .

١ - بعث رسول الله معاذ بن جبل الى اليمن ليدعوهم الى الله ويبلغهم عن رسول الله وكان باليمن جماعة من أهل الكتاب : اليهود فأرشده النبى عليه الصلاة والسلام كيف يعاملهم : وأمره أن يكون أول ما يدعوهم اليه شهادة ألا إله إلا الله فان هم أطاعوه في ذلك يخبرهم بأن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة الحديث:

ومما يلاحظ ان معاذاً كلف ليدعوهم الى أصول الدين وفروعه معا وهذا يعنى أن الإسلام لا يفرق بين باب العقيدة والأحكام فكما يجوز أن يبلغ فرد واحد الأحكام الشرعية كذلك يجوز أن يبلغ فرد واحد العقيدة الإسلامية فحيث تقبل أخبار الجماعة يقبل خبر الواحد العدل هذا ما درج عليه سلف هذه الأمة فرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام الى اليمن كأبي موسى الأشعرى وعلى بن ابي طالب ورسله الى غير

اليمن وجميع دعاة الاسلام من بزوغ فجر الاسلام الى يومنا هذا كانوا يدعون الى الله أفراداً وجماعات ويبلغ بعضهم عن بعض ولا يعلم لهذا الاصطلاح ذكر في الأوساط الاسلامية فيما نعلم واذا كان كذلك فلا يكون اليوم دينا ما لم يكن دينا في عهد الوحى وما لم يعرفه أولئك السادة من الصحابة والتابعين الذين نقلوا الدين الى من بعدهم ممثلا في القرآن والسنة المطهرة . ليتضح أن هذا التصرف باطل من القول وما ترتب عليه من الأحكام التى منها التفريق بين الصفات الثابتة بالآحاد والثابتة بالمتواتر أو القرآن . والقول أن المعول عليه هو الدليل العقلى . وأما النقلى فتابع له إن وافق قبل وإلا رد كل ذلك تصرف محدث في الدين وقول في شريعة الله بلا هدى ولا دليل منير . وكل ما كان كذلك يجب رده صونا للشريعة وحفظا للعقيدة . .

وبعد : فليس بعجب أن يصاب هؤلاء العلماء الذين تحدثنا عنهم بذلك المرض – مرض علم الكلام – في تلك العصور الخالية . ثم يتوب الله عليهم فيتوبوا لأن المرض الغريب المعدى الطارىء قد ينتشر بين الناس قبل أن تعرف أعراضه لجهل الناس بحقيقته حتى يقابل بالوقاية أولا ثم بالعلاج إذا نزل ، ولكن العجيب المثير أن يعرف المرض ويصاب به من شاءالله من عباده . ثم ينزل الله الشفاء على من شاء منهم فيزول البأس فيصف أولئك المرضى –بعد أن عافاهم الله– خطورة ذلك المرض وسوء حالهم ووحشتهم عند ما كانوا مصابين به ثم ينشطوا في تحذير الناس من التعرض لاسبابه وينصحوا بالابتعاد عنه واستعمال الوقاية ضده ، وبعد هذا كله يتعرض بعض الناس لهذا المرض فيصاب به عدد كبير من شباب المسلمين . . ويعيش هؤلاء المرضى بين الأصحاء مختلطين بهم وهم لا يشعرون أنهم مرضى ومن عرف منهم أنه مريض يتجاهل مرضه ويخفيه .

هذا هو حال علم الكلام وعلماء الكلام ومثلهم أصيب الفخر الرازى والامام الجوينى والشهرستاني والغزالى وغيرهم من كبار علماء المسلمين بداء الكلام . وفي نهاية المطاف أدركوا أنهم قضوا أعمارهم فيما لا طائل تحته ، وأن علم الكلام حال بينهم وبين النظر في كتاب الله وسنة نبيه والانتفاع بهما ثم تاب الله عليهم فتابوا وألفوا كتبا تدل على توبتهم أو نشروا مقالات أو أبياتا تدل على أنهم تابوا ومما كتبه الرازى في توبته كتابه المعروف « أقسام اللذات » .

كما كتب الامام الجوينى بعد توبته رسالته المشهورة « الرسالة النظامية » .

وقد كتب الشهرستاني وهو ثالثهم كتايا أبدى فيه ندمه البالغ وهو « نهاية اقدام العقول » .

وأما الامام الغزالى فقد كتب كتابا ينصح فيه العوام وأشباههم عن الخوض في علم الكلام . وسماه « إلجام العوام عن علم الكلام » .

وبعد هذه التوبة المعلنة من هؤلاء الأئمة المجربين ونصحهم للناس ألا يقربوا علم الكلام بعد هذا كله أتى أناس أدخلوا هذا العلم في معاهد وجامعات اسلامية بعد تغيير العنوان أو الاسم فقط مع بقاء الحقائق كما كانت فسموه « مادة التوحيد » أو « مادة العقيدة » لا توحيد ولا عقيدة اللهم الا ما كان من توحيد الربوبية الذى لم يجهله أحد من بنى آدم عبر التاريخ الطويل اللهم الا ما كان من الشيوعيين الجدد في الآونة الأخيرة . من انكارهم لوجود الله متجاهلين ومعاندين . ذلك التجاهل الذى قد تمليه أحيانا أوضاع سياسية واقتصادية . حيث تنكر وجود الله بعض الجهات فترة من الزمن ليكون ذلك الانكار ثمنا لاسلحة سوفييتية متطورة .

وإذا ولت السياسة وجهها شطر الغرب اختفى الالحاد وارتفع الانكار ولو مؤقتا كنتيجة لضعف الايمان باليقين – والله المستعان .

أما توحيد العبادة فلا ذكر له الا ما كان بالاستطراد . وأما توحيد الأسماء والصفات فقد صار مفهوم التوحيد في هذا القسم نفى الصفات كلها أو بعضها .

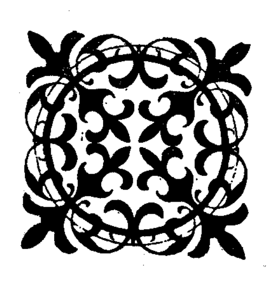
ولا أستثنى من هذه المعاهد والجامعات إلا المعاهد والجامعات السعودية التى يرجع الفضل في سلامتها من هذا الوباء – بعد الله – لدعوة محمد بن عبد الوهاب جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير ما جازى به المصلحين . وقد وقفت هذه الدعوة المباركة سدا منيعا أمام تيار الألحاد والفساد وما انحرف عن الاعتقاد . ولا تزال كذلك وقد صان الله بها عقيدة شباب هذا البلد الطيب ومن هاجر اليه أو طلب العلم في معاهده وجامعاته من الانزلاق في تلك المزالق كما هو معروف لدى الحضور ومما يبشر بالخير ان بعض المعاهد والجامعات في بعض الدول الاسلامية أخذت تنهج منهجا سلفيا في

دراسة العقيدة على قلتها ، وجلها من الجامعات الأهلية . ويحق لنا أن نقول « أول الغيث القطر ثم ينهمر » . . ولله الحمد والمنة .

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا ويختم لنا بحسن الخاتمة من هذه الحياة . انه سميع مجيب الدعاء .

وصلاة الله وسلامه الى نبيه ومصطفاه محمد وآله وصحبه . .

محمد امان بن على الجامى
كلية الحديث الشريف – والدراسات الإسلامية





بقلم سعد ندا - مركز شئون الدعوة الإسلامية بالجامعة الإسلامية

قتال المقتصرين على توحيد الربوبية :

انتهيت في الحلقة الأولى إلى أن الاقتصار على الإقرار بتوحيد الربوبية لا يعصم الدم ولا المال ـ ودليل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين الذين اقتصروا على الإقرار بتوحيد الربوبية، ودعاهم إلى الإقرار بتوحيد الألوهية ليجردوا العبادة لله وحده ـ كما قال سبحانه : (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) (١) وكما قال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) (٢) .

وما كان قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المشركين إلا ليكون الدعاء كله لله ، والاستعانة كلها بالله والاستغاثة كلها بالله ، والتوكل كله على الله ، والخوف كله من الله ، والرغبة كلها إلى الله ، والرهبة كلها من الله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، وجميع انواع العبادات كلها لله وحده لا شريك له .

ذلك أن من يقصر توحيده على إفراد الله تعالى في ربوبيته فحسب ، يعتبر مشركا ، حتى يقر بتفرد الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويقر بناء على اعترافه بخالقه

(١) سورة الجن آية ١٨

(٢) سورة الرعد آية ١٤

المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل صفات النقص - بتفرده تعالى في ألوهيته ، وبأن العبادات لا تصرف لأحد سواه ، ثم يتبع هذا الإقرار باللســان - مما استقر في القلب - بالعمل ، لأن القول وحده لا يكفى ولا يغنى شيئا ، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبرا مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (١) .

وبقدر ما ينقص العبد من أنواع التوحيد ، بقدر ما يحل في قلبه من انواع الشرك بمقدار ما ينقص ، ومن ثم فإن المقتصر على توحيد الربوبية لا يعتبر موحــدا بل يعد مشركا . .

ولا غرابة في أن يختلط الإيمان بالشرك في قلب العبد ، فالله تعالى قد أشار إلى ذلك في قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)(٢) وفي قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (٣) .

فمن الناس من يؤمن في جانب ويشرك في جانب ، والشرك في أى نوع من أنواع التوحيد مبطل للعمل الملابس له . يقول تبارك وتعالى : « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » (٤) ، كما أن المشرك ما لم يتب من شركه يحرم الجنة ، لأنه ظالم ، يقول تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) (٥) ويقول : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) (٦) .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل المشركين من العرب الذين اقتصروا على الإقرار بتوحيد الربوبية ، لأنهم بإقرارهم هذا لم يصبحوا موحدين معصــومى الدم والمال ، فإنه من باب أولى ينبغى قتال من لا يقرون بالربوبية اطلاقا ، مثل الملاحدة كالشيوعيين والطبيعيين والدهريين ومن على شاكلتهم في أى زمن يكونون ، وبأى اسم يتسمون

(١) سورة الصيف آية ٢ ، ٣
(٣) سورة الأنعام الآية ٨٢
(٥) سورة لقمان الآية ١٣
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٦
(٤) سورة الأنعام الآية ٨٨
(٦) سورة المائدة الآية ٧٢

ولكن القتال للمقتصرين على توحيد الربوبية وعلى منكريها لا يكون إلا بعد بيان الحق ودليله مما قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم ، ودعوتهم اليه فترة يبين بعدها أنهم يردون الحق ويأبون قبوله .

وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين من أهل مكة الذين كانوا قد أقروا بتوحيد الربوبية ثلاثة عشر عاما لينقلهم من الاقتصار على إقرارهم بتوحيد الربوبية إلى الإقرار بتوحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة لتصح أعمالهم وتقبل ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة مصراً على قولته (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) (١) . وقولته (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب) (٢) . فأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك وطنه الذى نشأ فيه وأحبه وتمنى لو استمر مقامه فيه، لأن أغلب القوم فيه لم يستجيبوا له في إخلاص العبادة لله وحده ، وبقيت آلهتهم التى يرفعون اليها عباداتهم قائمة ماثلة بينهم في الوجود وفي القلوب ينحتونها بمعاولهم ، ويصنعونها بأيديهم ، ثم يرفعون نفس هذه الأيدى لتلك الآلهة التى أنتجوها ، يدعونها ، ويرجونها ، ويستعينون بها ويستغيثون ، ويذبحون لها وينذرون ، ويخافون منها ، ويطمعون فيما يتصورون لديها من عطاء ، ويذلون لها ، ويخضعون عندها .

أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن آمن به بالهجرة من الوطن الحبيب الذى لم يسد فيه تجريد العبادة لله تعالى بين أغلب قومه — إلى المدينة المنورة حيث سهل في فترة وجيزة أن يعمها التوحيد الخالص . وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في تكوين الدولة الإسلامية الأولى مؤسسا إياها على عقيدة التوحيد فخرج بها أبطالا ، وقواداً ، ومثلا عليا ، وروادا أوائل ، وأمة كانت جديرة بأن يصفها الله تعالى بقوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن

(١) سورة الأعراف آية ٦٩
(٢) سورة ص آية ٥

المنكر ، وتؤمنون بالله) (١) وبقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) (٢) – ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليطهر قومها من أرجاسهم إلا فاتحاً في العام الثامن من الهجرة .

وأما المشركون في مكة فقد استمروا عاكفين على أصنامهم – التى بلغت ثلاثمائة وستين صنما ماثلة حول الكعبة طيلة إحدى وعشرين سنة من بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها ثلاث عشرة سنة مدة بقائه مبتعثا في مكة ، وثماني سنوات مهاجرا في المدينة . ولما شاء الله بالفتح انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبطال إلى مكة في عام ثمان من الهجرة ، فدخل البيت وأخذ يطعن الأصنام في عيونها بقوس في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» ، «جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد» والأصنام التى كانت مثبتة بالحديد والرصاص تتساقط على وجوهها – ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة ، فرأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام – فقال : « قاتلهم الله – أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بهما قط) فأمر بالصورة – مع آلهة داخل البيت – فأخرجت كما رأى بالكعبة حمامة من عيدان فكسرها صلى الله عليه وسلم بيده – ثم بث صلوات الله وسلامه عليه سراياه إلى الأوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى – كما أمر مناديا ينادى بمكة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره) (٣) وبهذا حطم صلى الله عليه وسلم الوثنيات من الوجود ومن القلوب ، وطهر حياة الناس من الشركيات والأرجاس ، ونادى أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) – فبدأ القوم – إلا من لم يرد الله أن يهديه – ينتقلون من الإقرار بتوحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى وحده بكل عباداتهم .

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣

(٣) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٩٨ ، ٣٠٣ طبعة دار العربية بيروت – لبنان ١٣٧٥هـ

ومن ثم يبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمر إحدى وعشرين سنة معادياً لمشركى مكة ، ومبغضاً لهم ومخاصما – مع دعوتهم لتوحيد العبادة مدة ثلاثة عشر عاما – وحتى السنة الثامنة من الهجرة ، وكان الفتح ، ووحد المعاندون ، فانقلبت العداوة محبة ، والبغضاء مودة ، والخصام ألفة ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً .

وما كان قيام العداوة والبغضاء بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين إلا تنفيذاً لأمر الله جل وعلا في الاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه في قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)(١) .

وقد أسلفنا القول بأن المقتصر على توحيد الربوبية مشرك لا يعصم دمه وماله ، بيد أنه يبين له الحق بالدليل – لينتقل إلى توحيد العبادة لله تعالى – فترة يتأكد فيها قبوله الحق أو رده ، فإن رده قوتل كما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين .

يقول الإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني في جهاد المشركين : (٢)

(فإن قلت : فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم ، والسلوك فيهم ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين (أى من قتال وأسر وقتل واستتابة) قلت إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم ، فقالوا : يجب أولا دعاؤهم إلى التوحيد ، وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر ، لا يغني عنهم من الله شيئا ، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه ، وإفراد التوحيد – اعتقادا و عملا – لله وحده وهذا واجب على العلماء . أى بيان أن ذلك الاعتقاد الذى تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم – فإذا أبان

(١) سورة الممتحنة آية ٤

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ص ٣٩

العلماء ذلك للأئمة والملوك ، وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين) ـ وهكذا ينبغى أن يكون موقف الموحد من المشرك المقتصر على توحيد الربوبية كما كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المشركين .

هل يقع في الربوبية شرك ؟

والشرك يقع في الربوبية على النحو التالى :

أن الرب هو الملك : وأصل الملك هو الربط والشد ـ واملاك المرأة ربطها بزوجها ـ والملك هو النافذ في ملكه . وليس كل مالك ينفذ أمره وتصرفه فيما يملكه فالملك أعم من المالك . والله تعالى المالك المطلق المالكية على المالكين (١) جميعا ، وسيادته وسلطانه عليهم جميعا . فمن يعتقد أن لمخلوق ما ملكا وسيادة وسلطانا على الإطلاق بلا حدود ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى ـ لذا يقول سبحانه : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك » (٢) ويقول « ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما » (٣) .

والرب هو الخالق : وأصل الخلق التقدير ـ وقال تعالى « وتخلقون إفكا » (٤) أى تقدرونه وتهيئونه ـ ومنه يقال : حديث مختلق : أى قدر تقدير الصدق ، وهو كذب ـ فالخلق في اسم الله تعالى : هو ابتداء تقدير النشء ـ فالله تعالى خالقها ومنشئها ، وهو متممها ومدبرها (٥) (فتبارك الله أحسن الخالقين) (٦)

فمن يعتقد أن هناك من يخلق شيئا غير الله سبحانه ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى ـ لذلك يقول سبحانه « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (٧) ، ويقول « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » (٨) ، ويقول « أم خلقوا

(١) تفسير اسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٠ (بتصرف)
(٢) سورة الحشر آية ٢٣
(٣) سورة المائدة آية ١٧
(٤) سورة العنكبوت آية ١٧
(٥) مرجع الزجاج السابق ص ٣٦ ، ٣٧ (بتصرف)
(٦) سورة المؤمنون آية ١٤
(٧) سورة النحل آية ١٧
(٨) سورة لقمان آية ١١

من غير شيء أم هم الخالقون » (١) ؟ ويقول « أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » (٢) ؟

والرب هو البارىء : يقال برأ الله الخلق – فهو يبرؤهم برءا : إذا فطرهم والبرء خلق على صفة – فكل مبروء مخلوق ، وليس كل مخلوق مبروءا إذ البرء من تبرئة الشيء من قولهم : برأت من المـــرض ، وبرئت من الدين أبرأ منه – فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمى فاعله بارئاً وفي البخارى من قول على رضى الله عنه (لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة) وقال أبو على الفارسى : هو المعنى الذى به انفصلت الصور بعضها عن بعض فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو ، وصورة حمار مفارقة لصورة فرس ، فتبارك الله خالقاً بارئاً (٣) – فمن يعتقد أن هناك من يبرأ شيئاً غير الله سبحانه فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى – لذا يقول سبحانه « هو الله الخالق البارىء » (٤) .

والرب هو المصور : أى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ، ولا رسم ارتسمه(٥) . فمن يعتقد أن أحداً غير الله يصور الأشياء ويشكلها على ما يريد فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى – لذا يقول سبحانه « هو الله الخالق البارىء المصور » (٦)

والرب هو الرزاق وهو الرازق : والرزق إباحة الانتفاع بالشىء على وجه يحسن ذلك(٧) – قال تعالى : « ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا » (٨) – فمن يعتقد أن أحداً غير الله يملك إجراء رزق للخلق أو منعه عنهم ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى – لذا يقول سبحانه « كلوا واشربوا من رزق الله » (٩) ، ويقــول « له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »(١٠) ، ويقول « وفي السماء رزقكم وما توعــدون »(١١)

---

(١) سورة الطور آية ٣٥
(٢) المرجع السابق ص ٣٧
(٣) المرجع السابق ص ٣٧
(٧) المرجع السابق ص ٣٨
(٩) سورة البقرة آية ٦٠
(١١) سورة الذاريات آية ٢٢
(٢) سورة الواقعة آية ٥٩
(٤) سورة الحشر آية ٢٤
(٦) سورة الحشر آية ٢٤
(٨) سورة النحل آية ٧٥
(١٠) سورة الشورى آية ١٢

ويقول « إن هذا لرزقنا ما له من نفاد »(١)، ويقول « وكأى من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم » (٢) ويقول « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض . لا إله إلا هو فأنى تؤفكون » ؟ (٣) .

وعلى هذا فإن ما نراه في هذا الزمن من خوف بعض الناس من رؤسائهم ، فينافقونهم ويتملقون لهم خشية أن يقطعوا – في زعمهم – عنهم أرزاقهم ، إنما هو شرك في الربوبية ، فالله تعالى وحده هو الرزاق دون غيره – إذ يقول تعالى : « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٤) .

والرب هو المبدى : والمبدى هو الذى ابتدأ الأشياء كلها ، لا عن شيء فأوجدها – ويقال بدأ وأبدأ – ويقال بادىء ومبدئ (٥) ويقول تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده » (٦) فهذا من البادىء ، ويقول تعالى : « إنه هو يبدئ ويعيد » (٧) وهذا من المبدىء .

والرب سبحانه هو المبدى إذ هو الأول أى متقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها ، فالأشياء كلها وجدت بعده ، وقد سبقها كلها (٨) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه اذا أوى إلى فراشه (. . أنت الأول فليس قبلك شي ء) . فمن يعتقد أن هناك مبديا غير الله تعالى لشيء من الخلق فقد أشرك مع الله تعالى في الربوبية .

والرب هو المعيد : والمعيد هو الذى يعيد الخلائق كلهم ليوم الحساب كما أبدأهم(٩) – ويقول تعالى « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده » (١٠) .

والرب سبحانه هو المعيد اذ هو الآخر أى المتأخر عن الأشياء كلها

(١) سورة ص آية ٥٤
(٢) سورة العنكبوت آية ٦
(٣) سورة فاطر آية ٣
(٤) سورة الذاريات آية ٥٨
(٥) مرجع الزجاج ص ٥٥
(٦) سورة الروم آية ٢٧
(٧) سورة البروج آية ١٣
(٨) مرجع الزجاج ص ٦٠
(٩) مرجع الزجاج ص ٥٦
(١٠) سورة الروم آية ٢٧

ويبقى بعدها (١)- ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة السابق : (. . وأنت الآخر فليس بعدك شيء) - فمن يعتقـد أن هنـاك معيدا - غير لله تعالى - لشيء من الخلق فقد أشرك مع الله تعالى في الربوبية .

والرب هو المحيي المميت : فالمحيي الذى أحيا الخلق بأن خلـق فيهم الحياة ، وأحيا الموات بإنزال الحيا وإنبـات العشب ، وعنهما تكون الحياة (٢) .

والمميت الذى خلق الموت كما خلق الحياة ، لا خالق سواه ، استأثر بالبقاء ، وكتب على خلقه الموت(٣) .

وإذا كان الرب سبحانه هو وحده خالق الحياة وخالق الموت ، فلم يخاف العبد من غير ربه جل وعلا ؟ أليس يقول سبحانه (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)(٤) .

إن هذا الذى يمتلىء قلبه رعباً من المخلوقين ، ويظن أن بيدهم إبقاء حياته أو إنهاءها ، فتتلون معاملاته لهم نفاقاً بوجوه متعددة حفاظاً على حياته ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى - فالله وحده هو الذى يملك الحياة إيجاداً وإعداماً . فيقول سبحانه : (وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) (٥) - ويقول « إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت » (٦) - ويقول « لا إله إلا هو يحيي ويميت ربـكم ورب آبائكم الأولين » (٧) . ويقول « الله الذى خلقكم ثم رزقكـم ثم يميتكم ثم يحييكم » (٨) . ويقول « وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور » (٩) .

والرب هو النافع الضار : فمن يعتقد أن مخلوقا ما دون الله يملك نفعه أو ضره فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى - يقول سبحانه« وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا » (١٠)- ويقول

(١) مرجع الزجاج ص ٦٠
(٢) مرجع الزجاج ص ٥٦
(٣) مرجع الزجاج ص ٥٦
(٤) سورة الملك آية ٢
(٥) سورة الحجر آية ٢٣
(٦) سورة التوبة آية ١١٦
(٧) سورة الدخان آية ٨
(٨) سورة الروم آية ٤٠
(٩) سورة الحج آية ٦٦
(١٠) سورة يونس آية ٢١

« وإذا اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى » (١) ـ ويقول « ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى» (٢) ويقول « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك » (٣) ويقول « قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا » (٤) ويقول « قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا »(٥) ويقول تعالى عن إبراهيم حين عاب على قومه عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر (واتل عليهم نبأ ابراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ـ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعـون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟) ـ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ، وطويت الصحف) .

ومن ثم فلم الخوف من الخلق ؟ ولم الجبن من قول الحـق ؟ ولم ارتعاد الفرائص ممن يتجبرون في الأرض ويتسلطون بغيا وعدوا ؟ ما دام أن النفع والضر لن ينال أحدا إلا بما كتبه الله عنده في الأزل ، ولا يملك مخلوق مهما أوتي من سلطان علمه أو تغييره ؟ وما دام أن الخير والشر بيد الله سبحانه ، وأنه مسبب كل خير ، ودافع كل شر ؟ إن اشراك الخـلق في هاتين الصفتين (النفع والضر) مع الله تعالى أفسـد على الناس قلوبهم وحياتهم وجعلهم يعيشون في رعب وظلام .

فالرب هو المعطى المانع : فهو سبحانه يعطى ما أحب عطاءه تفضلا

---

(١) سورة هود آية ١٠

(٢) سورة فصلت آية ٥٠

(٣) سورة يونس آية ١٠٦

(٤) سورة المائدة آية٧٦

(٥) سورة الفتح آية ١١

وإصلاحا ، ويمنع ما أحب منعه حكمة وصلاحا (١) - فمن يعتقد أن أحداً يملك العطاء أو المنع مع الله ، أو يملك العطاء لما منع الله ، أو المنع لما أعطى الله ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى - يقول سبحانه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم) (٢) ويقول « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير) »(٤) ويقول « وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »(٣) - ويقول « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد» (٥) - ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه عند رفعه من الركوع في الصلاة « ربنا لك الحمد ، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لا مانع لما اعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » .

ومن ثم فلم التزلف والتملق للخلق؟ ولم يمحو الناس شخصياتهم فيذوبون في غيرهم ذلالهم وخضوعا ؟ ولم يتقربون اليهم بكافة الوسائل حتى غير المشروعة في صغار ومسكنة ؟ لم كل هذا وهم لا يملكون لهم عطاء ولامنعا ؟ لو أنهم آمنوا أن العطاء والمنع بيد الله تعالى وحده ، لعزت نفوسهم ، وارتفعت اقدارهم ، وعاملوا غيرهم على أن أنهم مثلهم عبيد لله يعطيهم الله تعالى حين يشاء ، ويمنع عنهم عطاءه حين يشاء. ولرأينا تغيرا بينا في سلوك الناس ومعاملاتهم بعضهم لبعض .

إنك لا تدخل الآن هيئة ولا مؤسسة حكومية أو غير حكومية في أى بلد - إلا من رحم الله وأعز بتطبيق

(١) مرجع الزجاج ص ٦٣ (بتصرف)
(٢) سورة فاطر آية ٢
(٣) سورة آل عمران آية ٢٦
(٤) سورة الحديد آية ٢١
(٥) سورة فاطر آية ١٥

شريعته – إلا وتجد المرؤوسين أقزاما أذلاء فزعين هلعين لدى رئيسهم ، تعرف في وجوههم ذل الانكسار ، وهوان الاستسلام ، وكأن حبلا لف حول أعناقهم يجرهم به كما يهوى رئيسهم في أى لحظة من ليل أو نهار .

إن المسلم الموحد بعزة الله – لتوحيده بعزته ، فلا يهاب أحداً من الخلق فيتملقه رغبة عطاء أو خشية منع ، إذ قد آمن بأنه لا معطى لما منع الله ، ولا مانع لما أعطى الله رب العالمين .

والرب هو المدبر لأمر هذا الكون كله : فمن يعتقد أن أحدا ما غير الله تعالى يملك تدبير الأمر في هذا الكون ، ويصرف شئونه ، فقد أشرك في الربوبية مع الله تعالى ، وذلك كما يعتقد بعض الغارقين في الجهل أن هناك أقطابا من الموتى وأبدالا من الأولياء الصالحين لهم قدر من التصرف في حياة الناس فيستطيعون أن يولوا ويعزلوا ، ويعطوا ويمنعوا ، ويضروا وينفعوا – وأن لهم ديوانا يعقد كل ليلة تترأسه (السيدة زينب بمصر) ويلقبونها بأم هاشم ، فتصدر منه القرارات والأوامر بنجاح فلان وفشل الآخر ، وربح فلان وخسارة الآخر ، وإشقاء هذا وإمراض ذاك ، وإفقار هذا وإغناء غيره ، والانتقام ممن يتقرر في الديوان أن ينتقم منه – لذلك تجد العوام عندما يمسهم ضر ينادون مستغيثين : (يا رئيسة الديوان يا أم هاشم) عليك بفلان أو بفلان ، وانتقمى من هذا أو من ذاك – وغير ذلك مما يطلبون به تفريج الكروب لاعتقادهم أنها تقضى لهم في الديوان برئاستها إياه – كل ما يطلبون – إذ أن لها – مع غيرها من الأقطاب التصرف في الأمر ، ولذلك اشتهر على ألسنة أولئك العوام قولهم (الأربعة المتصرفون في الكون) وبذلك سلبوا الله تعالى صفة التدبير وحكموا عليه بالعجز – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا – إنه لا مدبر لأمر هذا الكون سوى الله تعالى – بقوله سبحانه (يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) (١) – ويقول « يدبر

---

(١) سورة الرعد آية ٢

الأمر من السماء إلى الأرض » (١) ولا مصرف لشئون خلقه إلا هو جل وعلا – يقول تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٢) – ويقول « إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون – واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون »(٣)

فمن من الناس يستطيع أن يدبر أمر أي مخلوق – فضلا عن أن يدبر أمر نفسه أو يصرف شأنا من شئونه ؟

إن مشكلة هينة تطرأ للانسان ، فيقضى أياماً وليالى حائراً ذاهلا ، مفكراً ، مستشيراً غيره ، باذلا كل طاقاته ليصل إلى حل لمشكلته فيعجز ويدعها كما طرأت معقدة ، مستسلما لها ، معلنا فشله في حلها هو ومن معه جميعا .

ويمرض المريض فيقف أمام مرضه عاجزا ، ويستدعى الطبيب ليعالجه حتى يبرأ من مرضه ، فيفحصه الطبيب ، ثم يصف له الدواء ، ويقضى أياما وليالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ثم ينفد الدواء ، ودواء ثان ، وثالث ورابع ، والداء متمكن في المريض ، بل قد يزداد خطره ولا يبرأ . فيدع المريض مرضه كما هو ، مستسلما له ، معلنا فشله في القضاء عليه هو ومن معه جميعا .

فهل من يعلن استسلامه وعجزه التام هكذا فيما يطرأ على نفسه هو ، يملك أن يدبر من أمر هذا الكون شيئا ؟ .

إن العبد المؤمن الموحد يقر موقنا أن الله وحده هو مدبر كل أمور هذا الكون ومصرف شئونه – فهذا إبراهيم – خليل الله – عليه السلام

(١) سورة السجدة آية ٥

(٢) سورة البقرة آية ١٦٤

(٣) سورة الجاثية آية ٣ ، ٤ ، ٥

يعلن ذلك في صراحة عبر عنها قوله تعالى : (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ؟ أنتم وآباؤكم الأقدمون ؟ فإنهم عدو لى إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين - والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين - والذى يميتنى ثم يحيين - والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) (١)

وتدبير الله تبارك وتعالى وتصريفه يتم فور الأمر به بحرفين (الكاف والنون) . يقول سبحانه (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن فيكون)(٢) ويقول (إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون) (٣) - ويقول (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له : كن فيكون) (٤) - ويقول (سبحانه إذا قضى امراً فإنما يقول له : كن فيكون) (٥) ويقول (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون) (٦) .

فهل يملك إنسان مهما أوتي من قوة وثروة وسلطة أن يدبر أمراً في هذا الكون أو يصرف شأنه بقوله : كن فيكون ما يريد ؟ لا يجرؤ أحد إلا أن يجيب بالنفى وعلى من يرون الأجابة بالإثبات أن يقولوا لأنفسهم ومن يلف لفهم : (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

مقتضى الإقرار بالربوبية :

ويقتضى الإقرار بالربوبية أن العبد لا يعتقد نفعا ولا ضرا ، ولا حركة ولا سكونا ولا قبضا ولا بسطا ، ولا خفضا ولا رفعا ، ولا اعطاء ولا منعا ، ولا إحياء ولا إماتة ، ولا تدبيرا ولا تصريفا ، إلا والله سبحانه وتعالى هو فاعله وخالقه ، لا يشركه في ذلك ولا يملك واحد منه شيئا .

كما يقتضى الإقرار بالربوبية أن يتوصل العبد بها إلى الإقرار بالألوهية فيجردها لله تعالى ، فلا يصرف أى نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى .

(١) سورة الشعراء آية ٧٥ إلى ٨٢
(٢) سورة البقرة آية ١١٧
(٣) سورة آل عمران آية ٤٧
(٤) سورة النحل آية ٤٠
(٥) سورة مريم آية ٣٥
(٦) سورة يس آية ٨٢

وقد حصر الله تعالى ذلك في قوله « إياك نعبد وإياك نستعين »(١) ، فقوله « إياك نعبد » إشارة إلى تجريد العبادة له سبحانه مما يقتضيه تفرده بالألوهية وقوله « وإياك نستعين » إشارة إلى ما يقتضيه تفرده تعالى بالربوبية .

الرب هو المربي لخلقه :

والرب سبحانه وتعالى هو الخالق المنعم على خلقه ، المربي والهادى لخلقه بنعمه ولما سأل فرعون موسى عليه السلام « قال : « فمن ربكما يا موسى » (٢) ؟ رد عليه موسى عليه السلام ردا موجزا شافيا (قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (٣) وإن من له أدنى بصيرة يتبين الفروق الواضحة بين الخالق سبحانه والمخلوق ، منها ما يلى (٤)

١ ـ أن الرب تعالى غنى بنفسه عما سواه ، ويمتنع أن يكون مفتقرا إلى غيره بوجه من الوجوه ـ لهذا جاء في الحديث القدسى « يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعوني ، يا عبادى انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نفص ذلك من ملكى شيئا ـ يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكى شيئا ـ يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» (٥) .

٢ ـ أن الرب تعالى ـ وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويرضى ويفرح بتوبتة التائبين ـ ليس بحاجة إلى شيء من ذلك ـ ويبين هذا من الحديث السابق . فضلا عن أنه سبحانه هو الذى يخلق ذلك كله وييسره ،

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥

(٢) سورة طه آية ٤٩

(٣) سورة طه آية ٤٩

(٤) مجموعة الفتاوى ص ٢١٥ ، ٢١٦ بتصرف

(٥) » » » » »

فلا يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته – والله تعالى يقول « والله خلقكم وما تعملون » (١) ، ويقول « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » (٢) .

٣ – أن الرب تعالى أمر عباده بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم كما قال قتادة رضى الله عنه (إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته ولا ينهاهم عما نهاهم عنه بخلا عليهم بل أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم بخلاف المخلوق الذى يأمر غيره بما يحتاج اليه وينهاه عما ينهاه بخلا عليه) .

٤ – أن الرب تعالى هو المنعم على عباده بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم ، وهو المنعم بالقدرة والحواس وغير ذلك مما يحصل العلم والعمل الصالح ، وهو الهادى لعباده فلا حول ولا قوة إلا به . لهذا يقول أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (٣) – ولا يقدر المخلوق ولا يقوى على شىء من ذلك .

٥ – أن نعم الرب المنعم تعالى على **عباده** أعظم من أن تحصى – يقول سبحانه « وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها » (٤) ولو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم توف العبادة شكر قليل منها . فكيف والعبادة إنما هى من نعم المنعم سبحانه وتعالى ؟ .

٦ – أن العباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفوه تعالى ومغفرته ، مهما اجتهدوا وعملوا ، فلن يدخل أحد الجنة بما يعمله – يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يدخل احد الجنة بعمله – قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) . وما من أحد من العباد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله لها ، ولو آخذهم بما يعملون ، لأخذ الجميع أخذ عزيز مقتدر . يقول تعالى :

---

(١) سورة الصافات آية ٩٦
(٢) سورة الإنسان آية ٣٠
(٣) سورة الأعراف آية ٤٣
(٤) سورة ابراهيم آية ٣٤

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً » (١) .

ولما كان الرب سبحانه هكذا وحده خالقاً منعما بكل أنواع النعم مدبراً لكل ما خلق مصرفاً لشئونه ، وفهم ذلك عباده الصالحون فإننا نلمح أكثر دعواتهم جاءت بلفظ « الرب » إذا أن مطـــالبهم كلهـــا تتضمنها الربوبية الخاصة التي تعني تربيته تعالى بالوحي وبنعمة الإيمان ، وبتوفيقهم وعصمتهم ، ودفع الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه سبحانه ، وخلاصتها تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر ، هذا فضلا عن الربوبية العامة التي تعني خلقه تعالى للخلق ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

ومن أمثلة دعاء عباد الله الصالحين لله تعالى بلفظ « الرب » ما ورد في القرآن العظيم فيما يلي :

١ ـ قوله تعالى عن نوح عليـــه السلام :

(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) (٢) ـ وقوله (قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ((٣) .

٢ ـ وقوله تعالى أيضا عن نوح عليه السلام :

(قال رب إني دعوت قومى ليلا ونهاراً ـ فلم يزدهم دعـــائى إلا فراراً) (٤) ـ وقوله (قال نوح رب انهم عصـــوني واتبعـــوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) (٥) ـ وقوله : (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ـ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً . رب اغفر

---

(١) سورة فاطر آية ٤٥

(٢) سورة هود آية ٤٥

(٣) سورة هود آية ٤٧

(٤) سورة نوح آية ٥ ، ٦

(٥) سورة نوح آية ٢١

لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً) (١) .

٢ – قوله تعالى عن إبراهيم واسماعيل عليهما السلام :

(وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم – ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) .

٣ – وقوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام :

(وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى ومن عصاني فإنك غفور رحيم . ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون – ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربي لسميع الدعاء – رب اجعلنى مقيم الصلاة و من ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء – ربنا اغفر لى ولوالــدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) .

٤ – وقوله تعالى أيضا عن ابراهيم عليه السلام :

(رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق في الآخرين واجعلنى من ورثــة جنة النعيم ، واغفر لأبي إنه كان من الضالين ، ولا تخــزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتي الله بقلب سليم) (٢) .

٥ – وقوله تعالى عن موسى عليه السلام :

(قال رب إني لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٣)

---

(١) سورة نوح آية ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

(٢) سورة الشعراء آية من ٨٣ – ٨٩

(٣) سورة المائدة آية ٢٥

٦ – وقوله تعالى أيضا عن موسى عليه السلام :

(وقال موسى ربنا إنـك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) (١) .

٧ – وقال تعالى أيضا عن موسى عليه السلام :

(وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين – قوم فرعون ألا يتقون – قال رب اني أخاف أن يكذبون – ويضيق صدرى ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون – ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) (٢)

٨ – وقوله تعالى أيضا عن موسى عليه السلام :

(قـال رب إني ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم – قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) (٣) – وقوله (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين)(٤) وقوله (فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير) (٥) . . وقوله (قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إني أخاف أن يكذبون) (٦) .

٩ – وقوله تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام :

(قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) (٧) .

١٠ – وقوله تعالى عن زكريا عليه السلام :

(كهيعص – ذكر رحمة ربك عبده زكريا – إذ نادى ربه نداء خفيا – قال رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا – وإني خفت الموالى من ورائى

---

(١) سورة يونس آية ٨٨

(٢) سورة الشعراء آية من ١٠ – ١٤

(٣) سورة القصص آية ١٦ ، ١٧

(٤) سورة القصص آية ٢١

(٥) سورة القصص آية ٢٤

(٦) سورة القصص آية ٣٣ ، ٣٤

(٧) سورة المائدة آية ١١٤

وكانت امرأتي عاقراً فهب لى من لدنك وليا - يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) (١) .

وقوله (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) (٢) - وقوله (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) (٣)

١١ - وقوله تعالى ايضا عن زكريا عليه السلام :

(هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (٤) - وقوله : (قال رب أني يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء - قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار) (٥)

١٢ - وقوله تعالى عن أيوب عليه السلام :

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) (٦) .

١٣ - وقوله تعالى عن لوط عليه السلام :

(رب نجنى وأهلى مما يعملون) (٧)

١٤ - وقوله تعالى أيضا عن لوط عليه السلام :

(قال رب انصرني على القوم المفسدين) (٨) .

١٥ - وقوله تعالى عن يوسف عليه السلام :

(قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ، وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) (٩) .

وقوله : (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) (١٠) .

١٦ - وقوله تعالى عن محمد صلى

---

(١) سورة مريم آية ١ - ٦
(٢) سورة مريم آية ٨
(٣) سورة مريم آية ١٠
(٤) سورة آل عمران آية ٣٨
(٥) سورة آل عمران آية ٤٠ - ٤١
(٦) سورة الأنبياء آية ٨٣
(٧) سورة الشعراء آية ١٦٩
(٨) سورة العنكبوت آية ٣٠
(٩) سورة يوسف آية ٣٣
(١٠) سورة يوسف آية ١٠١

الله عليه وسلم (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) (١) .

١٧ - وقوله عن أمرأة عمران :

(إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم ، وإني أعيذها بك وذريتها من الشـيطان الرجيم) (٢) .

١٨ - وقوله تعالى عن مريم :

(قالت رب أني يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (٣) .

١٩ - وقوله تعالى عن امرأة فرعون:

(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا في الحنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القـوم الظالمين) (٤) .

٢٠ - وقوله تعالى عن أولى الألباب :

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار - ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا - ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار - ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (٥) .

٢١ - وقوله تعالى عن عباد الرحمن :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - والذى يبيتون لربهم سجدا وقياما - والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) (٦) .

وقوله تعالى أيضا عنهم : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين

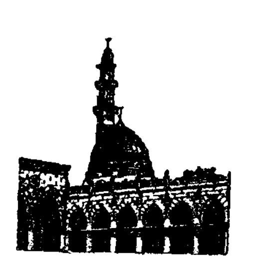
(١) سورة الجن آية ٢٠
(٢) سورة آل عمران آية ٣٥ ، ٣٦
(٣) سورة آل عمران آية ٤٧
(٤) سورة التحريم آية ١١
(٥) سورة آل عمران آية ١٩٠ - ١٩٤
(٦) سورة الفرقان آية ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

إماماً) (١) .

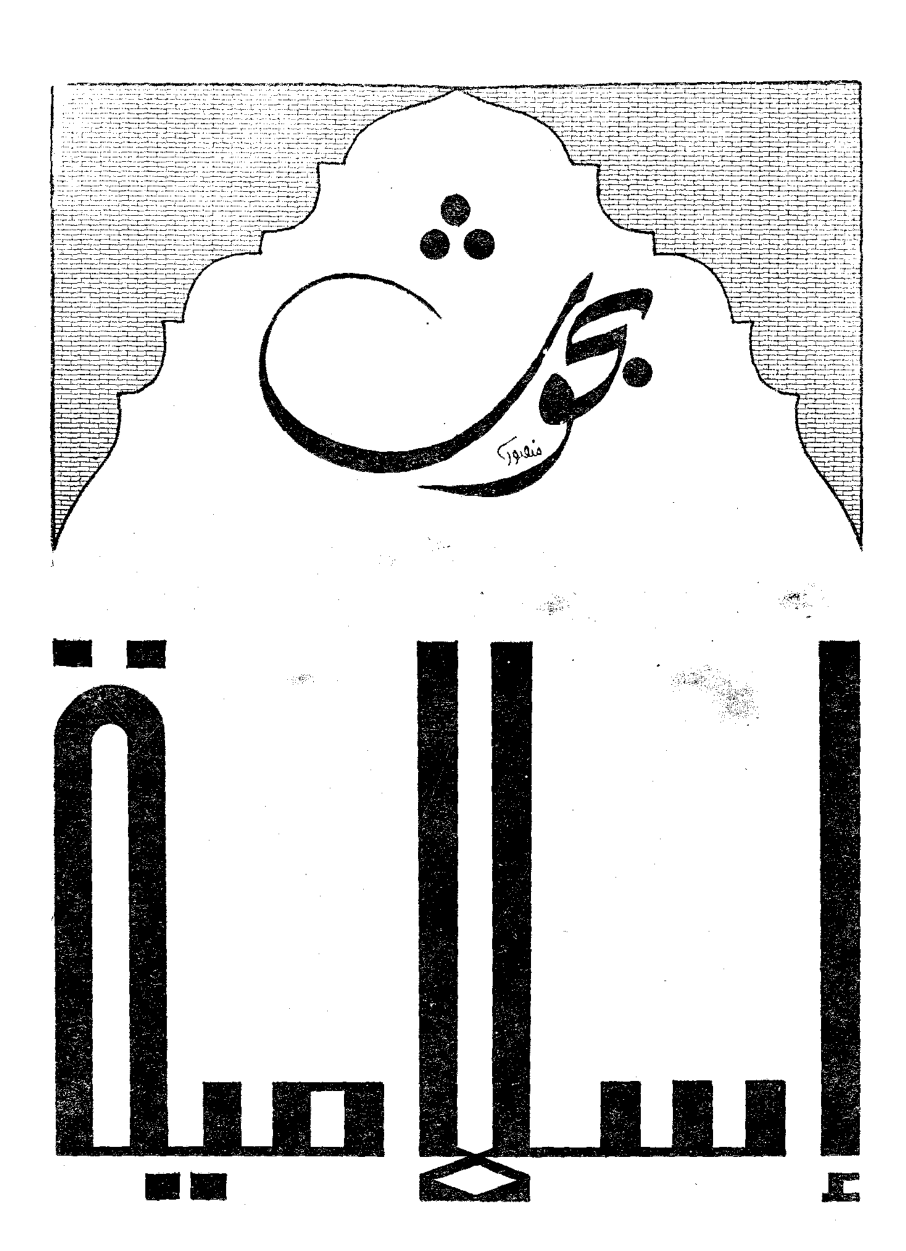
٢٢ ـ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم :

(اللهم رب السموات السبع والأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنى الدين واغننى من الفقر) .

سعد ندا
مركز شئون الدعوة الإسلامية
بالجامعة الإسلامية



(١) سورة الفرقان آية ٧٤



بحوث
إسلامية



بسم الله . . والحمد لله . . والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . .

أما بعد : فإلى حجاج بيت الله الحرام أقدم هذه الوصايا عملا بقول الله سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قيل لمن يا رسول الله قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)

الأولى : الوصية بتقوى الله تعالى في جميع الأحوال . والتقوى هي جماع الخير وهي وصية الله سبحانه ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) وقال سبحانه : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي في خطبه كثيرا بتقوى الله وحقيقة التقوى أداء ما افترض الله على العبد وترك ما حرم الله عليه عن اخلاص لله ومحبة له ورغبة في ثوابه وحذر من عقابه على الوجه الذى شرعه الله لعباده على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو أحد علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم (تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر) وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله : (ليست تقوى الله بصيام النهار ولا قيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله أداء ما افترض الله وترك ما حرم الله فمن رزق بعد

ذلك خيرا فهو خير الى خير) وقال طلق بن حبيب التابعى الجليل رحمه الله (تقوى الله سبحانه هى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله) وهذا كلام جيد ومعناه أن الواجب على المسلم أن يتفقه في دين الله، وأن يتعلم ما لا يسعه جهله حتى يعمل بطاعة الله على بصيرة ويدع محارم الله على بصيرة ، وهذا هو تحقيق العمل بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان الشهادة الأولى تقتضي الإيمان بالله وحده وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه واخلاص جميع الأعمال لوجهه الكريم رجاء رحمته وخشية عقابه .

والشهادة الثانية : تقتضي الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله الى جميع الجن والانس وتصديق أخباره واتباع شريعته والحذر مما خالفها وهاتان الشهادتان هما أصل الدين واساس الملة ، كما قال الله تعالى (شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) وقال سبحانه : (والهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم) ، وقال عز وجل : (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

الثانية : أوصى جميع الحجاج والزوار وكل مسلم يطلع على هذه الكلمة بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها والعناية بها وتعظيم شأنها والطمأنينة فيها ، لأنها الركن الأعظم بعد الشهادتين و لأنها عمود الأسلام ولأنها أول شيء يحاسب عنه المسلم من عمله يوم القيامة ولأن من تركها فقد كفر ، قال الله سبحانه وتعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) وقال عز وجل : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال جل شأنه (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) الى ان قال سبحانه (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة) أخرجه مسلم في صحيحه وقال أيضا عليه الصلاة والسلام (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة

فمن تركها فقد كفر) خرجه أحمد وأهل السنن باسناد صحيح وخرجه الامام احمد باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور وبرهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وابي بن خلف) .

قال بعض أهل العلم في شرح هذا الحديث ، وانما يحشر من ضيع الصلاة مع هؤلاء الكفرة لأنه اما أن يضيعها تشاغلا بالرياسة والملك والزعامة فيكون شبيها بفرعون واما أن يضيعها تشاغلا بأعمال الوزارة والوظيفة ، فيكون شبيها بهامان وزير فرعون واما أن يضيعها تشاغلا بالشهوات وحب المال والتكبر على الفقراء فيكون شبيها بقارون الذى خسف الله به وبداره الأرض ، وأما ان يضيعها تشاغلا بالتجارة والمعاملات الدنيوية فيكون شبيها بأبي بن خلف تاجر كفار مكة ،فنسأل الله العافية من مشابهة أعدائه ، ومن أهم أركان الصلاة التى يجب على المسلم رعايتها والعناية بها الطمأنينة في ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وكثير من الناس يصلى صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، ولا شك أن الطمأنينة من أهم أركان الصلاة فمن لم يطمئن في صلاته فهي باطلة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ركع استوى في ركوعه وأمكن يديه من ركبتيه وهصر ظهره وجعل رأسه حياله ، ولم يرفع رأسه حتى يعود كل فقار إلى مكانه ، واذا رفع رأسه من الركوع اعتدل حتى يرجع كل فقار الى مكانه واذا سجد اطمأن في سجوده حتى يرجع كل فقار الى مكانه واذا جلس بين السجدتين اعتدل حتى يرجع كل فقار الى مكانه ، ولما رأى صلى الله عليه وسلم بعض الناس لا يطمئن في صلاته أمره بالأعادة ، وقال له اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها أخرجه الشيخان في الصحيحين .

فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الواجب على المسلم أن يعظم هذه الصلاة ويعتنى بها ويطمئن فيها حتى يؤديها على الوجه الذى شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

وينبغي أن تكون الصلاة للمؤمن راحة قلب ونعيم روح وقرة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ومن أهم واجبات الصلاة في حق الرجال أداؤها في الجماعة لأن ذلك من أعظم شعائر الاسلام وقد أمر الله بذلك ورسوله كما قال عز وجل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)، وقال سبحانه في صلاة الخوف (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) الآية . فأوجب الله سبحانه على المسلمين أداء الصلاة في الجماعة في حال الخوف . فيكون وجوبها عليهم في حال الأمن أشد وآكد ، وتدل الآية المذكورة على وجوب الإعداد للعدو والحذر من مكائده كما قال سبحانه (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) . . الآية ، فالاسلام دين العزة والكرامة والقوة والحذر والجهاد الصادق كما أنه دين الرحمة والاحسان والأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ولما جمع سلفنا الصالح بين هذه الأمور مكن الله لهم في الأرض ورفع شأنهم وملكهم رقاب أعدائهم وجعل لهم السيادة والقيادة فلما غير من يعدهم غير عليهم كما قال عز وجل (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقـام ثم آمر رجلا فيصـلي بالناس ثم أخالف الى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار) وقال عليه الصلاة والسلام : (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له الا من عذر) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أعمى قال يا رسول الله انه ليس لي قائد يلائمني الى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي قال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فأجب . . خرجه مسلم في صحيحه

أما النساء فصلاتهن في بيوتهن خير لهن كما جاء بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك الا لأنهن عورة وفتنة ولكن لا يمنعن من المساجد اذا طلبن ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تمنعوا اماء الله مساجد الله) وقد دلت الايات والآحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه يجب عليهن التستر والتحجب من الرجال وترك إظهار الزينة والحذر من التعطر حين خروجهن لأن

ذلك يسبب الفتنة بهن ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات) . ومعنى تفلات أي لا رائحة لهن تفتن الناس وقال صلى الله عليه وسلم (أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء) وقالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء اليوم لمنعهن الخروج ، فالواجب على النساء أن يتقين الله وان يحذرن اسباب الفتنة من الزينة والطيب وابراز بعض المحاسن كالوجه واليدين والقدمين حين اجتماعهن بالرجال وخروجهن الى الأسواق . وهكذا في وقت الطواف والسعي وأشد من ذلك واعظم في المنكر كشفهن الرؤوس ولبس الثياب القصيرة التي تقصر عن الذراع والساق لأن ذلك من أعظم أسباب الفتنة بهن ولهذا قال عز وجل : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) والتبرج اظهار بعض محاسنهن ، وقال عز وجل : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الآية . . والجلباب هو الثوب الذي تغطي به المرأة رأسها ووجهها وصدرها وسائر بدنها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلاليب ويبدين عينا واحدة وقال تعالى : (وإذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن مثل أسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس) خرجه مسلم في صحيحه وقوله كاسيات عاريات فسر بأنهن كاسيات من نعم الله عاريات من شكرها وفسر بأن عليهن كسوة رقيقة أو قصيرة لا تسترهن فهن كاسيات بالاسم والدعوى عاريات في الحقيقة ولا ريب أن هذا الحديث الصحيح يوجب على النساء العناية بالتستر والتحجب والحذر من أسباب غضب الله وعقابه والله المستعان .

الوصية الثالثة : أوصي جميع الحجاج والزوار وكل مسلم باخراج زكاة ماله اذا كان لديه مال تجب الزكاة فيه لأن الزكاة من أعظم فرائض الدين وهي الركن الثالث من أركان الاسلام فالله سبحانه وتعالى شرعها طهرة للمسلم وزكاة له ولماله واحسانا للفقراء وغيرهم من أصناف أهل الزكاة ، كما قال عز وجل (خذ

من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وهي من شكر الله على نعمة المال والشاكر موعود بالاجر والزيادة كما قال سبحانه (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وقال عز وجل : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقد توعد الله من لم يؤد الزكاة بالعذاب الأليم كما توعده سبحانه بأنه يعذبه بماله يوم القيامة ، قال الله عز وجل : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية الكريمة ان كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما الى الجنة واما إلى النار فالواجب على كل مسلم له مال تجب فيه الزكاة أن يتقي الله ويبادر باخراج زكاته في وقتها في أهلها المستحقين لها طاعة لله ولرسوله وحذرا من غضب الله وعقابه والله سبحانه وعد المنفقين بالخلف والأجر الكبير .

كما قال سبحانه (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال تعالى (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير) .

الوصية الرابعة : صيام رمضان وهو من أعظم الفرائض على جميع المكلفين من الرجال والنساء وهو الركن الرابع من أركان الاسلام قال الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات) ثم فسر هذه الأيام المعدودات بعد ذلك بقوله سبحانه وتعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) فهذا الحديث الصحيح يدل على جميع الوصايا المتقدمة وهي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم وأنها كلها من أركان الاسلام التي لا يقوم بناؤه الا عليها فالواجب على كل مسلم ومسلمة تعظيم هذه

الأركان والمحافظة عليها والحذر من كل ما يبطلها أو ينقص أجرها والله سبحانه انما خلق الثقلين ليعبدوه سبحانه وأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل ذلك وعبادته هي توحيده وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم عن اخلاص لله سبحانه ومحبة له وايمان به وبرسله ورغبة في ثواب الله وحذر من عقابه وبذلك يفوز العبد بالسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة وانما أصيب المسلمون في هذه العصور الأخيرة بالذل والتفرق وتسليط الأعداء بسبب تفريطهم في أمر الله وعدم تعاونهم على البر والتقوى كما قال عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فنسأل الله أن يجمعهم على الحق ويوفقهم للتوبة النصوح وأن يهديهم للعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويوفق حكامهم للحكم بشريعته والتحاكم اليها وإلزام شعوبهم بما أوجب الله ومنعهم عن محارم الله حتى يمكن لهم في الأرض كما مكن لأسلافهم ويعينهم على عدوهم انه سميع قريب .

الوصية الخامسة : حج بيت الله الحرام وهو الركن الخامس من أركان الاسلام كما تقدم في الحديث الصحيح وهو فرض على كل مسلم ومسلمة يستطيع السبيل اليه في العمر مرة واحدة كما قال الله سبحانه (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الحج مرة فمن زاد فهو تطوع) وقال صلى الله عليه وسلم (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) وقال عليه الصلاة والسلام (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) فالواجب على حجاج بيت الله الحرام أن يصونوا حجهم عما حرم الله عليهم من الرفث والفسوق وأن يستقيموا على طاعة الله ويتعاونوا على البر والتقوى حتى يكون حجهم مبرورا وسعيهم مشكورا والحج المبرورهو الذى سلم من الرفث والفسوق والجدال بغير حق .

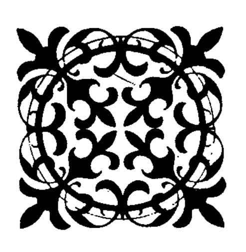
كما قال الله سبحانه (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) .

ويدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) والرفث هو الجماع في حال الاحرام ويدخل فيه النطق بالفحش وردىء الكلام ، والفسوق يشمل المعاصي كلها .

فنسأل الله أن يوفق حجاج بيت الله الحرام للاستقامة على دينهم وحفظ حجهم مما يبطله أو ينقص أجره وأن يمن علينا وعليهم بالفقه في دينه والتواصي بحقه والصبر عليه ، وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن ونزغات الشيطان انه ولى ذلك والقادر عليه .
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه باحسان . .

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن باز





الحمد لله المنعم المتفضل وصلاة الله وسلامه وبركاته على أكرم الرسل محمد بن عبد الله وآله وصحبه . .

الحج عـرفه

تعبدنا الله العليم الحكيم بأنواع عديدة من العبادات منها ما هو بدني محض كالصلاة والصيام ومنها ما هو مالى محض كالزكاة وسائر النفقات . .

وهناك عبادة يقوم العبد بأدائها ببدنه مع انفاق المال فيها فيقال لها عبادة مالية وبدنية وهى عبادة حج بيت الله الحرام التى ينفق فيها الانسان المسلم من أنفس أمواله ويكابد فيها متاعب السفر ومشقته ومن أجزاء هذه العبادة – ان صح التعبير – الوقوف بعرفة حيث تعبدنا الله تعالى لحكمة يعلمها ان تقف عشية اليوم التاسع من شهر ذى الحجة في أرض فسيحة محدودة بحدود معروفة قديما وحديثا تسمى – أرض عرفه –

نقف في وسط تلك الأرض نعبد الله وحده بعبادة شرعها الله لنا على لسان من اختاره وأرسله إلينا ليبلغنا دين الله وهو محمد بن عبد الله النبي الأمى الهاشمى عليه الصلاة والسلام وتلك العبادة ذكر الله تعالى ذكرا كثيراً من التهليل والاستغفار والتسبيح والثناء عليه سبحانه والتضرع اليه ويبوء العبد هناك بذنبه ليتوب عليه ويبوء بنعمه التى لا تعد ولا تحصى ويطلب المزيد من فضله ويكثر من هذه العبادة وهذا الثناء والتضرع ويكرر الدعاء ويلح لعل الله يجعله من عتقاء ذلك اليوم العظيم الذى من الله به على عباده ، هكذا يظل الحاج في عبادة ربه والاعتراف بذنبه من بعد زوال شمس يوم عرفة الى الليل .

حدود الموقف

وهذه البقعة التى سوف نقف فيها في اليوم التاسع من شهر ذى الحجة يحسن بنا أن نعرف حدودها ولو على وجه التقريب .

ويحد عرفة شرقا الجبل العالى شمال جبل الرحمة ، ويحدها من الجنوب الجبال المقابلة له ويحدها من الشمال والغرب بطن وادى عرنه الذى يمتد من الشمال الى الجنوب وهو الحد من الشمال والغرب ، والمسجد نفسه في وادى عرنة ونمرة غربي عرفة وكلناهما ليستا من عرفه وأما نمرة في الأصل قرية غربي عرفات وهى الان خراب كما ذكر ذلك غير واحدمن أهل العلم ، وعرنة في الاصل جبل عليه انصاب الحرم (علاماته) أما الان فليس هناك جبل بل كلها ارض مستوية ولعل الجبل المذكور كان عبارة عن تل من الرمال زال مع الزمن ، والله اعلم . .

واذا تجاوز الحاج منطقة نمرة وارتفع في بطن وادى عرتة فليقف حيث تيسر له الوقوف ، أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد نزل بنمرة عندما جاء من منى صباح يوم عرفة ثم ارتحل مع الزوال وصلى الظهر والعصر بعرنة وخطب بها الناس ثم دخل الموقف فوقف عند ذيل جبل الرحمة مستقبل القبلة عند الصخرات جاعلا جبل المشاة بين يديه ، وجبل المشاة الطريق الذى يسلكونه في مشيهم أو صفهم في

تجمعهم . الا أن رسول الرحمة لم يلزم أمته بأن يقفوا حيث وقف هو عند الصخرات ولم يحثهم على ذلك رحمة بهم ولئلا يوقعهم في حرج .

بل قال (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف) وهذا يعنى أنه لا فرق بين الوقوف عند الصخرات التى وقف عندها رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين الوقوف في أى مكان آخر في عرفة وأما صعود الجبل فغير مشروع ، قطعا لان الشرع ، ما شرعه الله لعباده على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام فرسول الله لم يصعد الجبل بل ولم يستقبله عند التحقيق لأن الثابت أنه جعل جبل المشاة بين يديه كما في حديث جابر بن عبد الله ، يقول بعض من (١) حقق المسألة ان حديث جابر يدل على ان جبل الرحمة كان على يمينه وقد استنتج ذلك من أنه جعل حبل المشاة بين يديه ويفهم من كلامه أن الصخرات التى وقف عندها رسول الله هى التى في جنوب الجبل عند الاشجار حاليا وكلامه أشبه والله أعلم .

فعلى الحجاج أن يتجنبوا صعود الجبل والازدحام حوله لئلا يضيعوا وقتهم الثمين فيما لا يعود عليهم بأدنى فائدة بل في ذلك مضرة بل وأى مضرة بل على الحجاج ان يقفوا حيث شاءوا ولهم ان يتوغلوا في تلك الارض الفسيحة ما شاءوا أن يتوغلوا حتى تردهم سفوح الجبال من الشرق والجنوب دون تقيد بمكان معين .

أسماء جبل الرحمة

وقد ذكروا لهذا الجبل عدة أسماء .

١) يقال له جبل الرحمة وهذا الاسم من أشهر تلك الاسماء ولعله من أحدثها .
٢) يقال له جبل الدعاء .
٣) يسميه بعض العامة (القرين بضم القاف مصغرا) .
٤) أما اسمه القديم (إلآل على وزن هلال)

وقد حاولت أن أعرف سبب تسمية الجبل بهذا الاسم (جبل الرحمة) واتصلت بعدة مصادر وسألت عدة

(١) ابن جاسر في منسكه

أشخاص من أهل العلم ولم أحظ بجواب شاف الى لحظة كتابة هذه السطور فاترك المسألة قيد بحث وأمضى في الكتابة في الموضوع ، وعلى كل حال ان هذه التسمية في النفس منها شيء لأن الرحمة لا يختص نزولها بذلك الجبـــل ومدعى ذلك يطالب بالدليل وليس الدعاء خاصا بالجبل أيضا بل هو كغيره في كل ذلك فرحمة الله تعالى وعتقه من النار من شاء من عباده في ذلك اليوم عـــام لكل من وقف عـــرفة في أى بقعة منها والذى دفعنى الى هذا البحث ما شاهدته وشاهده غيرى من كل ذى عينين من تصرفات بعض الحجاج اشبه ما تكون ببعض الجاهليات التى يفعلها بعض العوام عند قبور الصالحين من تمسح بالحجارة وتقبيلها علاوة على ما يحصل من تضييع الوقت بالصعود والنزول وهو أمر غير مشروع كما تقدم ، بل اصبح لدى كثير من عوام الحجاج أن صعود الجـــبل هو المقصود من وقوف عرفة وقد كان الصعود الشغل الشاغل لهم وأنت ترى الزحام من سفح الجبل الى قمته طيلة النهار .

وكأن العوام فهموا من هذا الاسم (جبل الرحمة) ان الرحمة انمـــا تنزل في ذلك اليوم على من فوق ذلك الجبل فقط استنتاجا من الاسم ، ويريدون ان تنالهم الرحمة وهم فوق جبل الرحمة وهى شبهة كما ترى قوية تدفع العوام الى صعود الجبل فلا يلامون على ما صنعوا طالما الشبهة قائمة ولم يجدوا من ينبههم على على خطأ تصورهم معنى الوقوف .

ومما قوى هذه الشبهة لدى العامة وأشباههم وجود ذلك العمود الأبيض الذى نصب على رأس الجبل ليكون علامة على انه جبل الرحمـــة مع وجود عديد من المساجد الصغـــار والمحرابات منتشرة في سفح الجبل وفوق الجبل وفي الاماكن القريبة من الجبل . وهذه الاشياء تدعـــو الحجاج بلسان حالها الى التجمع على الجبل التماسا للرحمة .

الصلاة في الجبل

ومما جرت به عادة الحجاج صلاة ركعتين في كل مسجد في الاماكن المقدسة وفي المشاعر ولو في وقت نهى فجريا على هذه العادة ترى

الحجاج بعد صلاة العصر في منطقة جبل الرحمة وهم يصلون ركعتين في كل مصلى وفي كل محراب ، واذا قيل لهم في ذلك قالوا ركعتين لله (بس ما في شيء) فكم كان مفيدا لو أزيل ذلك العمود وتلك المحرابات والمصليات المنتشرة في منطقة الجبل وكان جيدا لو قامت وزارة الحج والاوقاف واللجنة العليا للحج ، وادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد التى تتبعها (هيئة التوعية) للحجاج كم كان جيدا لو قامت هذه الجهات بدراسة وضع الجبل وصعوده ووضع تلك المساجد الصغار هناك والعلم المنصوب فوق الجبل لتبقى على ما كان نافعا وجائزا شرعا وتزيل ما كان ضارا وغير جائز شرعا ويكون ذلك أداء لبعض واجبها نحو ضيوف الرحمن ، زادها الله توفيقا ونحن نعلم ان هذه الجهات المذكورة تقوم بالشيء الكثير في خدمة بيوت الله عامة وخدمة المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف خاصة وحجاج بيت الله وزوار مسجد رسول الله ، فجزاؤهم على الله ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

النصح للحجاج

وكل الذى أريد أن أقوله في الموضوع ان الذى تقتضيه النصيحة لحجاج بيت الله الحرام (الدين النصيحة) منع صعود الجبل بانجح وسيلة ممكنة أو باستخدام عدة وسائل تحقق الغرض حرصا على وقتهم الثمين الذى يضيع عليهم دون فائدة في عشية ذلك اليوم المبارك بل حرصا على عبادتهم ومعتقداتهم من أن تخدش بنوع من معتقدات الجاهلية في الاحجار والاشجار والمباني .

وكنت أذكر منع صعود الجبل بل التشدد في المنع فيما قبل عام ١٣٧٠هـ وقد حضرت موسم عام ١٣٦٩ هـ فوجدت الجنود يمنعون صعود الجبل بشدة وكان الناس يجتمعون في سفح الجبل عند الصخرات التى وقف عندها الرسول عليه الصلاة والسلام كما يفهم من السنة .

فيا حبذا لو استخدمت تلك الوسيلة ذاتها مرة أخرى إن لم نجد وسيلة أو وسائل أخرى أجدى وأنفع في تحقيق الغرض .

ونحن نعلم يقينا ان بعض العوام من الحجاج قد تعودوا التبرك بالاحجار والاشجار وقبور الصالحين أو من يدعون الصلاح وهم ينظرون الى الجبل الذى يعرفة وما فوقه وما حوله من المباني بذلك المنظار ولا سيما مع هذا الاسم (جبل الرحمة) .

لذا نرى أن تبذل كل جبهة ما تستطيع بذله في هذا الصدد ليكون حج حجاج بيت الله الحرام بعيدا عن المخالفات والبدع والاعمال الجاهلية التى قد يقع فيها بعض الحجاج جهلا منهم .

وقد بذلت حكومتنا السنية في سبيل راحة الحجاج وتسهيل أمورهم كل غال ونفيس يتمثل ذلك في تلك الشوارع الواسعة بأعداد هائلة والكبارى العملاقية والميادين الواسعة والمستشفيات والمستوصفات المنتشرة في كل من عرفة ومزدلفة وفي كل مكان تصل اليه أقدام الحجاج في الحرمين الشريفين **زادها** الله من فضله ومن توفيقه .

والناحية التى نحن بصددها لم يغفلها المقام السامى حيث يجند في كل موسم عدد كبير من علماء المسلمين من الداخل والخارج لتوعية حجاج بيت الله الحرام وتعليمهم ما يجهلون من أمور دينهم عامة ومن أعمال الحج خاصة ، بناء على أمر المقام السامى تحت اشراف ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، فنسأل الله تعالى التوفيق لهؤلاء العلماء المجندين لهذه المهمة العظيمة حتى يؤدوا واجبهم على الوجه المطلوب بحزم وبإخلاص والله ولى التوفيق .

زمن الوقوف

ان الدارس للسنة النبوية قولية أو فعلية في هذه المسألة إذا عرض عليها أقوال أهل العلم محاولا التوفيق بينها يخرج بالنتيجة التالية :

وهى أن زمن الوقوف ينقسم إلى قسمين :

١) زمن اختيارى .

٢) زمن اضطرارى .

أما الزمن الاختيارى فهو الذى لا ينبغى للحاج مخالفته أو ترك شيء منه في حال سعته واختياره وفي حال عدم الضرورة فهذا الزمن يبدأ من زوال شمس يوم عرفة ، ويمتد

الى الغروب واذا تحقق الغروب جاز للحجاج أن يفيضوا الى مزدلفة مؤخرين صلاة المغرب ليجمعوها مع صلاة العشاء في جمع (مزدلفة) جمع تأخير ولا يجوز لهم ان يغادروا الموقف قبل غروب الشمس الا للضرورة أو جهل الحكم فاذا غابت الشمس يفيضون وعليهم السكينة والوقار وألسنتهم تلهج بذكر الله والثناء عليه سبحانه يكبرون ويهللون ويحمدون الله الذى وفقهم لأداء تلك العبادة في ذلك اليوم العظيم وعليهم ان يتجنبوا الايذاء لأحد بأى نوع من أنواع الايذاء .

دليل المسألة

نأخذ هذه الاحكام من السنة الفعلية المؤيدة بالسنة القولية أما السنة الفعلية ففعله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع لانه عليه الصلاة والسلام دخل الموقف بعد الزوال وبعد أن صلى الظهر والعصر جمعا وقصرا في عرفة لأنه نزل بنمرة وصلى بعرفة ووقف بعد الزوال بعرفة وظل واقفا عند الصخرات على ناقته القصواء مستقبل القبلة يدعو الله ويثنى عليه بما هو أهله سبحانه حتى غاب قرص الشمس من ليلة جمع .

أما السنة القولية فقوله عليه الصلاة والسلام (خذوا عنى مناسككم) يقول هذا القول لينبه الناس على التأسى به في أعمال الحج قولا وفعلا وفي الزمان والمكان .

هكذا يتضح من السنة ان الوقوف بعرفة يبدأ بالزوال من يوم عرفه ويمتد الى ليلة جمع حتى يجمع الحاج في الوقوف بين الليل والنهار ولا ينبغى مخالفة هذا الهدى في حالة السعة والاختيار والله الموفق .

أما حالة الاضطرار فلها أحكامها .

زمن الوقوف الاضطرارى

أما الزمن الاضطرارى فيؤخذ من حديثين اثنين **أحدهما** ، حديث عبد الرحمن بن يعمر الذى رواه الخمسة وفيه (أن أناسا من نجد سألوه) أى قالوا كيف حج من لم يدرك يوم عرفة ؟ فأمر مناديا فنادى (الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك) الحديث والقطعة

التى أوردناها هى محل الشاهد من الحديث .

ثانيهما : حديث عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائى حيث يقول (أتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمزدلفة ، حين خرج الى الصلاة فقلت يا رسول الله اني جئت من جبلى طيىء أكللت راحلتى ، وأتعبت نفسى والله ما تركت من جبل الا وقفت عليه فهل لى من حج ؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام من شهد صلاتنا هذه ؟ ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفثه رواه الخمسة وصححه الترمذى .

ومن إنعام النظر في هذين الحديثين يمكن القول بأن من كان حاله كحال هؤلاء القوم الطائى والذين جاءوا من قبل نجد تكفيه لحظة من نهار عرفة أو ليلة عرفة اذا تم له ذلك قبل طلوع الفجر من ليلة العيد ولا يلزمه الجمع بين الليل والنهار ، وهذا ما عنيناه بقولنا : (زمن الوقوف الاضطراري)

وفي حديث عبد الرحمن بن يعمر رأينا القوم سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ما يدرك به الحج من زمن الوقوف فكان الجواب من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك فأقل زمن يدرك به الوقوف بعرفة حتى يصح الحج أن يوجد بعرفة قبل طلوع فجر ليلة جمع ولو بزمن يسير يصدق عليه الوقوف الشرعى قاصدا الوقوف اذ « إنما الأعمال بالنيات » هذا ما يؤخذ من حديث عبد الرحمن بن يعمر .

وحديث عروة بن مضرس يدل على ما دل عليه حديث عبد الرحمن على انه لا يجب الجمع بين الليل والنهار بالنسبة لمن كان حاله كحال الطائى الذى اتعب نفسه وراحلته بحثا عن الموقف وهذا الطائى الذى يجهل الموقف لا يستبعد ان يجهل زمن الوقوف أيضا .

واستنادا الى قوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) والى فتوى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين سأله من فاته الوقوف بعرفة ماذا يفعل فقال (اذهب الى مكة

الموطأ ص ٢٧٣

فطف انت ومن معك . . الخ)
فيتسامح معه ومع أمثاله ما لا يتسامح مع غيرهم ، فلا يطالبون بالجمع بين الليل والنهار .

أما من يعرفون المكان والزمان وحضروا في متسع من الزمن وليس هناك ضرورة ملحة تحملهم على ترك الجمع بين الليل والنهار فلا ينبغي التساهل في ترك هدى رسول الهدى عليه الصلاة والسلام .

وبعد فان هذا الاستنتاج هو مجرد فهم فهمته من دراسة النصوص المذكورة والمشار إليها في مطلع البحث فان كان صوابا فمن فضل الله وتوفيقه ولله وحده الحمد والمنة وان كان غير ذلك فمن نفسي وراجع الى قصور فهمي وهو أمر معترف به فأسأله تعالى العفو والعافية

الاحكام الفقهية

وفي ختام هذا البحث تذكر الاحكام الفقهية التي تتعلق بالوقوف بعرفة ونوجزها في الأرقام التالية :

١) أجمع أهل العلم على ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج بل من أهم أركانه ومن فاته الوقوف فلا حج له ، فعليه ان يتحلل بعمل العمرة أي يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويحلق رأسه . وعليه الحج من العام المقبل سواء كان حجه واجبا أو تطوعاً لأن تمام الحج واجب على كل حال عملا بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » .

٢) أما صفة أو كيفية أن يصل الحاج إلى عرفة صباح يوم عرفة بأن يغادر (منى) بعد طلوع الشمس واذا وصل منطقة عرفة لا يدخلها بل ينزل بنمرة غربي المسجد المعروف ويبقى بها الى الزوال فاذا زالت الشمس ينتقل إلى عرفة حيث المسجد فيصلى بها الظهر والعصر جمعا وقصرا مع الامام ان تيسر بعد ان يحضر الخطبة التي يشرح فيها الامام اعمال يوم عرفة وما بعده ثم يذهب الى الموقف فيرتفع من وادى عرفة ويتجاوز العلامات المنصوبة هناك التي تبين ابتداء الموقف فاذا تجاوزها فليقف

حيث يتيسر له الوقوف راكبا أو راجلا ، جالسا أو مضطجعا إن دعت الحاجة الى الاضطجاع فيبقى بعرفة حتى تغرب الشمس ثم يفيض الى مزدلفة ويؤخر صلاة المغرب ليجمع مع العشاء في مزدلفة ودليل ذلك فعله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما يدل على ذلك حديث جابر بن عبد الله وغيره ثم قوله عليه الصلاة والسلام (خذوا عنى مناسككم) هذا ولو مرض الحاج فنام في مستشفى عرفة وقد نوى الوقوف بعرفة فقد تم حجه اذا كان عاقلا أما لو كان مجنونا أو سكرانا فلا يصح وقوفهما وبالتالى لا يصح حجهما ، وهذا الذى ذكرناه منا الجمع بين الليل والنهار هو الذى عليه جمهور أهل العلم لكونه موافقا لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وظاهر مذهب الامام احمد رحمه الله ان زمن الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفه الى طلوع الفجر يوم النحر فمن وجد بعرفة في شئ من هذا الزمن وهو عاقل فقد تم حجه وقد ناقشنا هذه المسألة في صلب البحث بما فتح الله وذكرنا كيفية التوفيق بين أقوال أهل العلم في هذه المسألة والله ولى التوفيق .

٣) وجوب الجمع بين الليل والنهار في حالة السعة والاختيار ومن ترك الجمع بين الليل والنهار فعليه الدم عند جمهور العلماء لتركه الواجب عملا بحديث ابن عباس (من ترك نسكا فعليه الدم) أما الامام مالك فيرى أن من أفاض قبل الليل فلم يرجع فلا حج له . ودليله فعله عليه الصلاة والسلام مع قوله « خذوا عنى مناسككم » .

٤) لا يتقيد الحاج بموضع معين بجبل الرحمة أو غيره بل يقف حيث تيسر له الوقوف عملا بقوله عليه الصلاة والسلام : (وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف) وقد قال الرسول هذا القول رفعا للحرج وتوسعة على الأمة فعلى الحجاج أن يتمتعوا بهذه التوسعة وهذه الرحمة .

٥) أن يقف الحاج زمنا يصدق عليه الوقوف الشرعى بنية الوقوف وهو عاقل غير مجنون ولا سكران (لان الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى) .

٦) لا يتشرط للوقوف بعرفة الطهارة الكبرى ولا الصغرى ، ودليل ذلك قصة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين حاضت في حجة الوداع وهى محرمة بالعمرة فأمرها رسول الله عليه الصلاة والسلام أن تدخل الحج على العمرة ثم تفعل كل مايفعله الحـاج الا الطواف بالبيت فوقفت رضى الله عنها وهى حائض فاذا صح الوقوف مع الحدث الاكـبر فصحته مع الحدث الاصغر أولى والله أعلم .

٧) وجوب المحافظة على عبـادة المسلمين وعقيدتهم بإزالة كل ما يدعو الى تعلق القلب بغير الله من بناء أو حجر أو شجر كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قطع شجرة البيعة التى كانت با لحديبية وفعله رضى الله عنه عند حجه مع اضافة عموم أدلة وجوب ازالة المنكر وأدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على المراتب المعروفه .

وما من شك ان الجهات المسئولة عن الحجـاج وشئونهم وتوعيتهم وتوجيههم تملك يـدا قوية تستطيع إزالة كل ما أشرنا اليه بعد توفيق الله تعالى والله ولى التوفيق . .

محمد أمان بن على الجامي
عميد كلية الحديث الشريف
والدراسات الاسلامية
بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة



لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

بين يدى الطريق أستعرض مع السالكين الواقع الذى يعيشه المسلمون اليوم ، ليعلموا مدى الحاجة الماسة الى سلوك هذا الطريق ، وأنه لا خيار لهم في ذلك متى أرادوا النجاة لأنفسهم ، وللأجيال الآتية بعدهم .

ان المسلمين اليوم – دويلات كبيرة أو صغيرة ، وأقليات كثيرة أو قليلة – يعيشون واقعاً مراً لا يغبطون فيه ، ولا يحسدون عليه .

وهذه لمحات خاطفة نلقيها على هذا الواقع المر ونكتفى بها عن الاستعراض الشامل ، والعرض التفصيلى الذى لا يزيد القلب الا كمداً وحزنا ، والنفس إلا ألما وحسرة .

١ – في بلاد العرب :

ان العرب وهم الذين قد اختير آباؤهم السالفون لحمل رسالة الاسلام ، وابلاغها الى الناس كافة ، لينجوا بها ، ويسعدوا عليها ، وفعلا فقد حملوها وبلغوها ، ونجت بها ، وسعدت عليها أمم كثيرة ، ولا ينكر هذا إلا جاهل ، أو مكابر ، جاحد .

لكن هؤلاء العرب الأحفاد قد مزقتهم الأهواء ، وعبثت بهم أيدى الأعداء ، فتمكن منهم الحانقون على الاسلام ، الناقمون منه من كل قوى الشر في الأرض ، فسلخوهم من الاسلام ، وأبعدوهم عن ساحته ، وقد كان درعهم الواقي ، وحصنهم

المنيع ، ومصدر قوتهم الروحية والمادية معا ، فتنكروا ـ مع الأسف ـ له ، وأصبحوا حربا عليه من حدثهم عنه ازدروه واحتقروه ، ومن دعاهم اليه أخـــافوه ، وعذبوه أحيانا ، ونكلوا به .

تقاسمت هؤلاء العرب الأحفاد ـ الأهـــواء ، ومزقتهم الشهوات ، فتفرقوا أيادى سبأ ، فأصبحوا لذلك سخرة لأعداء الاسلام وأعدائهم ، يسخرونهم كما شاءوا ، ولما شاءوا ، حتى قال قائل(١) منهم مؤخرا : (يجب أن نحافظ على توازن النفوذين الأمريكى والروسى في المنطقة) أى في بلاد العرب ، فيا للعجب ! ! !

ان معنى هذا القول من هذا المسئول هو بلا شك مساعدة العرب عدوهم على التمكين ، له في بلادهم ، ومعنى آخر لهذا القول هو مساعدة العدو على احتلال الدار ، وبقاء العار ، وسبحان الله ! ماذا أصاب العرب ، وماذا حل بديارهم من ذل ، وهون ، ودون ؟ ! !

ان العرب الذين كانوا بالأمس القريب مثال العز ، والكرامة ، والمروءة ، والشهامة أصبحوا اليوم أمثلة للمذلة ، والمهانة ، وأصبحت ديارهم التى كانت بالأمس حصونا منيعة ، وقلاعا رفيعة لا تنالها أيدى الأعداء ، ولا يدخلها من لا نأذن له ولا نشاء . أصبحت ساحات لتحارب النظريات وحقولا لزرع فنون الخبث والعبث ، ومباءات لألوان الهون والدون ، والفسق والمجون ، آه ، ثم آه . .

ان القلب ليذوب كمدا ، وان النفس لتذهب حسرات عندما نرى هذا ونرى فلسطين أرض قدسنا ، ومعقل عزنا ، وبها كرائمنا ، وفلذات اكبادنا ، تدنس برجس الصهاينة اليهود ، وتجلل بعار احتلالهم لها ، وبخزى انتصارهم على العروبة فيها .

وآه ، ثم آه . . . ان القلوب لتذوب كمدا وان النفوس لتذهب حسرات عندما نرى طائفة تمرق منا فتقتطع جزءا غاليا من جنوب جزيرة ايماننا ، ومدار عزنا وكمالنا ، وتحوله دار كفر وعدوان ، بعد أن كان دار ايمان واسلام ، ثم تجعله ـ يا للمصيبة ـ حصنا لأعدائنا وقلعة في أيدى خصومنا ، لاذلالنا وتهديد بلادنا ،

---

(١) صدر هذا القول في شبه تصريح لمؤتمر قمة جبهة الرفض الذى انعقد مؤخرا بالعاصمة الجزائرية ، وحضرته مجموعة دول العرب الدائرة في فلك المعسكر الشيوعي .

لتدميرها والقضاء عليها ، آه ، ثم آه . . ماذا دهى العروبة والاسلام ، وماذا حل بساحتهما ، ونزل بديارهما ؟ ؟ ؟

ان القلب ليتقطع ، والنفس لتتمزق عندما نشاهد رجال مغرب العروبة والاسلام تهدر دماؤهم وتزهق أرواحهم ، وتبدد أموالهم ، وكل طاقاتهم ارضاء لأطماع الشيوعية البغيضة ، التي تريد أن تقتطع من صحراء العروبة والاسلام قطعة كبيرة كقطعة عدن ، من جنوب اليمن فتتخذها مركزا لادارة الفتن ، وقلعة لتهديد أمننا وايماننا ، ثم القضاء على سلامتنا واسلامنا . . آه ، ثم آه ! ! !ماذا أصابنا ، وماذا نزل بديارنا حتى أصبحنا خناجر في أيدى أعداء ديننا ، وخصوم عقيدتنا يقتلوننا بها ، وهم جالسون على أرائكهم آمنون في ديارهم . . .

آه ، ثم آه . . ان القلب ليذوب كمدا ، وان النفس لتذهب حسرات عندما نشاهد ونرى اخواننا من فلسطيننا ولبناننا يقتلون ويذبحون في مجـــزرة رهيبة دامت قرابة نصف عقد من السنين يستصرخون فلا يصرخون ، ويستغيثون فلا يغاثون حيث عجزت جيوش قرابة عشرين دولة عربية اسلامية عن انقاذهم ، واطفاء نار الفتنة في ديارهم . ووالله لو كان العرب كما يريد الاسلام أن يكونوا لما دامت محنة لبنان ثلاثة أيام ، وذلك بتحويل قوة الردع الى قوة فتح ، ولاحتلت لبنان في ثلاثة أيـــام ، ولألقى القبض على كل عناصر الشر بها ، وضرب عـــلى أيديهم ولو بالقضاء عليهم ، وان غضب اليهود أو تحركوا جعل من لبنان مجزرة ومقبرة لهم ، فيها يجزرون ، ويقبرون ، ولا يبعثون الى يوم ينشرون .

ولكن العرب قومنا واخواننا هداهم الله قد أخطأوا الطريق ، طريق الايمان الذى به يأمنون ويعزون ، وضلوا السبيل سبيل الاسلام الذى به يسلمون وينتصرون. وهم مع هذا يا للأسف يحسبون أنهم مهتدون . فمن يهديهم من بعد الله ! !

إنه قد أصبح من غير السهل افهامهم ، فضلا عن اقناعهم بأن ما هم عليه ليس من الهدى في شيء ، وأن كل يوم يمضى على اقتناعهم بواقعهم ، ورضاهم به يخسر فيه الاسلام والمسلمون بل العالم أجمع كل فرصة للخلاص من هوة الشر والفساد ، التي تردى فيها اكثر المسلمين والناس أجمعون ، وأنه لا منقذ لهم ولا للعالم كله

الا الاسلام ، ولا نجاة لهم ولا لغيرهم من بنى الناس من خسران الدنيا والآخرة الا بالاسلام لله رب العالمين .

٢ ـ في بلاد العجم :

ان بلاد المسلمين العجم هى أوسع مساحة من بلاد العرب ، وشعوبها أكثر عدداً من شعوب العرب ، قد أصيبت هى التالية بما أصيبت به بلاد العرب وشعوب العرب ، فبالأمس البعيد قد خسر الاسلام دار الخلافة وشعبها على أيدى عصابة مارقة من أبنائها . وبالأمس القريب فقد فقدت دولة الاسـلام الكبرى باكستان نصفها حيث شطرها العدو المزدوج (١) الى شطرين . ومنذ أشهر قليلة قد سقطت اكبر قلعة للاسلام في بلاد العجم وهى افغانستان بلاد الأبطال والشـجعان حيث هدت أركانها على أيدى عصابة مارقة من أبنائها من عملاء الشيوعية صنيعة ولعبة اليهودية العالمية .

ولم يكن كل هذا الذى أصاب ديار العرب والمسلمين الا نتيجة طبيعية لاعراض العرب والمسلمين عن الاسلام وبعدهم عنه ورضـاهم بالحياة خالية منه ، بعيدة عن شرائعه وقوانينه التى هى مصادر القوة والخير ، وينابيع الرحمة والعدل في الأرض .

والتعليل المنطقى لهذا الذى أصاب المسلمين في ديارهم وعقولهم وعقائدهم هو أن خصوم الاسلام ما فتئوا منذ أن كان الاسلام وهم يكيدون له ، ويحاربونه في الظاهر والباطن حتى تمكنـوا منه وضربوه حتى كادوا يقضـون عليه . وباختصار القول : ان كل ما أصاب الاسلام والمسلمين انما هو من كيد أعداءا لاسلام والمسلمين ومكرهم ، وحربهم الباردة والساخنة والمستمرة على الاسلام والمسلمين ، الى كتابة هذه الكلمات وستستمر الى ما شاء الله تعالى .

ومن عجب أن المسلمين كلهم أو جلهم يعلمون هذه الحقيقة ، ويصرحون بها ، فيقولون إن أعداء الاسلام هم الذين فرقوا المسلمين ، وأضعفوهم وأبعدوهم عن الاسلام مصدر وحدتهم وقوتهم ، ثم هم لا يحاولون حتى مجرد محاولة أن يخرجوا

---

(١) المراد به : الهنود الهنادك عبدة البقر ، والاتحاد السوفيتى « الروس » الدب الأحمر . ذاك الذى رمى بأسطوله في البحر حتى منع قوات باكستان من التحرك . وترك الهنود الكافرين يجزرون باكستان ويسلخونها حتى قسموها بعد مقتلة عظيمة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاسلام المعاصر .

من هذه الوضعية السيئة ، التي وضعهم فيها خصومهم ، وأعداء معتقدهم ووجودهم حتى لكأنهم مسحورون أو شبه مسحورين .

وبالجملة فان المسلمين من غير العرب كالمسلمين من العرب في كل أوضاعهم ، وسائر احوالهم ، لا يختلف بعضهم عن بعض ، في كل ما أصابهم ، وحل بديارهم من إلحاد وشر ، وفسق وظلم وفساد ، فالداء واحد ، ولهذا لا يكون الدواء الا واحدا . والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو ما هو الدواء ؟ .

والجواب : أن الدواء هو الاسلام ، والطريق اليه هو ما سنوضحه فيما يلى:

الى الحاكمين أولا :

ان الطريق الى نجاة الحاكمين في بلاد المسلمين وسعادتهم يتمثل في النقاط الأربع التاليـــة : —

- الاعتراف الكامل بأن أكثر ما هم عليه الآن هو خطأ وباطل أى ليس بصواب ولا حق ولا يجوز قبولها ، ولا الاقرار عليها ، وذلك لحكمهم المسلمين في الجملة بدون رضاهم ، وبغير شرع ربهم الذى يكفل لهم نجاتهم وسعادتهم .
- الاعتراف التام بأن الاستمرار على هذا الخطأ والباطل سيؤدى حتما الى شقائهم ، وشقاء من يحبونهم من المسلمين في دنياهم وأخراهم ، لأن الاستمرار على الخطأ والباطل لا ينجم عنه الا تفاقم الشر والفساد ، وازدياد الضعف والنقصان في حال المسلمين دينا ودنيا الى أن يتعرض المسلمون كلهم للزوال والفناء .
- الايمان بوجوب تدارك الموقف وتصحيح الوضع للنجاة ، ولعودة حياة العزة والقوة ، والعدل والرحمة والخير للمسلمين كل المسلمين، ومعنى هذا أنه التوبة المأمور بها في قول الله تعالى : « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » وهى توبة تشمل كل مظاهر الحياة بين المسلمين ، فيستبدل بالخبث الطهر ، وبالفساد الصلاح ، وبالظلم العدل ، وبالشر الخير ، والحسنات بالسيئات .
- اجتماع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أو من قبل منهم مبدأ التوبة هذا

وتاب ، ويكون اجتماعهم في المدينة النبوية عاصمة الأسلام الأولى ،لاتخاذ القرارات الأربع التالية : ـ

(١) الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الاسلامية في بلاد المسلمين عقيدة ، وعبادة ، وأدبا وخلقا،وحكما ، ونظاما ، وشرعا ، لانقاذ المسلمين مما حل بهم ، ونزل بديارهم من ضعف ، وذل وهون ودون .

(٢) تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة في البلاد الاسلامية، وأن يعهد اليها بوضع دستور إسلامى لأمة الاسلام تؤخذ كل بنوده ومواده، نصا وروحا من الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة ، والفقه الاسلامى المستنبط من الوحيين في عصر الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام الصالحين .

(٣) الاعلان عن استئناف الحياة الاسلامية فور صدور هذه القرارات ، وذلك بوجوب اقامة الصلاة بين كل أفراد الأمة الاسلامية إقامة إجبارية . وبوجوب منع الخمر شرابا وتجارة ، وانتاجا ، وصناعة بين كل أفراد المسلمين . وبوجوب إلزام الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة الزي الاسلامي والحجاب الاسلامي ، ومنع الاختلاط بين النساء والرجال منعا كليا وفي كل المجالات . وبوجوب تطهير الاعلام في ديار المسلمين صحافة ، واذاعة ، وتلفازا ، ومسرحا ،من نشر واذاعة واظهار كل ما يمس العقيدة الاسلامية ، والخلق الاسلامى، أو يتنافي مع مبادىء الاسلام ، وتعاليمه القائمة على أساس الطهر والكمال النفسى والخلقى .

وبوجوب ايقاف سائر المعاملات الربوية ، وتصفيتها ، والاستبدال بهذه البنوك الربوية مصارف وبنوكاً اسلامية ، يسهم فيها كل مسلم ومسلمة، تقوم على أساس منع الربا ، وحظر التعامل به ، وبوجوب تعقب الملاحدة في بلاد المسلمين واضطرارهم الى العودة الى حياة الايمان ، والعمل ، والجهاد ، ومن رفض منهم ذلك يحكم فيه السيف فهو الحد الفاصل بين الكفر والايمان .

(٤) الاعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور(١) ، والأخذ بها ، وتطبيقها يوم

(١) ان الدستور الاسلامى كفيل بحل كل مشاكل الحياة ، وبالاجابة عن كل التساؤلات لأنه من معين الوحى الآلهى الذى لا ينضب ومن علم الله الذى لا يحاط به ، وكلماته تعالى التى لا تنفد .

الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر القمة الاسلامي الذي انعقد أول مرة . فيبدأ بتعيين امام المسلمين ، ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الاسلامية التي رضى حكامها بالوحدة الإسلامية في ظل الحياة الاسلامية والدستور الاسلامي، ثم بالتطبيق الحرفي لكل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة ، بكل صدق وجد واخلاص .

هذا . وكلمة أخيرة نقولها للحاكمين في ديار المسلمين بعد أن بينا الطريق لهم في صدق واخلاص وولاء : طريق نجاتهم ونجاة شعوبهم وسعادتهم جميعا وفي الحياتين أيضا ، نقول لهم : والله الذى لا آله غيره ولا رب سواه ، انه لا نجاة لهم مما هم فيه من حيرة ، وقلق ، وضعف ، وعجز ، ولا مما يتوقع لهم من كوارث، ومحن ، وبلاء ، وعذاب دنيوى ، وأخروى وشقاء ،لا نجاة لهم من كل ذلك إلا بسلوك هذا الطريق .

كما نقول لهم ونقسم ان سلوك هذا الطريق الذى بينا لكم ـ أداء لواجب نصحكم ـ لأيسر وأسهل وآمن من سلوك الطريق المعاكس الذى تسيرون فيه وتفرضون على المسلمين وهم كارهون ـ سلوكه والسير فيه بقوة الحديد والنار ! ! !

كما ننصح لهم بأن عليهم ـ اذا كانوا مجبرين بقوة عالية خفية على السير في هذا الطريق المعاكس للاسلام من أجل اذلال المسلمين وافنائهم ، أو مسخهم في عقولهم وقلوبهم ، وفي كل مميزات حياتهم لتبقى بلادهم مناطق نفوذ ، أو تمهيدا لاحتلالها من قبل اليهود تحقيقا لحلمهم في اقامة مملكة اسرائيل على أرض الناس اجمعين .

ننصح لهم بأن يتحرروا في شجاعة وايمان من سيطرة هذه القوة الخفية ، ويرفضوا طاعتها ، والسير في طريقها ، وليطيعوا الله تعالى ،وليسلكوا سبيله ، وليمشوا في طريقه ، ولن تضرهم تلك القوة الخفية ولن تستطيع أن تنال منهم منالا أبدا ، لأنهم برفضهم طريقها وقبول طريق الله تعالى قد أصبحوا أولياء لله ، ومن كان الله وليه فانه لو اجمع عليه من بأقطارها لم يضروه شيئا .

وان هم عجزوا عن التحرر من هذه القوة الخفية بترك طريقها واتباع طريق الاسلام دين الله الذى لايشقى سالكه ولا يضل في الحياة أبدا ، لقوله تعالى : « فمن

اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » فان عليهم أن يهربوا من ساحة الحكم ، وينجوا بأنفسهم ، ويتركوا الأمر لأمة الاسلام تتحمل مسئوليتها بنفسها ان احسنت فلها، وان اساءت فعليها . فــانه والله لأن يرضى العاقل بأن يصبح كناسا من كناسى البلديات في ديار المسلمين ، بعد أن كان ملكا أورئيسا ، خير له من أن يبقى على رأس شعب من شعوب الاسلام يحكمه بغير شريعة الله ، ويسوسه بسياسة تتنافى في جملتها مع حياة الاسلام وتطلع المسلمين . .

وهذه كلمة نصح قدمتها أيها الحاكمون المحترمون بعد بيان طريق النجاة لكم ، فان اخذتم بها نجوتم وسعدتم وذلك ما أريده لكم ولكل المسلمين ، وان كانت الأخرى فحسبي أن تصحت والأمر لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* ● *

والى الجماعات الإسلامية ثانيا :

والى الجماعات الاسلامية العاملة في الحقل الاسلامى في كل أنحاء العالم بيان طريق نجاحها في عملها الاصلاحى ووصولها الى أهدافها وغاياتها من اقامة المجتمع الاسلامى والحكم الاسلامى ؟ ليعبد الله وحده لا شريك له ، ولتظهر أمة الاسلام ، وتسود وتحكم ، .

اليك أيتها الجماعات الطريق واضح المعالم ، ظاهر الأعلام ، فاسلكيه في صدق ، وامشى فيه بجد وحزم ، واعلمى أنه لا سبيل الى تحقيق ما تصبين اليه وتهدفين الى تحقيقه الا بالسير عليه . وانه ليتمثل في الأبعاد الثلاثة الآتية :

الأول : الاعتراف بالواقع الذى يعيشه المسلمون كل المسلمين ، وهو واقع جد مؤلم ومؤسف ومحزن أيضا ، فليعترف به ولا يتجاهل بحال من الأحوال ، وها هى ذى صورة واضحة لهذا الواقع المؤلم فلينظرفيها ولتتأمل ملامحها حتى يكون الاعتراف مبنيا على أساس العلم فيساعد ذلك على قبول هذا الطريق الذى ندعو الجماعات الاسلامية الى سلوكه ، والسير فيه الى أن تتحقق أهدافها وتصل إلى غاياتها في ايجاد المجتمع الاسلامى واقامة الحكم الاسلامى فيه .

ملامح الصورة :

ان لصورة الواقع المؤلم الذى يجب على الجماعات الاسلامية الاعتراف به ملامح بارزة ومخيفة منها يتكون وجهه المكفهر الكالح ، فلننظر اليها :

(١) الفرقة :

ان مما لا شك فيه أن واقع المسلمين اليوم قائم على أساس الفرقة والاختلاف ، فدولتهم دويلات تعد بالعشرات ، وجماعاتهم جماعات تعد أيضا بالعشرات ، قانونهم الذى يحكمهم قوانين شتى ، وفكرهم الذى تنبع منه سياستهم وتخطيطهم لكل حياتهم أفكار متعددة ، ومتناقضة متضاربة أيضا .

(٢) العـــداء :

ان العداء الموجود اليوم بين المسلمين عداء مستحكم شديد ، وهو قائم بين الحكومات وبين الجماعات كذلك ، وحتى بين الافراد ، فلذا لم يوجد أى تعاون صادق بين المسلمين وفي أى مجال من مجالات الحياة . مع أن التعاون بين المسلمين مبدأ أساسى في كمال حياتهم ، وطهرها ، وسعادتها ، لقول الله تعالى لهم : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومنذ أن حلت العداوة بين المسلمين محل المحبة ترك بينهم واجب قيام الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، اذ لا يتم هــذا الواجب على وجهه الكامل المثمر الا بين جماعات متوائمة متحابة ، وما دام لا وئام ، ولا حب بين المسلمين حكومات ، وجماعات وأفرادا ، فلا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ، واذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في بلد عمه الفساد وهلك أهله لا محالة (١) .

(٣) قسوة القلوب :

ان ظاهرة قسوة القلوب بين أفراد المجتمع الاسلامى لظاهرة غريبة ، وخطيرة في نفس الوقت .

غريبة ، لأن طبيعة العقيدة الاسلامية القائمة على أساس الايمان بالبعث والجزاء

---

(١) مصداق هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعونه فلا يستجيب لكم) . . رواه احمد والترمذى وحسنه .

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا » - وعلى مبـدأ الرحمة والإخاء « إنما المؤمنون اخوة) » (١) - « الراحمون(٢) يرحمهم الله » - « ارحموا (٣) من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

يتنافي معها قسوة القلوب التى تنجم عادة عن الكفر والظلم . . وخطيرة لأن مجتمعنا حين تنعدم فيه الرحمة حتما ينعدم منه الخير ، ويعمه الشر ، ويكثر فيه الفساد ، وبالتالى تنتظم أهله التعاسة والشقاء .

وان بحثنا عن سبب وجود هذه الظاهرة أو الكارثة في الحقيقة وجدناه فيما أصاب العقيدة الأسلامية في نفوس المسلمين من تخلخل ، وضعف نتيجة الكيد المستمر للاسلام والمسلمين ، والذى ابتدأ بقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وانتهى باسقاط الخلافة الاسلامية ، ثم بنشر مذهبي الالحاد والاباحية في ديار المسلمين **الالحاد** الذى يتزعمه المعسكر الشيوعى الاشتراكى ، صنيعة اليهود ، **والاباحية** التى تقوم بنشرها الرأسمالية الغربية بزعامة امريكا اليهودية ، **فعن المذهب الأول** انتقلت شعارات الكذب ، والخداع ، والتضليل ، كالتقدمية الثورية ، والاشتراكية العربية والاسلامية ، فأنست المسلمين قيادة الاسلام ، وحكم الاسلام وعدالة الاسلام ، ورحمته ، **وعن المذهب الثاني** انتقل ما يسمونه حرية الرأى والفكر ، والحرية الشخصية ، وفصل الدين عن الدولة ، وعزل الشريعة الاسلامية عن الحياة كل الحياة والتعليم المخرب للعقول والقاضى على الخلق والكرامة ، ثم السفور والفجور وأندية العرى والقمار ، واظهار الأغاني الخليعة وإيجاد المسابح والمسارح في سلسلة جهنمية يطوق بها عنق الاسلام ، لخنقه والقضاء عليه ، والذى تولى القسط الأكبر من هذه الجريمة هم وزراء **الاعلام** ، **والتربية** والتعليم ، **والشبيبة** والرياضة في بلاد المسلمين ، جرهم لذلك غفلتهم عما تقدمه لهم الماسونية من سم قاتل ، في قوالب مختلفة يطلقون عليهم مسميات الخبرات والاستشارات وهم لا يشعرون .

وتتجلى ظاهرة قسوة القلوب بين المسلمين في مجالين : **الأول** : بين الأغنياء والفقراء **والثاني** : بين ذوى الحاجات من المسلمين وبين من على أيديهم قضاؤها ولوكان من

(١) من سورة الحجرات
(٢) حديث صحيح
(٣) حديث صحيح أيضا

أصغر الموظفين القائمين على بعض مصالح المسلمين . فبين الأغنياء لا يوجد على الحقيقة أى مظهر للرحمة ، والبر ، والاحسان ، يشار اليه بالبنان ، فلا يوجد الا غني يسكن قصور الملوك ، وفقير يسكن اكواخ الحطب ، وبيوت الصفيح ، وغني يركب أحدث أنواع السيارات ، وفقير يمشي على رجلين حافيتين ، وغني تصنف له أنواع الطعام ، وتصفف بين يديه في كلتا وجبتيه ، وفقير محروم من كل الكماليات ويعاني آلاما من فقده الضروريات .

وبين الموظفين وأصحاب الحاجات لا يوجد أيضا أى مظهر من مظاهر الرحمة والشفقة ، أو التقدير أو التكريم ، كأن الموظف القائم على المصلحة موعز اليه باتعاب المواطن ذى الحاجة ، واهانته ، وتعذيبه حتى أصبح من المعلوم لكل الناس ان صاحب الحاجة ان لم يكن له وساطة لا تقضى حاجته الا بعد عناء ، ومشقة ، وفوت وقت طويل ، هذا ان قضيت له ، والا فما أكثر من تموت حاجاتهم في نفوسهم ، وتقبر مصالحهم في مقابر آمالهم وآلامهم .

(٤) الكذب والخيانة :

إن ظاهرة انعدام الصدق والأمانة بين المسلمين اليوم لظاهرة خطيرة للغاية ، حيث شملت أغلب وجوه الحياة بين المسلمين ، فلم يسلم منها وجه واحد ، فقد ظهر الغش وفشت الخيانة في كل مرافق الحياة ، فظهر ذلك بين الرؤساء والمرءوسين ، وبين العمال والموظفين ، وبين الصناع والتجار والفلاحين ، وحتى بين العلماء والمتعلمين حتى لكأن المسلمين لم يؤمروا في شريعة ربهم بأمـــانة ، ولم ينهوا عن خيانة ، ولم يدعوا الى صدق ، ولم يحذروا من كذب قط ، مع أن نصوص الشرع تقول « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها (١) » .. « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢) » . . ويقول عليه الصلاة والسلام « أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك(٣) » .. ويقول« من غش فليس منا(٤) » . . ويقول «عليكم بالصدق واياكم والكذب(٥)» ومع كل هذه النصوص وغيرها شاع الغش، وانعدمت

---

(١) آية من سورة النساء
(٢) آية من سورة الا نفال
(٣) حديث صحيح
(٤) حديث صحيح
(٥) حديث صحيح

الأمانة حتى ان المرء لو أراد أوقية من عسل خال من الغش أو سمن أيضا لم يكد يجدها في أسواق المسلمين والعياذ بالله تعالى .

(٥) زيغ القلوب :

ان زيغ القلوب أصبح ظاهرة معروفة بين كثير من المسلمين ، لا سيما طبقة الأثرياء والمثقفين ، والحاكمين ، ويظهر ذلك في استخفافهم بشريعة الله ، ونقدهم لها ، واعراضهم عنها ، وعيشهم بعيدا عن التخلق بأخلاقها ، والتأدب بآدابها ، وعن مزاولة فرائضها وسننها ، كما يظهر بوضوح اكثر في تكييف حياتهم الخاصة تكييفا الحقهم باليهود والنصارى ، وذلك بتشبههم بهم ، في كل شأن من شئون حياتهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تشبه بقوم فهو منهم »(١) .

(٦) كبائر الاثم والفواحش :

ان كبائر الاثم والفواحش والتى ما ظهرت في أمة الا دمرتها ، وقضت على طهرها وصفائها ، وبالتالى على وجودها بالمرة ، قد ارتكبت بين أمة الاسلام بصورة هائلة ، مفزعة مخيفة ، **فالربا** وهو من اكبرها قد أصبح مباحا تتعاطاه الحكومات والمؤسسات وحتى الأفراد تجارا وموظفين على حد سواء ، **والزنى** وهو من أعظم الفواحش قد انتشر ، وظهر بين المسلمين بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذه الأمة ، نتيجة لتهيئة وسائله ، وإتاحة الفرص لطالبه ، وذلك بأشاعة الأغاني في بيوت المسلمين ، وعرض صور النساء المومسات ، وصور الزناة من الرجال على شاشة السينمات والتلفزات ، والسماح للنساء بالسفور والتبرج الجاهلي في الأسواق والشوارع . ودور العمل وما اليها من المدارس والجامعات

الأمر الذى دفع برجال الأمة ونسائها الى التكالب على فاحشة الزنى ، حتى أصبحت السلامة من هذه الفاحشة نادرة جدا بين شباب هذه الأمة وشاباتها !

وككبيرة الربا وفاحشة الزنى **الظلم والجور والقمار والتلصص** ، **والسرقة** ، **وقتل النفس** ، **والرشوة** ، في الاحكام والمعاملات ، كل هذه مرتكبة معمول بها على مرأى ومسمع من كل المسلمين ، ولا قلب يحزن ، ولا نفس تخاف ، ألا فلتعرف هذا

---

(١) رواه احمد

الجماعات الاسلامية ، وليبينوا بناء دعوتهم الاصلاحية لايجاد المجتمع الاسلامى ، واقامة الحكم الاسلامى فيه على أساسه والذى هو اعتراف بواقع مر وجد أليم .

الثاني :

ان البعد الثاني من الأبعاد الثلاثة التى يتكون منها طريق الوصول الى ايجاد المجتمع الاسلامى واقامة الحكم الاسلامى فيه هوالعمل الاصلاحى على أساس الاعتراف بواقع الأمة الاسلامية اليوم وعدم تجاهله ، وهو واقع مر ، وجد مؤلم كما أسلفنا .

وهو أى العمل على أساس الاعتراف بالواقع يتطلب الاخلاص في العمل ، والصبر عليه ، والحلم والأناة فيه ، والحكمة ، والعلم ، والتنظيم في كل ذلك .

فان الضجر ، وسرعة الغضب ، والعجلة لا يتأتي لصاحبها عمل ناجح مثمر أبدا . كما أن الخلط ، والفوضى ، والجهل لا ينتج عنها ، غير ضلال السعى ، وخيبة الأمل ، كما هو معروف بين العاملين بصدق وجد في هذه الحياة . و من هذه النقاط الست يتكون الطريق المطلوب بيانه للجماعات الاسلامية ، العاملة في الحقل الاسلامى الصحيح .

الاخلاص :

وهو التجرد من كل الخطوط النفسية ، والأغراض الدنيوية بحيث لا يكون للجماعة العاملة غرض سوى الاصلاح كما قال نبى الله شعيب عليه السلام فيما قصه القرآن عنه :

« وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» (١) اذ اتخاذ العمل الاصلاحى وسيلة الى تحصيل حظ نفسى من سمعة ، أو جاه ، أو منصب ، أو مال ، أو أى كسب مادى شرك فيه ، والشرك محبط للعمل ، مبطل له ، لقوله تعالى : « لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » (٢) . كما أن الناس اذا رأوا العامل المصلح له رغبة فيما في أيديهم من مال أو سلطان رغبوا عن دعوته وأعرضوا عنها ، وكلما اتضح لهم ميله الى دنياهم وحبه لما خولهم الله تعالى من مال ، أو دولة ، ازداد نفورهم منه ، وحذرهم له ، ثم لم يلبسوا أن يقاوموه ويحاربوه دفاعا عن مكانتهم ، وما بأيديهم

---

(١) من سورة هود .

(٢) من سورة الزمر .

فلهذا وجب على الجماعات الاسلامية أن ينطلق عملها من مبدأ الاخلاص الكامل ، وهو كما مر : التجرد التام لله تعالى في عملها ، فلا تعمل لأى غرض سوى غرض واحد وهو أن يعبد الله تعالى وحده بما شرع لعباده أن يعبدوه به ، مما أنزل به كتابه وأرسل به رسوله ليكمل العابدون ويسعدوا في الحياتين .

الصبر :

والمراد به : حبس النفس على ما تكرهه وتنفر منه ، وله مواطن كثيرة منها :

(١) حبسها على طاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ،وأولي الأمر بما يرضيها في الجماعة الاسلامية ، وذلك بامتثال الأمر ، واجتناب النهى ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، في حدود الطاقة البشرية .

(٢) حبسها – النفس – بعيدة عن معصية الله ،ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر ، فلا يسمح لها بأن تترك أمرا وهى قادرة على فعله ، أو ترتكب أى نهى لم تكره على ارتكابه .

(٣) حبسها على الرضا والتسليم بما يقضى الله تعالى به على عبده المؤمن ، وما يصيبه به امتحانا له ، أو لذنب ارتكبه ، لقوله تعالى « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » (١) ،وقوله « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم(٢) » وقوله « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم(٣) » .

وعليه فانه لا ضجر ، ولا سخط ، ولا خروج عن الطاعة بحال من الأحوال اذ هذه تتنافي مع الصبر المطلوب للسالكين في هذه الطريق ، طريق النجاة والسعادة .

(٤) الصبر على العمل الاصلاحى بعدم تركه أو التخلى عن بعض واجباته ، وتكاليفه فشلا وضعفا .

(١) من سورة القتال .

(٢) من سورة الشورى .

(٣) من سورة آل عمران .

(٥) الصبر على بطء سير الدعوة ، وعلى تعثرها في طريق نجاحها ، وعلى نقد بعض الناس لها ، أو معاداتهم لها ، ونفرتهم منها ،اذ هي طبيعة الناس إزاء دعوات الخير والاصلاح في كل زمان ومكان (فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ٣ ـ ١٨٤) .

(٦) الصبر على طاعة أولى الأمر من المسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي ، كأن رأسه زبيبة (١) » ، فلا خروج على الأمير ، ولا محاولة ذلك بحال الا بشرطين :

الأول : أن يظهر منه الكفر البواح أي الظاهر الواضح لقوله صلى الله عليه وسلم : (الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان).

الثاني : أن يكون للمسلمين شوكة(٢) ، وقوة تمكنهم من خلع الكافر ونصب المؤمن بدون اراقة دماء المسلمين ، وإزهاق أرواحهم .

الحلم والأناة فيه : أي في العمل الاصلاحي الذي يقوم به الفرد في الجماعة الاسلامية ، اذ الحلم والأناة خصلتان يحبهما الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وضد الحلم والأناة سرعة الغضب ، والعجلة بالمؤاخذة ، وهما مضران بصاحبهما ، مفوتان عليه كثيرا من فرص الهداية والإصلاح ، وعليه فليكن الفرد في الجماعة حليما لا يغضب على من يجهل عليه ، أو يسيء اليه، ولا يبادره بالمعاقبة والمؤاخذة ، ذا أناة لا يستعجل النتيجة إذا عمل ، ولا يسارع في إصدار حكم بقول أو عمل، وليكن بعيدا عن التسرع ، ومظاهر النزغ والطيش ، إذ لا يصلح لهداية الناس ، وإصلاحهم الا من كان اكمل منهم هداية ، وأقدرهم على اصلاح .

الحكمة والتنظيم والعلم :

ان الحكمة في العمل الاصلاحي ضرورية ، وحقيقتها : هي اعطاء كل شيء ما يناسبه ، ووضع كل شيء في المكان اللائق به ، وبها يكون السداد في الأمور،

---

(١) رواه مسلم بغير هذا اللفظ

(٢) هذا يتهيأ للجماعات الاسلامية اذا كان المسلمون الصالحون في الاقليم يشكلون نسبة كبيرة من الأمة كنصفها أو ثلثيها . أما اذا كانوا اقلية ، والفاسدون اكثرية ، فلا يتأتى لهم ذلك ، وعليهم أن يصبروا حتى تتهيأ الأمة لمثل ذلك ، بكثرة الصلاح فيها ، والمصلحين والصالحين .

والاصابة للأغراض ، والوصول الى الغايات بقليل من الكلفة ، واليسر من المشقة، ولا تتم لعبد الا اذا كان قد أشبعت روحه بعلم الكتاب والسنة ، اذ الحكمة فيهما ، وهما مصدرها ، ولا تطلب الا منهما .

وأما التنظيم في العمل الاصلاحي فان المراد منه : ترتيب الأعمال ، وتقديم بعضها على بعض بحسب وجودها ، وافتقار بعضها الى بعض حتى لا يختلط بعضها ببعض، فتتعقد وتتعطل . ان النظام في العمل الاصلاحى هو بمثابة المفتاح لفتح خزائن الأموال فلو جاء أحد الى خزانة مال حديدية يريد فتحها بدون مفتاحها الخاص بها لما أمكنه ذلك ، ولا نال منها شيئا أبدا ، ومهما قلبها وضربها ، ولكن بمفتاحها الخاص يفتحها، ويطلع على ما فيها ، ويخرج منها ما يشاء .

فالقلوب البشرية أوعية لا يفتحها المصلح الا بمفاتيحها الخاصة بها وهى الصبر ، والحلم ، والأناة ، والحكمة ، والنظام ، والعلم .

وأما العلم : وهو شامل لمعرفة طرق الهداية ، ولمعرفة الوسائل والغايات ، فالذى يجهل طرق الهداية لا يصل بمن يريد هدايته اليها ، والذى لا يعرف الوسائل ولا كيفية استعمالها لا يمكنه أن يسلك بأحد طرق الهداية ، ويصل به اليها فيهديه ، والذى لايعلم النتائج والغايات لا يتأتي له أن يحدث عنها ، أو يصدقها حتى يرغب فيها ، ويحمل الناس على حبها ، والرغبة في العمل من أجلها ، ولذا كان العلم من ضروريات العمل الاصلاحي الناجح ، ولا حق لغير العالم في أن ينصب نفسه هاديا للناس مصلحا لهم ، لجهله بما يدعون به من الحكم والوسائل والنظام ، ولما يدعوهم اليه من كمال المقاصد ، وشريف الغايات، ونبل الأهداف المتمثلة في النجاة والسعادة والكمال في الحياتين .

الثالث(١) اتباع خطة العمل التالية :

اني أعلم أنه ليس لى من حق في وضع خطة عمل لجماعات المسلمين . وحسبى ما بينته في الأرقام السالفة، ان وضع خطة كاملة للعمل الاصلاحى لجماعات المسلمين ينبغى أن يجتمع عليه عدد من رجال العلم والاصلاح في أمة الاسلام ، فتوضع الخطة

(١) هذا هو البعد الثالث من الابعاد الثلاثة التى يتكون منها الطريق ، وقد تقدم الأول والثانى فليرجع اليهما .

المتكاملة بناء على خبرات سابقة ، وتجارب عديدة في بلاء طويل لأحوال المسلمين ، لتكون الخطة ناجحة لدى العاملين بها ، والقائمين على تنفيذها ، ولكن نظرا لعدم وجود أولئك العلماء المصلحين مجتمعين على هذا الأمر ، عاملين على تحقيقه فقد أبحت لنفسي عملا كهذا ، على خطورته ، ووعورة مسالكه . وبينت طريقا إصلاحيا للحاكمين والجماعات المسلمين ، وكلى أمل وثقة أن سلوكه لا ينتهى بالسالكين إلا الى نجاتهم ، وكمالهم ، وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

والخطة الموضوعة لسالكي هذا الطريق من الجماعات الاسلامية تتمثل في الخطوات الست التالية :

الخطوة الأولى :

ان الخطوة الأولى هى تكوين جماعة للمسلمين في كل قرية ، وفي كل حى من أحياء المدن الكبرى ، أو الصغرى ، في كل اقليم من أقاليم البلاد الاسلامية تسمى الواحدة من هذه الجماعات : بجماعة المسلمين . ويكون لكل جماعة ادارتها من أمير ، ومجلس شورى ، وأعضاء عاملين ، ويكون لتلك الجماعات في الاقليم مجلس واحد يشرف عليها ، وينظم سير عملها ، يسمى بالمجلس الأعلى لجماعات المسلمين في ذلك الاقليم الاسلامى ، ويكون مقره في عاصمة الاقليم أو إحدى مدنه الكبرى(١)

الخطوة الثانية :

هى بيان عمل جماعة المسلمين ومباشرته :

ان لجماعة المسلمين الثابتة الوجود شرعا بحديث مسلم « تلزم جماعة المسلمين وامامهم فقلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام الخ . . » عملا معروفاً في كتب الفقه الاسلامى الذى هو شريعة المسلمين **ومجمل القول في هذا العمل** : أنه كل ما كانت تقوم به حكومة امام المسلمين عند وجودها وقدرتها من إطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ومداواه المريض ، وإرشاد الضال ، وتعليم الجاهل ، وحماية عقائد المسلمين ، وأرواحهم وأعراضهم ، وأموالهم ، وديارهم . ومن ذلك واجب الأمر بالمعروف والنهى عن

(١) الجماعات الاسلامية الموجودة قبل هذا التكوين يجب ان تندرج في هذا التكوين الجديد ، ولا ينبغى أن تخرج عنه بحال توحيدا للأمة ، والعمل الاصلاحي بينها .

المنكر ، والجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله .

الخطوة الثالثة :

هى العمل الفورى على توحيد كل الجمعيات الاسلامية في البلد الاسلامى ، ودمجها في جماعة واحدة ، هى جماعة المسلمين ، التى تنشأ في كل قرية من القرى الاسلامية ، وكل حى من أحياء مدنهم ، وهذ االتوحيد ضرورى للعمل الاصلاحى ، ولا مبرر لغيره أبدا ، إذ هدف المسلمين واحد ، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له ، ولا يتحقق هذا الهدف كاملا الا في المجتمع الاسلامى ، وظل الحكم الاسلامى ، وهذا متوقف بد وره على وحدة المسلمين ، وتعاونهم على البر والتقوى . ووجود جمعيات متعددة تذهب بريح الأمة ، وتضعفها ، ويبدد جهدها وطاقتها ، فلا تصبح قادرة على العطاء والحياة .

الخطوة الرابعة :

في تفصيل العمل وتنظيمه :

ان هذه الخطوة لمن أهم خطوات هذا الطريق اذ عليها تدور سائر اعمال جماعة المسلمين ، فهى الكل في الكل ، والبداية والغاية وبيانها كالتالى :

(أ) تكوين هيئة الجماعة في القرية أو الحى من المدينة ، وهى عبارة عن لجنة رئيسية تحتها لجان فرعية تقوم كل لجنة بعمل خاص . فاللجنة الرئيسية تتكون من أمير الجماعة ومستشارين له لا يقل عددهم عن ثلاثة أنفار من صالحى أهل القرية أو الحى ، ومهمة هذه الهيئة الارشاد ، والتوجيه ، وادارة عمل الجماعة .

(ب) تكوين لجان العمل وهى :

١ ــ لجنة الكتابة
٢ ــ لجنة المالية
٣ ــ لجنة الحكم والفتيا
٤ ــ لجنة التعليم والتربية
٥ ــ لجنة البروالاحسان
٦ ــ لجنة الأنشطة الرياضية
٧ ــ لجنة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

فلجنة الكتابة مهمتها : كتابة رسائل الدعوة ، ونشراتها التى تقوم الجماعة بنشرها

أداء لمهمة الوعظ والارشاد ، والدعوة الى البر والمعروف وتسجيل وكتابة اسماء وعناوين كل أفراد الجماعة في الحى أو القرية ، وكتابة الدخل المالى لصندوق الجماعة وخرجه ودفع حسابات بيانية بذلك كل شهر .

ولجنة المالية مهمتها : جمع الاشتراكات والتبرعات ، والزكوات من أفراد جماعة المسلمين في الحى أو القرية ، وحفظها في صندوق الجماعة ، والدفع منها عند الحاجة باذن من أمير الجماعة موقعا بتوقيعه ، مبينا فيه سبل الانفاق ، والقدر المطلوب انفاقه بلفظ صريح .

ولجنة الحكم مهمتها : فض النزاع ، وانهاء الخلاف الذى قد يقع بين أفراد جماعة المسلمين في القرية أو الحى ، وفي حال استعصاء الخلاف ، أو احتدام النزاع ، وعجز اللجنة عن إنهائه فانه يرفع الى أمير الجماعة ومجلس شوراه فان أمكن انهاؤه فذاك ، والا رفع الى محاكم البلد ، والقضاء فيها .

ولجنة التعليم والارشاد مهمتها : تعليم أفراد الجماعة أمور دينهم ، وارشادهم الى ما فيه خيرهم وصلاح أمرهم ، ويتم ذلك للبعض بواسطة حلق العلم التى تعقد في المسجد كل يوم ، وللبعض الآخر بواسطة الدرس العام الذى يلقيه أمير الجماعة كل أسبوع في مسجد الجماعة

ولجنة الأمر بالمعروف مهمتها : ملاحظة سلوك المسلم في الحى أو القرية فان رأته ترك معروفا أمرته بفعله في رفق ، وأن رأته ارتكب منكرا نهته عن فعله في رفق كذلك ، وتستعمل اللجنة في ذلك اسلوب الوعظ والارشاد فان نفع ، والا رفعت الأمر الى أمير الجماعة ومجلسه لاصلاح هذا الفرد بما تراه من وسائل مشروعة .

ولجنة البر مهمتها : تفقد أفراد جماعة المسلمين ورعاية أحوالهم ، فتطعم جائعهم وتكسو عاريهم ، وتداوى مريضهم ، وترفع الظلم عن مظلومهم ، وتيسر عن معسرهم وترحم ضعيفهم ، وتعاونهم على البر والتقوى .

ولجنة الرياضات مهمتها : رعاية شباب القرية أو الحي صحيا ، وعقليا ، وذلك بمزاولة الوان الرياضة المختلفة والتى تثبت جدواها ، وتحقق نفعها لمن يأتيها من سائر أنواع الرياضات التى تحفظ الجسم ناميا ، صالحا يقدر على أداء فريضة الجهاد ، والعقل صالحا راجحا ، يقدر على التفكير ، والابداع ، والاختراع .

الخطوة الخامسة : وهى المحافظة على العمل الاصلاحى ، وانجاحه .

انه بعد انشاء هذه الجماعات الاسلامية على النحو الذى سبق بيانه يجب أن تعظم عناية القائمين على هذا العمل بالمحافظة على سيره في طريقه حتى لا يختل ، أو يضعف ، أو يتعطل لا قدر الله تعالى ، فرعايته من أوجب الواجبات واكدها ، فيتعين على القائمين به والمسيرين له التفاني في حفظه ، وبقائه نامى العمل ، مطرد النجاح ، وذلك ببذل كل ما في الوسع ،وانفاق كل رخيص وغال . اذ فشل العمل الاصلاحى للأمة الاسلامية معناه الموت بأتم معناه ، وليس هو مجرد تعطل حركة اصلاحية ، أو خيبة أمل في مشروع خيرى فقط .

ان اعداء الاسلام لا يسرهم بحال عمل اصلاحى كهذا يعود بالمسلمين الى سابق عزهم ، وخالد مجدهم ، بعد أن يرد إليهم اعتبارهم ، في كونهم أمة قائدة ، سادت العالم ، وقادته الى الخير والكمال زمنا غير قصير ، ولذا فانهم سوف يشككون في صلاح هذا العمل الحركى الاصلاحى ، وفي قيمته الكبيرة ، وفي جدواه ، فينبغي أن لا يلتفت اليهم حتى ولو حاربوه ، فليتذرع بالصبر ، والحلم ، والشجاعة حتى لا يمكن العدو من احباطه ، اذ لا يسرهم الا ذاك ، وانهم سوف يتذرعون اليه بكل الوسائل حتى بأخسها فليعرف هذا وليتفطن له ، وليحذر منه(١) حتى لا يمكن أعداء الاسلام من ايقاف هذا العمل أوعدم انجاحه ، وليصبر على ذلك الى أن ينجح هذا العمل الاصلاحى الذى هو المنزع الأخير لأمة الاسلام في هذه الأيام ، والى أن يظهره الله تعالى وينجحه ، ويومها ييأس المبطلون المناوئون ويهلكون ، أو يتوب الله على من يشاء منهم فينجو بهذه الحركة الاسلامية الاصلاحية ويسعد بها كغيره من سائر العاملين بها الراضين بها .

الخطوة السادسة : ايجاد قيادة عليا لجماعات المسلمين(٢)

ان من الضرورى لهذا العمل الاسلامى المنظم أن تكون له قيادة عليا ، تشرف عليه ، وتنظمه وترعاه وتوجهه ، وتكون المرجع الأخير لكل جماعات المؤمنين في بلادهم ، يتحاكمون اليها ، وينهون امرهم الى قضائها وحكمها .

---

(١) الضمير في قولنا له ومنه ، واسم الاشارة قبلهما يعود الى تشكيك الاعداء ، وتوسلهم بكل الوسائل لا حباطه وافساده .

(٢) ان هذه القيادة العليا قائمة مقام الخليفة عند فقده ، كما أن جماعة المسلمين قائمة مقام امام المسلمين عند فقده أو عجزه .

فمجرد ما يوجد هذ العمل في اقليمين أو اكثر من بلاد المسلمين ، يتعين أن يكون من امراء جماعات المسلمين في تلك الأقاليم مجلس أعلى لرعاية العمل الاسلامى وتوجيهه ، ليتم التعاون بين سائر المسلمين ، ولا يتحقق التعاون المثمر الا بمثل هذه القيادة العليا التى قد تربط بين كل جماعات المسلمين وفصل ما بينهم حتى يشعروا أنهم أمة واحدة ، كما أراد الله تعالى لهم أن يكونوا « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا(١) » .

خاتمـــة :

وأخيرا فهذا هو الطريق قد بينته لأخوة الاسلام ، وهو طريق واضح مستقيم ، السير عليه مأمون العثرات ، وسلوكه محمود النهايات .

وانه لآمن وأسلم ، وأرجى أن يحقق سالكوه ما يصبون اليه من اقامة المجتمع الاسلامى ، والحكم الاسلامى ، ليعبدوا الله وحده ، ولينجو المسلمون ويسعدوا .

انه لآمن وأسلم وارجى من طرق شتى سلكها كثير من المؤمنين لهذه الغاية ، وما وصلوا اليها ، وما فازوا بها .

أقول ان طريق جماعات المسلمين هو الطريق السوى المرضى ، المأمون العثرات ، المحمود العواقب والنهايات ، وان السير عليه، والسلوك فيه ليس بأصعب من السير على تلك الطرق ، التى بعضها ضيق غير قاصد وبعضها مظلم متلف ، وقد جربت كلها فلم يجد منها طريق ، ولم ينفع منها آخر ، فلم يبق اذا الا طريق واحـــد هو سبيل جماعة المسلمين الذى هو سبيل المؤمنين الذى قال تعالى فيه :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (٢) .

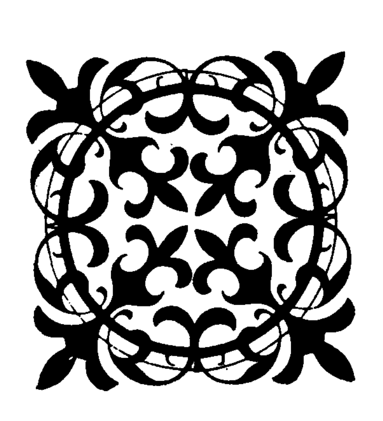
وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « تلزم جماعة المسلمين وامامهم ، فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ، فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى

---

(١) من سورة البقرة .

(٢) من سورة النور .

يدركك الموت وأنت على ذلك » ، ألا فليستعن بالله وليتقه الاخوة المؤمنون ، وليحيوا هذه السنة ، وليقيموا هذا الواجب الذى تركه المسلمون من زمن طويل حتى حل بهم ما حل من العجز والضعف ، وأصابهم من المحن والفتن ، وليعلموا أنه لا نجاة لهم ، ولا مخرج مما هم فيه الا سلوك هذا الطريق ، والسير عليه مهما كان شاقا أو طويلا ، مع أنه لا مشقة فيه ولا طول ، ما دام تحقق الهدف شريفا والوصول الى الغاية مضمونا باذن الله تعالى (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئا) .



أثر الحج في النفس والمجتمع

(منشور)

للدكتور عبد الرحمن بله علي - كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين، وعلى آله واصحابه اجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد ..

فقد فرض الله سبحانه وتعالى الحج مرة في العمر على كل مسلم، لما فيه من الأسرار النفيسة والفوائد الجليلة والمسلم لا يذوق طعم أسراره، ولا يلمس أثر فوائده إلا إذا أداه على الكيفية التي أداه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن كل عبادة لا تؤدى غرضها ولا تحدث في النفوس أثرها إلا إذا جاءت على المنهج المحمدى مظهراً ومخبراً، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم». والقائل صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» والقائل عليه أفضل الصلاة وازكى التحية: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

والواقع أن في العبادات من الكمالات النفسية والمنافع الاجتماعية ما لو أدركه المسلمون لانعكس على حياتهم خيراً وبركة ووحدة وصلاحاً ورشاداً وعزة وأمنا وسعادة، وتلك غاية لا تدرك الا بتجويد العبادة وأدائها على حقيقتها، ومما أضر بنا أننا نؤدى عباداتنا صورة لا حقيقة وفرق كبير بين الصورة والحقيقة كالفرق بين صورة الأسد مرسومة على ورقة وبين حقيقته موجوداً في غابة. وما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ومن تبعهم بإحسان ـ ما نالوا العزة الباقية

على الزمان إلا أنهم كانوا يؤدون عباداتهم على حقيقتها المبينة في الشرع المحمدى تعمقاً في مدلولاتها التربوية وسبراً لأسرارها التشريعية والتماساً لفوائدها الاجتماعية ، فلا غرو إن كانوا أعز الأمم وأقواها وأعظم الشعوب وأرقاها .

وإذا ذهبنا نلتمس حكم العبادات وأسرارها وآثارها على النفس والمجتمع وجدناها مجملة في القرآن الكريم مبينة في السنة المطهرة حقيقة في حياة السلف الصالح : قال تعالى عن الصلاة : « واقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١) والفواحش والمنكرات من أقوى أسباب الضعف التى تقود المجتمع إلى المرض والهلاك . يقول سبحانه عن الزكاة : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . . » (٢)

فهى تطهر نفوس الأغنياء من الشح والبخل ، وتزكى نفوس الفقراء فلا حقد ولا حسد ولا بغضاء ، وكفى بالمجتمع قوة وسعادة أن يخلو من هذه الأمراض الخطيرة التى تهد قواه ، وتزعزع أمنه ، وتصدع وحدته ، وتضعضع قوته . ويقول عز وجل عن الصوم « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (٣)»

فالصوم يورث تقوى الله ، وهى إذ انتظمت المجتمع رجاله ونساءه وشبابه . . عماله وموظفيه . . زراعه وتجاره . . حكامه وجنوده فاكرم بمجتمع يتكون من المتقين . وعن الحج يقول عز وجل من قائل : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج . . » (٤) فهو تربية على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات ورقيات الكمال . وهكذا تتعاون هذه العبادات على تهذيب الخلق ، وتزكية النفس ، وطهارة الروح كما تتعاون أنواع الطعام على بناء الجسم وصيانة البدن لينشط في أداء وظائفه ، ويؤدى في كفاءة جميع واجباته ومناشطه

والمجتمع الفاضل أمنية أقضت مضاجع المصلحين ، وأسهرت ليل

(١) العنكبوت ٤٥ (٢) التوبة ١٠٣ (٣) البقرة ١٨٣
(٤) البقرة ١٩٧

المفكرين ، فماتوا ولما يتحقق منها شيء حتى جاء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بمنهج الخالق ووحى السماء فإذا المجتمع الذى كان أمنية في عالم الخيال حقيقة دنت من الناس ، ورمت إليهم بخيراتها وثمارها ، ومـلأت عيونهم بجمالها وقلوبهم بجـلالها فإذا هم بها في غبطة وهناء وسعادة وأمن ورخاء روى التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما ولى قضاء المدينة المنورة على عهد أبي بكر رضى الله عنه مكث عاماً كاملا لم ترفع إليه فيه قضية واحدة فطلب من الخليفة إعفاءه من منصبه فلما سأله عن السبب قال: « إن قوماً يوقر صغيرهم كبيرهم ويرحم كبيرهم صغيرهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر القوى فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه والضعيف فيهم قوى حتى يؤخذ الحق له ، إذا مرض احدهم عادوه وإذا مات شيعوه واتبعوه ، قوم هذا شأنهم لا حاجة لهم بقضاء عمر »

والحج مؤتمر يقام كل عام على نحو تعجز أقوى أمم العالم وأدقها تنظيما أن تقيم مثله ولو في العمر مرة ولا تكاد توجد جماعة من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا وفي هذا المؤتمر من يمثلها . قال تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها ، واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (١) .

إذا علمنا أن لكل عبادة غايتها المثلى وهدفها الأسمى فإن للحج من الغايات الكريمة والعوائد المحمودة ما لا يستطيع القلم أن يحصيه عدا ، أو يستوعبه دراسة وبحثا ، وعليه سيكون حديثنا قليلا من كثير وغيضا من فيض .

إن الحاج إذا عزم على الحج ، وشرع في الاعداد له فالذى يجدر به ان يبتعد عن الأخـلاق الذميمة فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل ولا يشاحن ، ولا يزاحم الناس ، ولا يؤذى أحداً ، ولا يظن به سوءاً ،

(١) سورة الحج ٢٧ – ٢٨ – ٢٩

ولا يضمر له شراً ، ولا ينظر إليه بازدراء ، ولا يطــلق لسانه في أعراض الناس ، ولا يستمع إلى غيبة ولا نميمة ، ولا يستمع إلى منكر من القول وزور ، ولا يشتغل بسفساف الأمور ، ولا يغش ، ولا يكذب ولا يرائى ، ولا يظلم ، ولا يتكبر إلى غير ذلك من الأخلاق المذمومة التى نهى عنها الدين ، وحذر منها ، وهى وإن كانت منهياً عنها في كل وقت وحين إلا أنها في الحج آكد وبالحاج أليق .

وفي الوقت الذى يتخلى فيه عن الأخلاق القبيحة يتحلى بالأخــلاق الحسنة والخصــال الحميدة ، فيأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويبر والديه ، ويصل أرحامه ، ويصلح بين الناس ، ويصدق في حديثه ، وينصح في بيعه وشرائه ، ويتصدق من ماله ويخلص في أعماله ويرخص نفسه في سبيل ربه ، ويحسن إلى جاره ، ويرحم الصغير ويوقر الكبير ، ويرفق بالضعيف ، ويرشد الحائر ، ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، ويدعو إلى الحق ، ويعين عليه ، ويقضى به ، ويتفانى فيه ، إلى غير ذلك من الأخلاق الكريمة التى دعا إليها الدين ورغب فيها ، وأمر الناس أن يأخذوا منها بأوفر نصيب لما لها من انعكاسات مدهــشة على النفس والمجتمع ، وتجاوب كامل مع فطرة الله التى فطر النــاس عليها ، روى أن أكثم بن صيفى خطيب العرب المشهور وحكيمهم في الجاهلية قال حين علم ما يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم – « إن الذى يدعو إليه محمد لو لم يكن دينا لكان في أخلاق الناس حسنا »

والواقع أن المشكلة التى يعاني منها مجتمعنا ليست مشكلة سياسية ولا هى اقتصادية ، إنما هى مشكلة أخلاقية ، فنحن في زمن كثر فيه الشر وحاملوه وقل فيه الخير وفاعلوه ، وماتت فيه الضمائر ، وخربت الذمم ، وتفشت الأنانية مما كان له أثر سيء على المجتمع فضعف وتفكك ، وكف بذله ، وخف بين الأنام وزنه فإذا ما حلت هذه المشكلة تداعت جميع المشكلات . وفي الحج تروض نفس المسلم في هذا المؤتمر الاسلامى العظيم فاذا هذه الأخلاق قد تأصلت في

نفسه ، ونزلت منها منزلة الطبع ، فيعود إلى بلاده مدرعاً بها داعياً إليها .

ومعلوم أن الحج المبرور يمحو الخطايا ، ويغفر الذنوب قال عليه الصلاة والسلام : « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » حديث صحيح وهكذا يعود الحاج وهو أنقى صفحة وأطهر قلباً ، وأسهل للخير قوداً ، وأبعد عن الشر قصداً ولا شك أن الذنوب تثقل الكاهل ، وتسود القلب ، وتضعف العزيمة ، وتشل الحركة المباركة ، فاذا تطهر المسلم منها نشطت همته ، وتوجهت إلى العمل الصالح إرادته ، فكان أكثر ما يكون بذلا وعطاء .

كما أن الحج يتيح للمسلم مشاهدة تلك الأراضى المقدسة التى شع منها نور الإسلام ، وارتفع فوقها علم التوحيد ، وتعطرت أجواؤها بالدعوة النبوية . وهذا مما يقوى الإيمان ويمتن العقيدة . والمسلم في حاجة ماسة لذلك لأن الفتن الهائجة لا يكاد يخلو منها زمن ، أو ينجو منها وطن ، والإيمان أقوى سلاح يستطيع به المسلم مواجهة الموجات المادية والهجمات الاستعمارية ورياح الأفكار الإلحادية ، فالإيمان هو حصن الأمان وسفينة النجاة وقارب الخلاص فما أحرى المسلم أن يتفقد إيمانه بفعل كل ما يقويه ويعلى أسواره من الصالحات وترك كل ما يضعفه ويهيض جناحه من المعاصى والموبقات .

إن حاجتنا المنشودة وأمنيتنا المطلوبة هى الإيمان بالله واليوم الآخر ، ذلك الإيمان المتوهج في النفوس الذى ينمى في الإنسان الملكات الخيرة المباركة . ينمى قلبه . . ضميره . وارادته . . وخلقه ، وتأتي تبعا لذلك ونتيجة له التنمية المادية . إن الذى أضر بالعالم ، وجعله يعيش في قلق دائم وتوتر مستمر ، وساقه إلى شفا هاوية حرب ذرية ثالثه كونه متقدماً مادياً متخلفاً روحياً ، من هنا يظهر لك خطأ الذين ينادون بالتنمية المادية في مجتمعاتهم قبل التنمية الروحية ، بل إن مناداتهم تلك ألصق با لخطأ من لصوق الخطأ بنفسه . إن مثلهم مثل من وجد غريقا جائعا يستغيث فتركه للأمواج تبتلعه ، وذهب يبحث له عن طعام يقيم به أوده ، ويسد به جوعه ، وكانت الحكمة

تقتضى أن ينقذه أولا من الغرق ثم يذهب فيبحث له عن طعام . ونحن لا نقلل من أهمية الطعام ولزومه للانسان ، ولكن الذى ننكره هو الكلف به والعكوف عليه وترك ماعداه من طعام الروح وحاجاتها ، إن الحكمة تقتضى على الأقل أن تسير التنميتان معاً كفرسي رهان أو كركبتى بعير إن لم تتقدم الثانية على الأولى .

وفي الحج يتدرب المسلم على كمال الطاعة لله ورسوله ، لأنه يؤدى بعض الشعائر وهو لايدرى ما وراءها من حكمة ، وهذا أدخل في باب الطاعة لله تعالى والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم ، ومما يجب عليه طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع الرضا التام والتسليم المطلق في كل شأن وعلى أية حال ، فهى دين يثاب المرء على فعله ، ويعاقب على تركه وعلى قدر إيمانه تكون طاعته وتسليمه ورضاه .

وتأتي بعد ذلك طاعة أميرك الذى بايعته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فتعطيه في المنشط والمكره والعسر واليسر والغضب والرضا والغنى والفقر قال عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . فهى إذن طاعة واعية قائمة على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبقدر طاعتك لله ورسوله صلى الله عليه وسلم تكون طاعتك لأميرك قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . » (١)

والحاج وهو يؤدى مناسكه يلغى من ذهنه هذه الآماد الزمنية التى تفصل بينه وبين رسوله عليه الصلاة والسلام فكأنه يعيش في زمنه وبين أصحابه يطوف بطوافه ويسعى بسعيه ويقف بوقوفه ويرمى برميه وهكذا يستشعر جلال هذا الموكب النبوى الذى تحف به ملائكة الرحمن ، وتهتف معه قلوب المسلمين . بهذا الإحساس المبارك تنمو عند المسلم ملكة الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته والدفاع

---

(١) سورة النساء ٥٨

عن شريعته والخير كل الخير في الاقتداء بالرسول الأعظم واحياء سنته والسير على هداه ، والشر كل الشر في التخلي عن ذلك ولله در وليد الأعظمي إذ يقول :

ورجعت للتاريخ انظر سيره
مثلى ومنهاجا سليما نيرا
وبلوت اخبار الرجال فلم أجد
رجلا يؤثر دون أن يتأثرا
إلا النبي محمداً فجعلته مثلي
وسرت على هداه مكبرا
متمسكا بهداه لا متقدما
شبرا عليه هوى ولا متأخرا
وشعرت أني مطمئن «ساكن»
قلبي ولم أر في الحياة تعسرا
وهتفت والدنيا تردد عاليا
شر المبادىء ما يباع ويشترى

ويوم أن يرجع المسلمون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ومبادىء دينهم فقد اهتدوا إلى منبع سعادتهم ومصدر قوتهم .

وفي الحج تدريب على حياة الجندية وتحمل المشاق . واذكر أني قرأت خاطرة للدكتور جعفر شيخ ادريس في عدد من مجلة « المسلمون » ، وخلاصة هذه الخاطرة أن الحج أشبه ما يكون بالمناورات الحربية ، فهذه اللقاءات الخاطفة والوجبات الخفيفة والحركات السريعة والخيام المضروبة والتوقيت الدقيق والحرص على إصابة الهدف ثم انقضاء المهمة والشوق إلى الأهل والحنين إلى لقائهم ، هذا كله يذكر بالمناورات الحربية والتدريبات العسكرية ، وهو ما أدركه العسكريون ، واعترفوا به ، ولم يكونوا يومها يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحج جهاد لا قتال فيه(١) » في كل ذلك تربية على حياة التقشف ودربة ومران على تحمل المشقات والتحلى بالأخلاق القوية الفاضلة . والمسلم لابد له أن يدفع ضريبة الجهاد في سبيل الله طيبة بها نفسه ، فدينه دين جهاد وتضحية وفداء لا دين دعة ووداعة ودعوى ، فهو يأمر اتباعه ان يبتعدوا عن الحياة الهشة الناعمة التى لا تكسب المرء إلا الترهل والغفلة وموت الضمير ، وأن يتعشقوا حياة

(١) الكاتب يشير الى حديث عائشة حين سألت الرسول صلى الله عليه وسلم : هل على النساء من جهاد ؟ قال: (عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) – المجلة

الجد والجهاد والجود والحركة الدؤوبة التى لا تهدأ أبداً ، دفاعاً عن دين الله ضد العدو الطامع فيهم المتربص بهم .

وإن كان الحج جهاداً لا قتال فيه فإن هناك إخوة لكم مدججين بالسلاح يمسون ويصبحون فيه رابضين كالأسد الضوارى مرابطين كأروع ما يكون الرباط في عديد من أراضى المسلمين المحتلة . نسأل الله تعالى أن يثبت أقدامهم ، وينصرهم على عدوهم فتعود إلى المسلمين أرضهم السليبة واقداسهم المطهرة الشريفة .

والجهاد لا يكون بالنفس وحدها ولكن يكون بالنفس والمال فالله عز وجل يقول : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (١) » .

ومن آداب الحج أن يكثر الحاج من النفقة على المحتاجين ، وليكن انفاقه عن سماحة نفس وطيب خاطر حتى يرتفع لدرجة القبول لأن الانفاق على كره من صفات المنافقين الذين قال الله فيهم : « ولا ينفقون إلا وهم كارهون(٢) » وهذا منهج في التربية قويم سرعان ما يجعل المرء يسخر نفسه وماله في سبيل الله تعالى بعد أن تعود عليه وتخلق به ، وتثبت من نفسه .

وإذا نظرت إلى الإحرام وجدت فيه من الحكم والاسرار والفوائد ما يجعله منهجا تربويا فريداً في بابه عظيما في آثاره ، فهو نية في القلب قبل أن يكون تجردا من المحيط والمخيط ، وهو إقبال على الله تعالى قبل أن يكون قدوماً للبيت الحرام . . فيه إذن إخلاص العمل لله تعالى والبعد عن الرياء والسمعة من ناحية الباطن وفيه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الظاهر وهناك تلازم بين الظاهر والباطن ، وترابط بين المادة والروح وهذا ما يميز الاسلام عن المسيحية الروحانية واليهودية المادية ، فهو دين الكمال

(١) التوبة ١١١

(٢) التوبة ٥٤

ودين الفطرة قال تعالى: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا(١) » والسجود مثلا معنى من المعاني وهو الخضوع ولكن لا بد من وضع الجبهة والانف على الأرض ليكون أبلغ في الدلالة، وأوضح في الإشارة وهكذا . . الاحرام هو النية والنية محلها القلب ومع هذا لابد من التجرد والالتزام بالشروط ليكون دائم الذكر حاضر القلب شديد الحرص، وبهذا يرتفع العمل، ويقبل، ويثاب عليه لأنه جمع شرطي القبول وهما الإخلاص والصواب . قال بعض العلماء في قوله تعالى: « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » قال: أخلصه وأصوبه . قيل له: ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لا يقبل، وكذلك إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً .

وتظهر روعة التربية في أن المحرم يحرم عليه الطيب ولبس المخيط والمحيط وإزالة الشعر من جميع بدنه وتغطية رأسه وتقليم أظافره والجماع والمباشرة وعقد النكاح وقتل الصيد ما دام محرماً، وهى فترة يتدرب فيها المسلم على حبس النفس عن شهواتها وصرع سلطان الهوى، ليكسب في النهاية قوة العزيمة وشدة الشكيمة وصلابة الإرادة والخروج عن مألوف العادة وهى فترة قصيرة محدودة ولكن فيها من تهيئة الجو وشدة التركيز ما يجعل أثرها بعيد المدى في النفس البشرية فلا تكاد تنتهى حتى يتخرج المسلم وفي يده شهادة بالمغفرة وقبول عمله - إنه يحصل على نفس صافية وروح طاهرة وبصيرة مشرقة وسلوك قويم وأقدام مصفوفة وجهود مرصودة على طريق الحق والخير والجهاد .

وفي التلبية . . لبيك اللهم لبيك إجابة لداعى الله إجابة بعد إجابة وتجديدها ورفع الصوت بها عند تجدد الحالات دلالة على أنه يجيب داعى الله تعالى في كل الأوقات وعلى مختلف الحالات فلا يمنعه عنها بيع ولا شراء ولا شغل، فتلقاه

---

(١) المائدة ٣

يجيب على الدوام منادى الصلاة وداعى الجهاد ، ويبادر إلى كل عمل فيه صلاح لدينه ودنياه . . وهكذا ينبغى أن يكون المسلم سباقاً إلى المكرمات نهاضا إلى كل ما يكسبه شرفاً وذكراً حسناً ، وشعائر الإسلام وعباداته لا تألو جهداً في تأصيل هذه القيم الرفيعة في نفس المؤمن تذكره بها من وقت لآخر وتمده بها على طول الزمان كأنها محطات منصوبة على الطريق تمد المسافر بالوقود ليواصل المسير ، ويقوم بالأعباء ، ويحلق بركب المكرمات .

في الإحرام والتلبية إعلان بصوت عال عن حقارة الدنيا وخفة وزنها في نظر المسلم وميزانه الدقيق ، وأنها أضعف من أن تستعبده أو تصرفه عن تلبية نداء ربه ، وأنها موضوعة في يده لا في قلبه ، وفي مقدوره أن يضعها تحت قدميه، ويجعل صوتها الناعم دبر أذنيه .

وفي الحج تتجلى المساواة في أبهى حللها وأسمى معانيها ، فإن تباعد المسلمون دياراً ، واختلفوا ألسنة وألوانا فها هم متساوون في زيهم وتلبيتهم وطوافهم وسعيهم ووقوفهم ورميهم وفي المباح وفي المحظور ، لا فرق بين أحمر وأسود ولا بين غني وفقير ، ولا بين سوقة وأمير ، وذلك أبعد للنفرة من النفوس ، وأنقى للصدور من الإحن والأحقاد ، وأدعى لها أن تتقارب وتتآلف ، وترتفع عن حزازتها العميقة واختلافاتها القديمة ، فيعودوا كما امرهم الله تعالى إخوانا متحابين .

والمساواة في الإسلام ليست نصوصاً أو بنوداً فحسب كما هى عند بعض الامم ولكنها واقع معاش يحياه الناس يذوقون طعمه ، ويلمسون في المجتمع أثره . إن الناس في نظر الاسلام لا يتفاضلون باشكالهم ولا بألوانهم . إنما محك التفاضل هو تقوى الله عز وجل فكل من يحمل قلبا تقياً ، ويسلك مسلكاً سويا ، ويعمل عملا يفيد العباد والبلاد كان عند الله أكرم وبفضله أجدر ولرحمته أقرب قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

الله أتقاكم إن الله عليم خبير(١) » .

وإذا نظرت إلى العبادات في الاسلام نظرة فاحصة ، وجدتها معرضاً رائعاً للمساواة في أقصى معانيها وأسمى أبعادها ومراميها فليست هناك عبادة خاصة بالملوك وأخرى لا تليق إلا بالسوقة ، إنما هي شرع واضح كالشمس في رابعة النهار مبذول للجميع والكل فيه سواء اعظمهم أجراً وأرفعهم مكانة من تمسك به واجتهد فيه ، وعول أمره عليه بصرف النظــر عن لونه أو جنسه أو مكانته .

أما الطواف بالبيت فأمره عجب ، هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا يستقبله المؤمن في صلاته على البعد خمس مرات في اليوم والليلة ، ها هو الآن يقف أمامه وينظر اليه وقد ملأ عينه وقلبه جلاله وهو لا يبعده انما يعبد ربه جل جلاله الذى جعله مثابة للناس وأمنا ومركزا تلتف حوله قلوب المسلمين في المشارق والمغارب فيتوحدون في الاتجاهات والأهداف .

والطواف به يرمز إلى التزام شرع الله والعمل به وترك ما عداه من أفكار ومذاهب ونظم أرضية ، فهو يلتزم منهج الله تعالى التزامه الطواف حول بيته الحرام عملا ودعوة اليه والسعى تردد بين الصفا والمروة . والوقوف بعرفة تذكير بيوم القيامة ليأخذ المسلم أهبته ولا يشغله عنه حطام الدنيا ونعيمها الفاني ، كما أنه فرصة للوقوف مع النفس لمحاسبتها وتذكيرها ومعاتبتها ومراجعتها فإن وجد خيراً حمد الله تعالى وسأله المزيد منه والثبات عليه وإن وجد غير ذلك بادر بالتوبة والوقوف بين يدى الله الذى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسطها نهارا ليتوب مسيء الليل . . ورمى الجمرات رمز لرجم الشهوات النفسية والمذاهب البشرية وكل ما يخالف شرع الله ويروم تقويض بنيانه وهدم صروحه وكيانه . أما الذبــح فان الله عز وجل لا يريد منا أن نتقرب إليه بسفك دم الحيوان فإنه لن ينال منا لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منا .

---

(١) الحجرات ١٣

ولابد أن يكون الحاج قد أدرك في نفسه الآثار الطيبة للرفقة الصالحة التي صحبها في سفره ، وأدى معها مناسك حجه ، وتعلم منها الكثير من المزايا السامية والصفات اللازمة للقيام بالواجب نحو الله تعالى والدعوة إليه ، فمن آداب الحج ومستحباته أن يختار الحاج رفقة فاضلة الأخلاق طيبة المعشر عالمة بالأحكـــام راغبة في الخير كارهة للشر لتكون له عونا على أداء نسكه على وجه ينال به الأجر ، ويحظى بالقبول ، وقد يتعلم منها أمور الدين والرفق ولين الجانب والإيثار والصبر على ما يطرأ عادة على المسافرين من غلظة ، في الكلام وجفاء في الطباع وربما كانت سبباً في هدايته حالا ومستقبلا فكأنها فصل في مدرسة الحج الكبيرة . فإذا عاد إلى وطنه اجتهد في الانتماء إلى الجماعة المسلمة الصالحة الداعية إلى الله تعالى فيضع يده في أيديهم ، ويضيف ما له وجهده وفكره إلى ما يبذلون في سبيل الله ودعوة الخلق إليه ويظل هكذا مثابراً مرابطاً مجاهداً مستمسكاً بهدى الله ومنهاجه ، منصرفاً عن طريق الشيطان وزيغه واتباعه .

ثم على الحاج وقد انتهى من أداء حجه أن يعلم أن الحج بيعة ماضية في العنق إلى يوم القيامة . . إنه بايع الله عز وجل على الا يشرك به شيئا ، وأن يطيعه ولا يعصيه أبداً ، ويطبق منهجه ، ويدعو إليه . . يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . . يقول الحق ولا تأخذه فيه لومة لائم . . سلما لأوليائه حربا على أعدائه فلينظر من يبايع ، ليصون بيعته ، ويحفظ عهده ، ولا يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا .

لعلنا ندرك السر في اهتمام الإسلام بالتربية الفردية القائمة على الأسس المتينة ، ذلك لأن المجتمع إنما يتكون من الأفراد فإذا كانوا صالحين كان المجتمع صالحا والعكس صحيح . . إذا أردت بناء سفينة قوية متماسكة تحمل البضائع ، وتصارع الأمواج ، وتسير إلى غايتها آمنة مطمئنة فاختر لها الألـــواح الجيدة المتينة ، وإلا فإنك لن تظفر إلا بسفينة هشة ضعيفة سرعان ما تحطمها الرياح ، وتبتلعها المياه .

فالإسلام يسعى إلى إقامة المجتمع

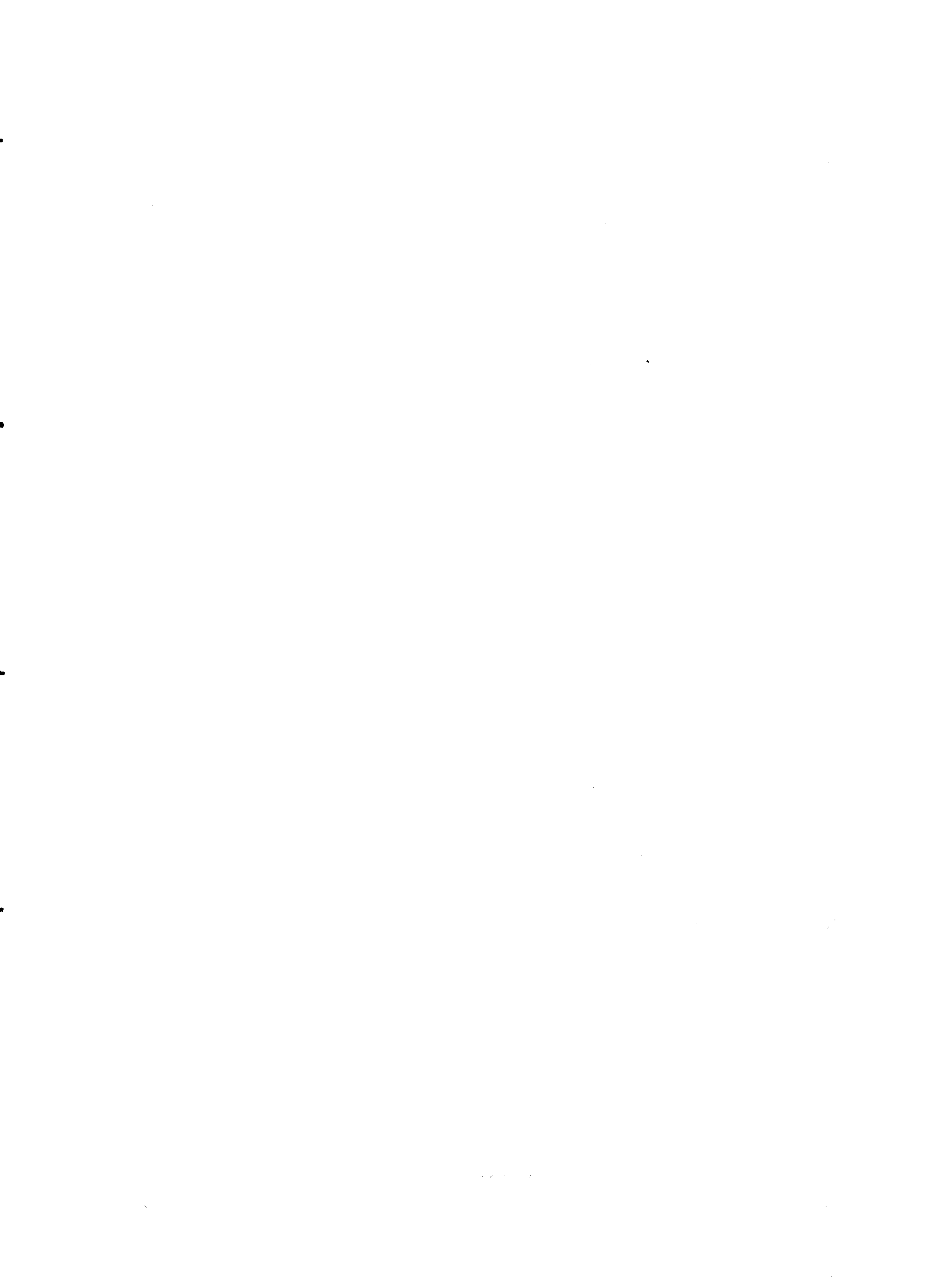
الفاضل المتماسك المتعاون الآمن في ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولا يدع فرصة تؤدى إلى قــوته ، وتزيد من منعته إلا هيأها واستغلها ، والحج من أعظم المناسبات التى يجب عــلى المسلمين استغلالها بما يعود عليهم بالخير والعز والنصر فهاهم قد تلاقوا في هذه الأرض التى باركها رب السماء ، ويتلاقون كل عام ، وذلك أنفى للشتات وأدعى للوحدة والوئام ، وأحمل لهم على أن يتباحثوا ويبرموا الاتفاقيات ، ويتبادلوا المنتوجات ، ويتدارسوا المشكلات التى تشغل بال شعوبهم ، وصولا إلى الحلول المناسبة لها ، واستشرافا إلى المجتمع الاسلامى المتراحم المتعاون ، وتحقيقاً لقــول الرسول عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمــنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحــد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

وعلى المسلمين عامة وولاة أمورهم خاصة أن يثقوا في دينهم وفي مقدرته على التصدى لمشكلاتهم وحلها حلا جذريا فيجعلوه عصمة أمرهم ومركز تجمعهم ونقطة انطــلاقهم ومشرق شمسهم ، ولا يذهبوا عنه وينظروا لغيره التماساً للحلول والعلاج والرخاء فيكونون :

كالعير في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

محمد عليه الصلاة والسلام موجود ملء السمع والبصر في وحيه الذى أنزل عليه من رب العالمين وفي سنته المطهرة التى صدرت عنه ، وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وسنتى » . .

والله تعالى نســأل أن يوفق ولاة أمور المسلمين إلى كل ما فيه نصر لدينهم وعز لأوطانهم ورخاء لشعوبهم





للدكتور عبد الفتاح عاشور الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

مِنْ تَوْجيهاتِ القُرآنِ الكَريمِ فِي الحَجِّ

خَمْسَةَ أحْكَامٍ للحَجِّ فِي آيةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ :

١ ـ إتمام الحج والعمرة
٢ ـ الإحصار
٣ ـ الحلق
٤ ـ فدية الأذى
٥ ـ التمتع

قال تعالى :

« وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديدالعقاب » . . « سورة البقرة آية ١٩٦ »

جاءت هذه الآية من سورة البقرة تبين بعض أحكام الحج وتقرر عدة معايير ومبادىء ربطت الإنسان بخالقه وأرشدته إلى الطريق الواضح المستقيم .

وقد جاءت هذه الآية وما قبلها وما بعدها في سورة البقرة إقراراً للمنهج الإلهى في تعهد الأمة المسلمة بالتربية والرعاية والتوجيه ، فقد ذكر لنا ربنا قبل هذه الآية صفات الإنسان البار ونادى الأمة المؤمنة ففرض عليها القصاص في القتلى ، وبين لها بعض أحكام الوصية وأحكام الصيام ، كما نهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، وبين أن الأهلة مواقيت للناس والحج ، كما دعا إلى الجهاد في سـبيل الله وأمرنا أن نقاتل المشركين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، ووضع الركيزة القوية للجهاد في سبيل الله حين أمر بالإنفاق وحث عليه ، فإن إعداد المجاهدين ليس بالأمر السهل ولا الهين إنما يحتاج إلى البذل والتضحية والعطاء . يحتاج إلى المال الوفير ، وإذا شح الناس بأموالهم هلكت الأمة وتعرضت للدمار ، ولهذا قال : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » . .

فالإحسان مطلب أهل الإيمان ، إنهم يبذلون غاية وسعهم لتأتي هذه الأحكام التى أمرهم الله بها على خير ما يحب ربهم ويرضى ، إنهم يجعلون من إحسانهم في أداء عملهم وسيلة ينالون بها رضا مولاهم الذى أخبرهم بأنه يحب المحسنين . وعلى طريق هذا الإحسان يأمرهم الإله الكريم العظيم ويوضح لهم ما يجب عليهم أن يلتزموا به إذا ما أرادوا الحج والعمرة ، ويبين لهم بعض أحكام الحج ومعاييره فيقول : « وأتموا الحج والعمرة لله . . الآيات . .

فلنتابع هذه الأحكام وتلك المعايير كما نطق بها الوحى الالهى وأوضحتها ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المشرفة .

١ ـ وأتموا الحج والعمرة لله . .

بدأت هذه الأحكام بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله . . » فما هو المقصود باتمام الحج والعمرة ؟ وما معنى أن يكون هذا الإتمام لله . . ؟ ؟

إن الأمر لا يرد بإتمام شيء إلا إذا كان قد بدئ فيه ، ولهذا اتفق العلماء على وجوب إتمام مناسك الحج والعمرة إذا ما أحرم بها المسلم . بدليل قوله بعد هذا الأمر « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » . .

يقول ابن عباس : « من أحرم بحج أو بعمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما : تمام الحج يوم النحر إذا رمى جمرة العقبة وطاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل وعنه أيضا أنه قال : (الحج عرفة) (١) .

أما قبل الشروع فيها فليس في الآية دليل على وجوب الحج والعمرة ، فإذا ما أردنا أن نعرف حكم كل منهما فعلينا أن نبحث عن أدلة أخرى ليتضح لنا أن الحج ركن من أركان الإسلام ، وأن العمرة واجبة ، وأن وجوب الحج ليس موضع خلاف ، إنما موضع الخلاف هو العمرة : هل هى واجبة أو مندوبة ؟

وقد قال بالوجوب جمع من الصحابة والتابعين منهم : على وابن عباس وابن عمر وعائشة وزين العابدين وطاووس والحسن البصرى وابن سيرين، وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء ، وهو المشهور عن الشافعى وأحمد ، وحجتهم في هذا حديث أبي رزين العقيلى أنه أتي النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي شيخ كبير لايستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (أى السفر) فقال : حج عن أبيك واعتمر » (٢) .

وفي هذا يقول الإمام أحمد : لا أعلم في إيجاب العمرة حديثا أجود من هذا ولا أصح منه .

ومن أدلتهم على الوجوب أيضاً حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : هل على النساء من جهاد ؟؟ قال : نعم ، عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة . . . (٣) .

أما من قال بأنها سنة مؤكدة تؤدى مرة واحدة في العمر : فهم الحنفية والمالكية ، وحجتهم في هذا اقتصاره صلى الله عليه وسلم على الحج في بيانه لأركان الإسلام الخمس، ويدل على ذلك قوله تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» فقد اقتصر على الحج أيضاً ولم يذكر العمرة .

يقول الإمام الشوكانى بعد أن ساق كثيراً من أدلة الفريقين : « والحق عدم وجوب العمرة لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ولا دليل

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٠

(٢) رواه الخمسة وصححه الترمذى

(٣) رواه احمد وابن ماجة واسناده صحيح .

يصلح لذلك، لا سيما مع اعتضادها بما تقدم من الأحاديث القاضية بعدم الوجوب (١)

وإذا كان معنى إتمام الحج والعمرة إتمام أفعالها بعد الشروع فيهما ، فما معنى أن يكون هذا الإتمام لله ؟ ؟ .

إن هذا تأصيل لقاعدة إسلامية تنبني عليها حياة الإنسان المسلم، تلك القاعدة هى الإخلاص لله في السر والعلن ، وطلب مرضاته في كل قول وفعل ، وفي كل حركة وسكون ، وتفسيراً لهذا الإخلاص في أداء الحج والعمرة نجد كثيراً من عبارات أئمة السلف منها قول مقاتل : (إتمامهما ألا يستحلوا فيهما مالا ينبغى) ومنها قول بعض أهل العلم: (إتمامهما : إنفاق الحلال الطيب في سفرهما) ومنها ماروى عن على وابن عباس وسعيد بن جبير وطاووس أنهم قالوا : (إتمامهما أن تحرم من دويرة أهلك) ، وقريباً من هذا ما روى عن سفيان الثورى أنه قال (إتمامهما أن تحرم من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة ، وتهل من الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت : لو حججت أو اعتمرت) .

يقول ابن كثير عليه رحمة الله : (وذلك يجزى ولكن التمام أن تخرج له لا تخرج لغيره) (٢) .

وكان عمر – رضى الله عنه – ينهى عن الاعتمار في أشهر الحج ويرى أن هذا من تمامها ، وذلك ليكثر الوافدون لبيت الله الحرام على امتداد العام ، وهذا ماوى عن القاسم بن محمد ، وقتاده ، فهما يقولان : « إن العمرة في أشهر الحج ليست بتامة ولكن هذا مردود بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اعتمر أربع عمر كلها في ذى القعدة : عمرة بالحديبية في ذى القعدة سنة ست ، وعمرة القضاء في ذى القعدة سنة سبع ، وعمرة الجعرانة في ذى القعدة سنة ثمان ، وعمرته التى مع حجته أحرم بهما معاً في ذى القعدة سنة عشر ، وما اعتمر في غير ذلك بعد هجرته ، ولكن قال

---

(١) نيل الأوطار ج ٤ ص ٣١٤ ط مصطفى اليابى الحلبى بمصر – المطبعة الأخيرة سنة ١٩٧١ م

بل الحق مع القائلين بوجوب العمرة لحديث أبي رزين العقيلى المذكور في صلب المقال وحديث عائشة رضى الله عنها وقد علمت ما قال الإمام أحمد في حديث رزين من أنه أجود وأصح ما رأى في وجوب العمرة . أما الاحتجاج باقتصار النبى صلى الله عليه وسلم على ذكر الحج في بيان أركان الإسلام فلا ينفى وجوب العمرة بل يقال إنها واجبة وليست ركنا من أركان الإسلام . والواجبات في الإسلام كثيرة وليس من أركانه إذ لا تلازم بين الركنية والوجوب . . « المجلة »

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٠

لأم هانىء : عمرة في رمضان تعدل حجة معى . وما ذاك إلا لأنها قد عزمت على الحج معه ـ عليه السلام ـ فعوقت عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخارى .

٢ ـ فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى :

هذا هو الحكم الثانى في الآية وهو الإحصار .. فما هو الإحصار ؟ وماذا يفعل المحصر ؟؟ .

الإحصار هو : المنع ، فهل كل ما يمنع الوصول لمكة يوجب الفداء والقضاء ؟ وهل يمكن أن نقول : إن من تمكن من الوصول وأدى بعض المناسك ومنع من البعض يعتبر محصراً ؟ وماذا سمى الفقهاء من يدرك وقت الوقوف بعرفة : سواء كان ذلك بعذر أم بغير عذر ؟ وماذا يفعل هذا وذاك ؟؟ .

يرى الحنفية أن الحصر يتحقق بالمنع من الوصول إلى مكة بعد الإحرام : بعدو أو مرض أو غيرهما ، ودليلهم في هذا قوله تعالى : « فإن أحصرتم » فقد قالوا : هناك فرق بين الإحصار والحصر . الإحصار يكون بالمرض ونحوه والحصر يكون بالعدو والذى في الآية هو الإحصار ، وإنما يدخل فيه حصر العدو لأن العذر بالعدو في المنع أقوى ، وما رآه الحنفية هو الموافق لما قال أهل اللغة ، فقد قال ابن العربى : هذا رأى أكثر أهل اللغة ، وقال الزجاج : إنه كذلك عند جميع أهل اللغة ، وقال أبو جعفر النحاس : على ذلك جميع أهل اللغة .

ويؤيد الحنفية في ذلك ما أخرجه أصحاب السنن لأربعة بأسانيد صحيحة عن عكرمة قال سمعت الحجاج بن عمرو الأنصارى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل » قال عكرمة سألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا : صدق .

ويرى الشافعية وأهل المدينة : أن المراد بالحصر في الآية هو المنع بالعدو ، بدليل قوله : « فإذا أمنتم » والأمن يكون من العدو ، أما الأمن من المرض ونحوه فبعيد ، كما أن الآية نزلت عام ست في الحديبية حين منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة لأداء العمرة ، فيكون الحصر بالعدو هو المقصود لا غير ولا يلحق به غيره .

وفي هذا يقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو ، فأما من أصابه مرض أو وجع أو ضلال فليس عليه شيء ، إنما قال تعالى : « **فإذا أمنتم** » فليس الأمن حصرا(١) »

وإنما يتحقق الإحصار بالمنع من الوقوف بعرفة والطواف ، وهذا عند الحنفية، وأما عند الشافعية فيتحقق بالمنع بالعـــدو من الوقوف أو الطواف أو السعى .

وإذا كان هذا هو الإحصار فإن هناك الفوات أيضا ، وهو قريب من الإحصار وذلك بأن يطلع فجر يوم النحر ولم يقف المحرم بعرفة سواء كان ذلك بعذر أو بغير عذر ، فقدقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة » (٢)

فمن لم يحضر وقت الوقوف فاته الحج .

فماذا يفعل المحصر ؟ وماذا يفعل من فاته الوقوف بعرفة ؟ ؟

أما بالنسبة للمحصرفقد قال تعالى: **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى**» أى فما تيسر من الهدى ، فعليه أن يذبح شاة في موضع إحصاره كما قال الشافعية أو يبعثها للحرم لتذبح عنده أو يبعث بثمنها لتشترى به ثم تذبح هناك كما قال الحنفية ، على ألا يتحلل إلا بعد مرور وقت كاف يمكن للهدى أن يصل فيه للحرم ويذبح ، تحقيقا لقوله تعالى : « **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله** » .

وبذبح الهدى يتحلل من إحرامه . وقال الشافعية : لا يتحلل إلا بعد الذبح والحلق أو التقصير ، بدليل فعله صلى الله عليه وسلم لذلك يوم الحديبية، وبفعله اقتدى أصحابه رضى الله عنهم

وإذا كان المحصر قد تحلل من إحرام واجب وجب عليه القضاء ، ومن فاته الوقوف بعرفة : عليه أن يتحلل بعمرة بأن يطوف ويسعى ثم يحلق أو يقصر وعليه الحج من قابل ، أما النفل فعند الأئمة الأربعة يجب عليه القضاء، لقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله . . » وذلك عام في الحج والعمرة : فرضا أو نفلا ، وفي رواية عن مالك وأحمد أن النفل لا قضاء فيه .

ومع التحلل بالعمرة والقضاء : هل يجب عليه هدى ؟ ؟ عند الحنفية لا هدى

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٣١

(٢) رواه البخارى

عليه ، وعند الأئمة الثلاثة : يجب عليه هدى يذبحه في حج القضاء وذلك لما رواه مالك في موطئه بسند صحيح أن أبا أيوب الأنصارى خرج حاجا حتى إذا كان بالنازية من طريق مكة أضل رواحله وأنه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر فذكر ذلك له فقال عمر : اصنع كما يصنع المعتمر ثم قد حللت ، فإذا أدركك الحج قابلا فاحجج واهد ما استيسر من الهدى .

٣ - ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله . .

وهذا هو الحكم الثالث في الآية ، فما صلته بالحكمين السابقين ؟ ؟ هل هو تابع لقوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ؟ أو لقوله : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » ؟ ؟

جمهور العلماء يرى أن هذا النهى تابع لقوله : وأتموا الحج والعمرة لله ، لا لقوله : فإن احصرتم فما استيسر من الهدى » لأن المحصر يذبح هديه في موضع الإحصار ولا يجب عليه أن يبعث بهديه إلى الحرم ، هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أحصر في الحديبية .

وقد رأى الحنفية - كما سبق أن بينا - أن المحصر يجب عليه أن يبعث شاة تذبح عنه في الحرم ، أو يبعث بثمنها لتشترى به ثم تذبح هناك ، ولا يتحلل إلا بعد أن يمضى وقت يتمكن فيه من يأخذ الشاة أو يشتريها من الوصول للحرم وذبحها عنده .

وقد أجاب الحنفية على نحره - صلى الله عليه وسلم - في الحديبية بأن طرق الحديبية من الحرم فالرسول - صلى الله عليه وسلم - ذبح الهدى في الحرم .

وأما من قال : إن هذا النهى تابع لقوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » فقد رأى ان الحلق يأتي بعد اتمــام أفعال الحج والعمرة لمن كان قارناً ، أو بعد الفراغ من أحدهما لمن كان مفردا أو متمتعا ، فقد ثبت في الصحيحين عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لبدت رأسى وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر .

ومحل نحر الهدى كما قال تعالى : « لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق » وعلى هذا نستطيع أن نفهم حكم الترتيب بين الحلق والذبح ، ومن الواضح أن هذا الترتيب واجب ويؤيده فعله صلى الله عليه وسلم وقد قال « خذوا

عني مناسككم » كما يؤيده قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » (١) .

فقضاء التفث هو إزالة الشعر وقد جاء بعد الذبح فدل على وجوب الترتيب وهذا رأى الحنفية فمن قدم الحلق على الذبح وجب عليه دم تأخير . وقد ذهب الشافعى وصاحبا أبي حنيفة إلى أن هذا الترتيب سنة ، ومن ترك السنة فقد أساء ولكن ليس عليه فداء ودليلهم في هذا ما روى عن عبدالله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل يوم النحر وهو واقف عند الجمرة فقال يا رسول الله حلقت قبل أن أرمى قال ارم ولا حرج . وأتاه آخر فقال إني افضت إلى البيت قبل أن أرمى فقال ارم ولا حرج ، وقال في رواية عنه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال : كنت أحسب ان كذا قبل كذا ثم قام آخر فقال كنت أحسب ان كذا قبل كذا : حلقت قبل أن أنحر ، نحرت قبل أن أرمى واشباه ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افعل ولا حرج . . لهن كلهن ، فما سئل يومئذ عن شيء إلا قال : افعل ولا حرج (٢) وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قيل له في الذبح والحلق والرمى والتقديم والتأخير فقال : لا حرج(٣) .

وهذا ايضا رأى المالكية فقد رأوا أن الترتيب بين الحلق والذبح غير واجب فلو فعل واحدا منهما قبل الآخر جاز وليس عليه شيء ، وبالحلق يحصل التحلل الأول فيحل له ما كان محظورا عليه الا الجماع فإنه لا يجوز له الا بعد طواف الافاضة ،وبه يتحلل التحلل الثاني .

٤ – فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك

هذا حكم من حلق رأسه بعد إحرامه وقبل أن يأتي الوقت المعلوم لإزالة شعره ،

---

(١) سورة الحج ٢٢ – ٢٣ ،

(٢) ، (٣) متفق عليه

الصحيح في هذه المسألة أن الترتيب بين أعمال يوم النحر هو الأفضل بأن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف طواف الإفاضة تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما من قدم ومن أخر وخرج عن هذا الترتيب لظروف ما كنسيان مثلا أوعدم معرفة أو أى عذر آخر فلا حرج عليه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في جواب من سألوه عن التقديم والتأخير (أفعل ولا حرج) . . « المجلة »

وهو في هذه الحالة عليه فدية يخير فيها بين أمور ثلاثة : صيام ثلاثة أيام، أو الصدقة بثلاثة آصع لستة مساكين ، أو النسك : بشاة .

وفي هذا حديث البخارى بسنده إلى كعب بن عجرة إذ قال لمن سأله عن الفدية من صيام : (حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال : ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا ، ما تجد شاة ، قلت : لا ، قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام ، واحلق رأسك . .)

يقول كعب : فنزلت في خاصة وهى لكم عامة .

وهذه الفدية لمن كان مريضا مرضا يضطره إلى حلق رأسه أو من كان برأسه أذى كما رأينا من حال كعب بن عجرة ، أما العامد الذى لا عذر له ، وأما المعذور بغير المرض والأذى كالناسى والجاهل بالحكم والمكره ، فقد اختلفت فيه أقوال الأئمة .

فالحنفية : يرون أن الواجب على هؤلاء الدم عينا أو الصدقة عينا على حسب جنايتهم إلا أنهم قالوا بسقوط الإثم عن المعذور بغير المرض والأذى ، وإن وجب عليه الفداء والأئمة الثلاثة : جعلوا العامد كالمعذور : مخيرا بين الأمور الثلاثة ، أما المعذور بغير المرض والأذى : فعليه الفداء : مخيرا عند المالكية ، وعليه الفداء مخيرا عند الشافعية والحنابلة ، إن كانت الجناية فيها اتلاف كالحلق والتقصير وتقليم الأظافر ، وليس عليه شيء فيما ليس فيه إتلاف كاللبس و تغطية الرأس والطيب .

وهذه الفقرة من الآية هى القاعدة التى بنى عليها الأئمة آراءهم فيما يجب على المحرم من الفداء إذا ما لبس شيئا غير ملابس الإحرام أو غطى رأسه أو حلقها أو قصرها أو قلم أظافره ، أو تطيب أو دهن فخالف بذلك ما يجب عليه حال الاحرام .

وتفصيل القول في هذا مرجعه إلى كتب الفقه * ، وحسبنا هذا القدر في بيان معنى قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة نسك » . وإن كان قد بقى علينا أن نعرف المكان الذى يؤدى فيه الفداء ؟ ؟ .

ويقول الشوكاني في ذلك : اختلفوا في مكان هذه الفدية : فقال عطاء : ما كان من دم فبمكة ، وما كان من طعام أو صيام فحيث شاء ، وبه قال أصحاب الرأى .وقال

---

* بل المرجع الصحيح في تفصيل ما أجمل في القرآن هو السنة النبوية لأنها هي المفسرة للقرآن المفصلة لما أجمل فيه « المجلة » .

طاووس والشافعي . الإطعام والدم لا يكونان إلا بمكة ، والصوم حيث شاء . وقال مالك ومجاهد : حيث شاء في الجميع . وهو الحق لعدم الدليل على تعيين المكان (١) »

٥ – التمتع والقـران

قال تعالى : « فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم . تلك عشرة كاملة . ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام . . » .

حين نقرأ قوله تعالى : « فإذا أمنتم » نتساءل : مم يكون الأمن ؟ هل هو الأمن من العدو خاصة ، أو منه ومن غيره كالمرض ونحوه ؟ ؟

المتبادر من سياق الآية ومن معنى الأمن أن الأمن لا يكون إلا من العدو خاصة وهذا ما يؤيد رأى الشافعية وأهل المدينة الذين قالوا : إن الإحصار لا يكون إلا من العدو ، أما المرض وغيره فالمنع به لا يسمى إحصارا .

وبعد الأمان وزوال الخوف . على المحرم أن يتم نسكه . . فما هى الصـورة التى أحرم بها ؟ هل أحـرم بالحج فقط (وهذا هو الإفراد) أو أحرم بالحج والعمرة معا (وهذا هو القـران) أو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ، وبعد أن طاف وسعى حلق وتحلل ، وانتظـر إلى يوم التروية في مكة (وهو اليـوم الثامن من ذى الحجة) فأحرم بالحج (وهذا هو التمتع) وهو التمتع الخاص ، والمشهور من كلام الفقهاء . والقران هو التمتع العام، لأن المحرم استفاد عمرة مع حج في سفرة واحدة ، كما أن من أحرم بالعمرة فأداها وتحلل بما كان محظورا عليه أثناء إحرامه ، ولما جاء يوم التروية أحرم بالحج فاستفاد – أيضا – حجا وعمرة ، ولذلك لا يجب على المفرد هدى . إنما يجب الهدى على القارن والمتمتع بأن يذبح كل منهما ما استيسر من الهدى وأقله شاة ، وله أن يذبح البقر لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذبح عن نسائه البقر وكن متمتعات (٢) ووقت ذبحه يوم النحر بمنى وقبل الحلق (٣) .

---

(١) فتح القدير جـ١ ص ١٩٦ ط الثانية ١٩٦٤ م مصطفى البابي الحلبي – مصر

(٢) المقصود أن البقرة عن سبعة أشخاص لأنها نوع من البدن . . « المجلة »

(٣) إذا راعى الترتيب تأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو الأفضل « المجلة »

فإذا لم يجد الهدى . إما لعدم المال أو لعدم الحيوان فيصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله فمتى يصوم هذه الأيام الثلاثة ؟ وإلام يكون الرجوع ؟ هل هو رجوع إلى رحله وأمتعته ؟ أو رجوع إلى أهله ودياره ؟ ؟ .

قال العلماء : الأولى أن يصوم الأيام الثلاثة قبل يوم عرفة في العشر ، وقال ابن عباس يجوز له أن يصومها من حين إحرامه ، والأفضل كما رأى جلة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وعلى – أن يصوم يوما قبل يوم التروية ، ويوم التروية ، ويوم عرفة أما يوم العيد فلا يجوز صيامه ، وذلك لما ورد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نهى عن صيام يومين . يوم الفطر ، ويوم النحر (١) . كذلك أيام التشريق لا يجوز صيامها ، لما رواه مسلم عن نبيشة الهذلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله .

ومن فاته الصيام قبل العيد تحلل ووجب عليه دمان : دم التمتع ، ودم التحلل قبل نحر الهدى عند الحنفية ولا يلزمه سوى قضاء صومها عند الشافعية .

وإذا كان قد صام الأيام الثلاثة فقد بقى عليه صيام سبعة أيام ، فمتى يصومها ؟ يقول الله تعالى : « وسبعة إذا رجعتم » فلم يذكر إلى أى شيء يكون الرجوع هل هو رجوع إلى الرحال ، أو رجوع إلى الأهل والديار والأوطان ؟ ؟

بالأول : قال مجاهد وعطاء ، وبالثاني قال جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم حتى حكى ابن جرير الإجماع على ذلك ، ويؤيدهم في هذا ما رواه البخارى بسنده عن عبد الله ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للناس حين قدم مكة في حجة الوداع : « من كان منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحل

ثم ليهل بالحج ، فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله » .
وبصيام الثلاثة والسبعة تكمل العشرة ، ولذلك قال : « تلك عشرة كاملة » وهذا من باب التأكيد كما تقول : « كتبت بيدى ، وسمعت بأذني ، وكما قال تعالى : ولا

---

(١) متفق عليه

طائر يطير بجناحيه(١) » . . وكما قال : « ولا تخطه بيمينك (٢) » . .

وقال الزجاج : إنما قال سبحانه : « تلك عشرة كاملة » مع أن كل أحد يعلم أن الثلاثة والسبعة عشرة : لدفع أن يتوهم متوهم التخيير بين الثلاثة الأيام في الحج والسبعة إذا رجع .

وقال المبرد : ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقى منه شيء بعد ذكر السبعة (٣) » . .

وهذا التمتع وما فيه لغير أهل الحرم أما أهل الحرم فلا تمتع لهم . قال تعالى : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » .

يقول ابن عباس : يا أهل مكة لا متعة لكم ، أحلت لأهل الآفاق وحرمت عليكم إنما يقطع أحدكم واديا ، أو قال : يجعل بينه وبين الحرم واديا ثم يهل بعمرة (٤) . . »

وقد اتفق العلماء على أن أهل الحرم لا متعة لهم ، ولكن هذا خاص بأهل الحرم أو يلحق بهم من في حكمهم ؟ كمن هم دون المواقيت ؟ كما قال عطاء ومكحول — أو من كان من الحرم على مسافة لا يقصر فيها الصلاة ؟ كما قال الشافعية . لكل وجهة (٥) وختاماً لهذه الآية يقول سبحانه : « واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب »

وتقوى الله والخوف منه لها هنا أهميتها : إذ لا تؤدى أعمال الحج على وجه التمام والكمال إلا إذا قام بها المؤمن منبعثا من إيمان عظيم بالله ، وما له من صفات الجلال . والكمال وأى سلطة ، وأى قوة في الأرض غير سلطان الله وقوته لا يمكن لها أن تدفع الإنسان إلى أداء تلك الأعمال في إخلاص وحب مهما أوتيت هذه السلطة وتلك القوة من مال وجاه وسلاح .

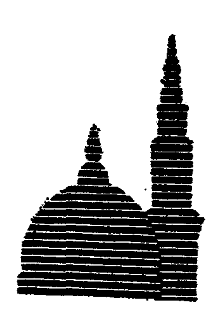
ومن لا يتقى الله ولا يخشاه ؟ ومن يجرؤ على مخالفة أمر مولاه ؟ إن الذى لا يتقى ربه ولا يخشاه والذى يتعدى حدود خالقه ومولاه : جاهل ، غافل

---

(١) سورة الأنعام ٣٨/٦
(٢) سورة العنكبوت ٤٨/٢٩
(٣) فتح القدير للشوكانى ج ١ ص ١٩٧
(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٥
(٥) الذى يفهم من ظاهر الآية أن غير أهل الحرم لا يدخل تحت هذا الحكم ولو كان قريبا من الحرم — حتى يثبت دليل بذلك « المجلة »

أحمق ، وعليه أن يتبصر مواضع أقدامه قبل أن يخطو خطوة واحدة في طريق معصية الله ، وعليه أن يعرف قدر الإله الذى سيقدم عليه لا محالة . لابد أن يعلم هذه الحقيقة قبل أن يخالف أوامر ربه ، ولهذا قال سبحانه . واعلموا أن الله شديد العقاب . . » ومن ذا الذى يطيق هذا العقاب ؟ ومن ذا الذى لا يحسب له ألف حساب ، إلا إذا كان من الغافلين ، وهل تغنى الغفلة عن أهلها في مواقف الندامة والحسرات ؟ وهل ينفع هؤلاء يوم اللقاء ما يسكبون من العبرات ؟ ؟

نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن بطن لا يشبع ومن دعاء لا يستجاب . . ونسأله عز وجل أن يجنبنا العثرات وأن يكشف عن أمتنا الكربات وأن يهدينا سواء السبيل .





من أعظم النعم التى تفضل الله بها على خلقه – ونعمه تعالى عليهم لاتحصى – توفيقه إياهم لفعل الخيرات – بلا سابقة إحسان منهم إليه بل بمحض منه وكرمه ثم قبول تلك الخيرات منهم – من غير حاجة إليها – ، بل ليثيبهم عليها بعدله ورحمته ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو يزيد « والله يضاعف لمن يشاء » (١) .

ومن أجل تلك النعم وأبعدها أثرا في حياة المجتمع المسلم – والتى يجب أن تذكر فتشكر – جعله تعالى المال – وهو العرض الزائل – وسيلة من أهم الوسائل التى يتقرب بها إليه ، ويتوصل بها إلى محبته ورضاه ، قال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (٢) . . الآية .

كما أنه إلى جانب ذلك : يعتبر من الروابط القوية والدعامات الراسخة التى تصلح لقيام المجتمع المسلم المتكافل المتراحم الذى يسع غنيه فقيره ، من غير شعور بالمنة أو رغبة في الاستعلاء ، لأن ما يدفعه إليه حق ثابت مقدر في ماله قال تعالى : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (٣) .

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ٢٦١

(٢) سورة الحج من الآية ٣٧

(٣) سورة الذاريات

ومن أهم عناصر التكافل الاجتماعي بين المسلمين : ما شرعه الله سبحانه وتعالى من النسك في موسم الحج ، حيث أوجب على طوائف من الحجيج ، تقديم أنواع من النعم : — إبلا أو بقرا أو غنما — لأسباب متعددة : نذكر أهمها مع أدلتها من الكتاب والسنة فيما يلي :

١ — التمتع بالعمرة إلى الحج ، وذلك بأن يقصد العمرة ثم بعد أن يتحلل منها يحرم بالحج بحيث تقع كل من العمرة والحج في أشهر الحج . قال تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى . . » (١) .

٢ — القران : بأن يجمع بين الحج والعمرة في احرام واحد أو يدخل الحج على العمرة قبل إتمامها . وذلك لما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسمعته يقول : « لبيك عمـــرة وحجة »

قال السندى في حاشيته على سنن ابن ماجه : عقب ذكر الحديث السابق :« هذا من أقوى الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم كان قارناً » . . وهو ما عليه المحققون من العلماء » (٢) .

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم ساق معه في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثا وستين بيده الشريفة ووكل عليا في نحر باقيها (٣) .

٣ — الاحصار وهو عدم التمكن من إتمام ما قصده المسلم من حج أو عمرة بسبب تربص عدو ، أو مرض ألم به أو غير ذلك : قال تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى . . » الآية (٤) .

٤ — أن يصاب الحاج بمرض أو أذى برأسه فيضطر إلى لبس المخيط أو حلق شعره مما يتنافي مع الإحرام . . فإن ذلك يوجب عليه الفدية قال تعالى : « فمن كان

---

(١) سورة البقرة من الآية رقم ١٩٦

(٢) حاشية السندى على سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ الطبعة الثانية وانظر أيضا سنن الدارمى ج ٢ ص ٧٠ طبعة مصطفى الحلبى الأخيرة .

(٣) فتح البارى ج ٤ ص ٣٠٣ وزاد المعاد ج ١ ص ٢٢٩ .

(٤) سورة البقرة من الآية رقم ١٩٦ .

منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك . . الآية)(١) .

٥ – قتل المحرم لشيء من الحيوانات والطيور البرية . . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما . . » (٢) .

ويستثنى من ذلك ما ورد الترخيص بقتله في الحل والحرم فقد روى عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم : « الحدأة والغراب والفأرة والعقرب والكلب العقور » وفي رواية (الكلب الأسود) (٣) .

كما يستثنى أيضا قتل الحية إذ ورد أيضا الترخيص بقتلها في الحديث الصحيح (٤) . فمن قتل شيئا مما وردت الرخصة بقتله فلا جزاء عليه .

٦ – إفساد الحج أو العمرة بحدوث مناف لهما قبل إتمام أركانهما، جاء في الموطأ عن مالك رحمه الله ، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهم ، سألوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج : فقالوا ينفذان يمضيان لوجههما حتى يقضيا حجهما ثم عليهما حج قابل والهدى . . » (٥)

٧ – من فاته الوقوف بعرفة بسبب خطأ في الحساب : جاء في الموطأ عن مالك عن نافع عن سليمان بن يسار : أن هبار بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه ، فقال : يا أمير المؤمنين : أخطأنا العدة ، كنا نرى أن هذا اليوم يوم عرفة . فقال عمر اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك وانحر هديا إن كان معكم ثم احلقوا أو قصروا وارجعوا فإذا كان عام كامل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع (٦) .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٦ .

(٢) سورة المائدة الآية رقم ٩٥ .

(٣) سنن الدارمى ج ٢ ص ٣٦ والبخارى ج ٤ ص ٤٠٧ من فتح البارى .

(٤) انظر صحيح البخارى ج ٤ ص ٤١٢ من فتح البارى .

(٥) الموطأ ج ١ ص ٢٧٢ .

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٣ .

ويعطى هذا الحكم من تعطلت به سيارته أو ضلت راحلته لما رواه مالك أيضا عن يحي بن سعيد أنه قال : أخبرني سليمان بن يسار : أن أبا أيوب الانصارى خرج حاجا حتى إذا كان بالتازية من طريق مكة أضل رواحله ، وإنه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر فذكر ذلك له فقال عمر : اصنع كما يصنع المعتمر ثم قد حللت فإذا أدركك الحج قابلا فاحجج واهد ما استيسر من الهدى » (١) .

هذه هى أسباب الدماء في الحج اجمالا كما وردت بها نصوص الكتاب والسنة وهناك أسباب أخرى : منها هدى التطوع ونذر المساكين (٢) .

بم يثبت الهـــدى :

يثبت الهدى في جميع الحالات السابقة بمعرفة الحاج أو المعتمر ما وقع منه بلا حاجة إلى شهود أو حاكم ، هذا إذا كان من أهل الفقه في الدين وإن لم يكن كذلك فيجب عليه أن يرجع إلى أهل العلم بذلك ويعمل بمقتضى ما يشيرون به عليه .

(وهنا تجدر بنا الاشارة إلى ما يقع على عاتق المؤسسات العلمية والهيئات الدينية من واجب نحو نشر الوعى الدينى المتعلق بأحكام الحج عن طريق وسائل الاعلام المختلفة من مسموعة ومقروءة ومرئية طوال موسم الحج وعن طريق عقد الندوات وإلقاء المحاضرات وتوزيع الكتيبات الصغيرة التى تحتوى على أهم أحكام الحج بأسلوب مبسط يفهمه كل من يعرف القراءة والكتابة) .

ويستثنى مما سبق ثبوت الهدى في جزاء الصيد فإنه لابد فيه من حكمين عدلين فقيهين في أحكام الحج . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما . .) الآية(٣) .

ولعل الحكمة في هذا الاستثناء : أن قتل الصيد من الجنايات الظاهرة والتى غالبا

---

(١) الموطأ جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٢) ينظر في تفصيل الأشياء السابقة والأسباب الأخرى التى هى محل خلاف بين العلماء في المراجع الآتية: فتح القدير للكمال بن الهمام جـ٣ من ص ٣ حتى ص ١٧٨ مطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة – وحاشية الدسوقي جـ ٢ ص ٥٤ إلى ص ٨٩ والمغنى لابن قدامة جـ ٣ ص ٢٦٠ إلى ٣٣٠ مكتبة القاهرة .

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ٩٥ .

مايراها غير القاتل ، ويستطيع أن يقدر الشيء المقتول حق قدره بخلاف بقية المخالفات فهي غالبا لا يطلع عليها إلا الشخص نفسه لذلك وكل الإثبات إليه . والله أعلم .

وهناك أمر آخر ، وهو أن الهدى المحكوم به في جزاء الصيد يختلف باختلاف الحيوان المقتول لذلك وجب أن يكون الحكم فيه بالعدلين ليستطيعا إجراء المماثلة المطلوبة بين الحيوان المقتول والحيوان المجزى به .

ومن أطرف ما يروى في هذا الموضوع ما ذكره الأمام مالك في الموطأ بسنده . . إلى محمد بن سيرين : أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال : إني أجريت أنا وصاحب لى فرسين نستبق إلى ثغرة ثنية فأصبنا ظبيا ونحن محرمان فما ترى ؟

فقال عمر لرجل إلى جنبه ، تعال حتى أحكم أنا وأنت قال : فحكما عليه بعنز . فولى الرجل وهو يقول : هذا أمير المؤمنين لا يستطيع أن يحكم في ظبي حتى دعا رجلا يحكم معه . فسمع عمر قول الرجل فدعاه فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال : لا . فقال : لو أخبرتني أنك تقرأ سورة المائدة لأوجعتك ضربا . ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : (يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة) وهذا عبد الرحمن ابن عوف » (١) يشير عمر رضى الله عنه إلى الرجل الذى اشترك معه في الحكم

مكان النحر وزمانه :

قال تعالى في شأن المكان الذى يجب أن تنتهى إليه الهدايا (ثم محلها إلى البيت العتيق) (٢) . وقال عز من قائل في المكان الذى يجب أن ينتهى إليه جزاء الصيد « هديا بالغ الكعبة » . فصارت الآية الأولى أصلا في كل هدى . والثانية أصلا في كل دم وجب كفارة .

وقد جاءت السنة فأوضحت ما أجملته الآيتان السابقتان : فقد ورد في صحيح البخارى عن نافع رحمه الله (أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يبعث بهديه من جمع

---

(١) الموطأ جـ ١ ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨ .
(٢) سورة الحج الآية ٣٣ .

من آخر الليل حتى يدخل به منحر النبي صلى الله عليه وسلم مع حجاج فيهم الحر والمملوك » (١)

وفي سنن ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منى كلها منحر وكل فجاج مكة طريق ومنحر . . » (٢) ..

وفي الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بمنى : (هذا المنحر وكل منى منحر) وقال في العمرة : (هذا المنحر) يعنى : المروة وكل فجاج مكة وطرقها منحر » (٣) .

يتضح من هذه النصوص مجتمعة عدة أمور :

الأول : أن النحر يختص با لحرم ولا يجزىء إذا تم خارجه سواء في نسك الحج أو العمرة .

ويستثنى من ذلك الهدى للمحصر إذا كان إحصاره قبل الوصول إلى الحرم كما يستثنى أيضا الهدى إذا عطب في الحل . فإن النحر في الحالين يتم في المكان الذى حدث به ا لاحصار أو العطب .

الثاني : أن أى جزء من مكة أو منى يصلح مكانا للنحر سواء كان الهدى مسوقا في الحج أو العمرة .

الثالث : الأفضل أن يكون النحر في الهدايا التى تساق في الحج : بمنى . أما الهدايا التى تكون لمخالفة ارتكبها المحرم في أثناء أداء العمرة ، فالأفضل أن تكون بمكة (٤)

ويرى بعض العلماء : أن هذا التخصيص واجب وليس فضيلة فقط (٥) .

أما زمان النحر : فيبدأ من وقت طلوع الفجر من يوم النحر ، وهذا على رأى بعض العلماء الذين تمسكوا بمدلول قوله تعالى « . . ويذكروا اسم الله في أيام معلومات

---

(١) صحيح البخارى جـ ٢ ص ٢٠٠ طبعة صبيح – القاهرة

(٢) جـ ٢ ص ٢٣٦

(٣) جـ ١ ص ٢٧٨ طبعة مصطفى الحلبى الأخيرة والإشارة في قوله عليه الصلاة والسلام بمنى هذا المنحر : إيماء إلى المكان الذى اتخذه صلى الله عليه وسلم منحراً لهداياه في حجة الوداع : وهو عند الجمرة الأولى التى تلى مسجد منى. انظر نيل الأوطار جـ ٥ ص ٦٩ .

(٤) فتح القدير جـ ٣ ص ١٦٣ . زاد المعاد جـ ١ ص ٢٤٦ . القرطبى جـ ١٢ ص ٦٣ طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) حاشية الدسوقي جـ ٢ ص ٨٦

على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . . »(١) حيث أضاف سبحانه النحر المذكور عليه اسم الله إلى الأيام . واليوم يبدأ من طلوع الفجر على أحد القولين . والقول الآخر أنه يبدأ بطلوع الشمس(٢) .

ويرى فريق آخر من العلماء أن وقت نحر الهدايا مثل وقت الأضاحى : أى أنه يبدأ بعد طلوع الشمس بمقدار وقت صلاة العيد وذلك لعموم حديث « . . من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين(٣) والأخذ بالرأى الثاني : عمل بالأحوط : للخروج من الخلاف .

وهناك عدة آراء في الوقت الذى يمتد إليه النحر ، وأقواها رأيان ؟ :

الأول : أنه ينتهى بغروب الشمس من اليوم الرابع من أيام النحر وذلك لما رواه سليمان بن موسى عن جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل أيام التشريق ذبح » رواه أحمد وهو للدارقطنى من حديث سليمان بن موسى عن عمرو بن دينار (٤) فهذا الحديث وإن أعله بعض العلماء بانقطاع سنده (٥) لكن روى من وجه آخر أنه صلى الله عليه وسلم : قال : كل منى منحر وكل أيام التشريق ذبح » والحديث المروى من وجهين مختلفين من شأنهما أن يقوى أحدهما الآخر كما أنه جاء من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عن جابر . قال يعقوب بن سفيان : أسامة بن زيد عند أهل المدينة ثقة مأمون . (٦) .

وقد نقل ابن القيم عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قوله : « أيام النحر : يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده » . ثم قال : وهو مذهب إمام أهل البصرة : الحسن وإمام أهل مكة عطاء بن أبي رباح وإمام أهل الشام الاوزاعى وإمام فقهاء أهل الحديث الشافعى رحمه الله واختاره ابن المنذر ، ولأن الثلاثة تختص بكونها أيام منى وأيام الرمى وأيام التشريق ويحرم صيامها فهى أخوة في هذه الأحكام فكيف

---

(١) سورة الحج من الآية رقم ٢٨ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ١٢ ص ٦٣ والموطأ جـ ١ ص ٢٧٨ .
(٣) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٤٠ .
(٤) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٤٢ .
(٥) زاد المعاد جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٦) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٤٢

تفرّق في جواز الذبح بغير نص ولا إجماع » (١) .

القول الثاني : ينتهى بغروب الشمس من اليوم الثالث من أيام النحر وبهذا قال مالك وأبو حنيفة والثورى وأحمد بن حنبل وروى ذلك عن أبي هريرة وانس بن مالك رضى الله عنهما من غير اختلاف عنهما واستدل هذا الفريق بمدلول قوله تعالى : (. . في أيام معلومات . .) الآية . وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة وما بعد الثلاثة غير متيقن فلا يعمل يه (٢) .

وأقول : العمل بالأول : أيسر إذ يمنح الناس فرصة أوسع للحصول على الهدى لمن لم يكن لديه هدى – وللعثور على الجزار الذى يقوم بالذبح بالانابة لمن لم تكن لديه المعرفة به .

قال ابن عبد البر « ولا يصح عندى في هذا – إشارة إلى أقوال العلماء في نهاية النحر – إلا قولان : أحدهما: قول مالك والكوفيين والآخر : قول الشافعى والشاميين ، وهذان القولان ، مرويان عن الصحابة فلا معنى للاشتغال بما خالفهما . . »

هل يجزىء الذبح ليلا :

يرى بعض العلماء أن الذبج بالليل لا يجوز لقوله تعالى : « ويذكروا اسم الله في أيام معلومات . . » فذكر الأيام . وذكر الأيام دليل على أن الذبح في الليل لا يجوز .

ويرى أكثر أهل العلم جوازه لأن الليالى داخلة في الأيام ونقول في هذين الرأيين. ما قلناه في المسألة السابقة .

كيفية النحر المشروع :

كان هديه صلى الله عليه وسلم في إراقة الدماء : نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند النحر ويكبر ويقول : لا إله إلا الله : اللهم منك ولك، وكان إذ ذبح البقر والغنم وضع قدمه على صفائحها ثم سمى وكبر .

وكان صلى الله عليه وسلم يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضها كما ورد أنه

---

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٣ .

صلى الله عليه وسلم وكل عليا رضى الله عنه في ذبح ما بقى من المائة بدنة .

ويسن في حق الأمة الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في الكيفية السابقة لكن إن ضعف إنسان أو تخوف أن تنفلت بدنته فلا بأس أن ينحرها معقولة وفي هذه الحالة يكون نحرها باركة أفضل له من أن تعرقب (١) قوائمها .

مصارف الدماء في المناسك :

الأصل في هذا قوله تعالى : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (٢) .

وقوله جل علاه : (فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) (٣) .

وقد تحدثت هاتان الآيتان بجلاء عن المصارف التى ينبغى أن تتجه إليها الدماء التى تراق في المناسك أو بسببها ، وقد انحصرت هذه المصارف إجمالا في جهتين :

الجهة الأولى : أكل صاحب النسك من نسكه . تأسيا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -

الجهة الأخرى : إطعام البائسين : من ذوى الفاقة والحاجة . . . وسنحاول فيما يلى بيان الأحكام المتعلقة بكل جهة ، ثم نعقب ذلك بالبحث عن الطريقة المثلى في كيفية وصول هذه الذبائح إلى مستحقيها الحقيقيين .

مدى حق صاحب النسك في الأكل من نسكه :

أقول بادئ ذى بدء : إن هناك اتفاقا بين العلماء على أن الأمر بالاكل في الآيتين السابقتين ناسخ لما كان عليه أهل الجاهلية من الامتناع عن أكل شيء من نسكهم فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته ، من خلال هاتين الآيتين بمخالفتهم وقد بدأ صلى الله عليه وسلم تنفيذ هذا الأمر بنفسه حيث أمر - صلى الله عليه وسلم - من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها (٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٦٣

(٢) سورة الحج من الآية رقم ٢٨

(٣) سورة الحج من الآية رقم : ٣٦

(٤) نيل الأوطار ج ٥ ص ١١٩ .

الدماء التى لا يجوز لصاحبها الأكل منها :

١ - هدى التطوع الذى يعطب قبل وصوله إلى المحل الذى سيق إليه وهو البيت الحرام ، لما رواه أبو قبيصة : ذؤيب بن حلحلة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث معه بالبدن ثم يقول : وإن عطب منها شيء فخشيت عليها موتا فانحرها ثم اغمس نعلها في دمها ثم اضرب به صفحتها ولا تطعمها أنت ولا أحد من أهل رفقتك) رواه احمد ومسلم وابن ماجه (١) .

فهذا الحديث واضح في إفادة عدم جواز أكل صاحب الهدى أو من يرافق سائق الهدى منه ، إذا نحر أو ذبح قبل محله بسبب عطبه .

وهل يمنع أيضا إذا كان الهدى الذى عطب قبل محله هدى فرض كدم المتعة أو القران ؟ .

يرى بعض العلماء : أن المنع عام : أى في التطوع والفرض لعموم حديث قبيصة وما ورد في معناه . إذ ليس فيه ما يشير إلى أن هذا الحكم خاص بهدى التطوع دون الفرض .

ويرى فريق آخر : أن المنع خاص بهدى التطوع لأن الهدايا التى ورد بشأنها الحديث كانت للتطوع فيقتصر الحكم المستفاد منها على ما يماثلها . أما هدى الفرض وكذلك جزاء الصيد وفدية الأذى ونذر المساكين ، فهو مضمون من صاحبه أى يلزمه بدله إذا عطب قبل محله لذلك يجوز له الأكل منه وأن يطعم الأغنياء والفقراء ومن أحب(٢)

وهذا هو المختار : لأن الهدايا التى ورد بشأنها حديث قبيصة وما في معناه لم تكن كلها للتطوع بل منها ما هو فرض لأنه صلى الله عليه وسلم كان قارناً في أرجح الأقوال .

ولأن صاحب الهدى العاطب لما أغرم بدله صار الحيوان العاطب كأن لم يخرج عن ملكه . وبناء عليه : فإنه يجوز له أن يتصرف فيه تصرف المالك في ملكه من الأكل أو إطعام الغير . إلا أنه منع من البيع منه لما فيه من معنى العبادة والله أعلم . .

---

(٢) المرجع السابق ج ٥ ص ١١٨ .

(١) انظر نيل الأوطار ج ٥ ص ١١٩ وتفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٥ .

كما أن الظاهر من قوله : لا تطعمها أنت ولا أحد من رفقتك ليس خاصا بصاحب الهدى وسائقه بل عموم الرفقة الذين يرافقون الهدايا سواء كانوا من أتباع صاحب الهدايا أولا لظاهر النهى ، ولأن الحكمة من هذا النهى هو سد الذريعة حتى يجتهد الرفقة في المحافظـة على الهدايا ولا يتركوها حتى تشرف على العطب لعلمهم أنهـم لن يستفيدوا منها شيئا إذا أشرفت على العطب ونحـروها ، بل سيستفيد بها غيرهم من الناس .

٢ ـ دماء النذر . فإذا نذر الحاج شيئا للمساكين وعينه بلفظ أو نية بأنه قال بلسانه هذا نذر للمساكين أو نواه بقلبه ، فلا يحل له تناول شيء منه وهو ما يشير إليه قوله تعالى : (وليوفوا نذورهم) (١) ، إذ معنى الأمر بوفاء النذر : هو إخراجه كاملا سواء كان هديا أوغيره والأكل منه يتنافي مع الكمال المطلوب في وفاء النذر(٢)

٣ ـ جزاء الصيد لأن الله سبحانه وتعالى جعله للمساكين بقوله عز وجل « . .أو كفارة طعام مساكين » (٣) وهذا على قراءة طعام بكسر الميم على قراءة نافع (٤) .

ويستدل على هذا وما قبله أيضا بما أخرجه البخارى عن عبيد الله ابن عمر العمرى عن نافع ابن عمر أنه قال : (لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر ويؤكل مما سوى ذلك)(٥)

٤ ـ فدية الأذى : لأن المطلوب أن يأتي بها كاملة من غير نقص سواء كانت لحما أو غيره (٦) . وقد روى سعيد بن منصور في سننه عن عطاء « لا يؤكل من جزاء الصيد ولا مما يجعل للمساكين من النذر غير ذلك ولا من الفدية ويؤكل مما سوى ذلك » (٧) .

وإذا حدث تعد من صاحب الهدى فأكل من الهدايا التى منع من الأكل منها ، فهل يغرم هديا كاملا ، أو يغرم قيمة ما أكل ، رجح ابن العربي القول الثاني ،

---

(١) سورة الحج من الآية رقم ٢٩ .
(٢) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٩٥ .
(٤) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٦ .
(٥) انظر فتح البارى ج ٤ ص ٣٠٥ .
(٦) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٤٥
(٧) انظر فتح البارى ج ٤ ص ٣٠٥ .

لأن النحر قد وقع ، والتعدى إنما حدث على اللحم فقط فيغرم قدر ما تعدى . (١) .

أما هدايا المتعة والقران والتطوع فيجوز لأصحابها الأكل منها لأنها دماء نسك فهي بمنزلة الأضاحى ، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من لحمها وحسا من مرقها ، كما أنها باقية على العموم المستفاد من قوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير . . الآية) (٢) وكذلك الآثار المروية عن السلف فيما سبق تدل على بقاء حلها لأصحابها ودخولها في عموم الآية السابقة وقد جاء في آخرها (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) .

حكم أكل صاحب الهدى من هديه :

الأمر الموجه لصاحب الهدى بالأكل من هديه المستفاد من قوله تعالى : « فكلوا منها . . » الآية : هو للندب عند جمهور العلماء خلافا لمن أوجب ذلك منهم ، لظاهر قوله تعالى : (فكلوا منها . .) وأيضا لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « كلوا وتزودوا »(٣)

ويرد عليهم بأن أسلوب الأمر كما يأتي للطلب المقتضى للوجوب قد يأتي للندب بل قد يأتي للاباحة كقوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » (٤) . ومعلوم أن الصيد بعد انتهاء الاحرام مباح وليس واجبا .

قال ابن جرير الطبرى : تعليقا على الأمر بالأكل في قوله تعالى : « فكلوا منها الآية» وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب وذلك أنه لا خلاف بين جميع الأئمة : أن ذابح هديه أو بدنته هنالك إن لم يأكل من هديه أو بدنته أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه فكان معلوما بذلك أنه غير واجب « » (٥) .

ثم نقل بسنده عن عطاء ومجاهد أنهما قالا : إن الأكل رخصة إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل ، وهي كقوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا) . وقوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » (٦) . .

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٣٠٥ .
(٢) سورة الحج الآية رقم ٣٦ .
(٣) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٤٤ .
(٤) سورة المائدة الآية رقم ٢ .
(٥) جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى ج ١٧ ص ١٠٩ دار المعرفة - بيروت - لبنان .
(٦) سورة الجمعة الآية رقم ١٠ .
(٧) جامع البيان ج ١٧ ص ١٠٩ .

هل لصاحب الهدى ، الذى يندب له الأكل من هديه مقدار معين يلتزم بأكله كثلث الهدى أو نصفه مثلا بحيث لا يجوز له الزيادة عليه أو النقص منه ؟ .

ليس هناك نص صريح من الكتاب أو السنة يلزم صاحب الهدى بأكل مقدار معين من هديه .

أما ما قيل من أنه يأكل النصف ويتصدق بالنصف تمسكا بظاهر قوله تعالى : (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) فإنه يرد عليه بأن هذه الآية أفادت أفضلية الجمع بين الأمرين : الأكل والإطعام بدون تحـديد لمقدار ما يخص كل واحد منها .

وهذا يقال أيضا في الرد على من قال : يأكل الثلث ويهدى الثلث ويتصدق بالثلث لظاهر قوله تعالى : (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) .

نعم يستحب له أن يجمع بين الثلاثة ولكن ليس بلازم، لأن هذا الالتزام يتعارض مع النصوص الصحيحة الواردة في هذا الموضوع فقد ورد أن الرسول عليه الصلاة والسلام ضحى بشاة ثم قال : « يا ثوبان أصلح لى لحم هذه . قال فما زلت أطعمه منه حتى قدم المدينة » . . رواه احمد ومسلم (١) .

وقد سلفت الاشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام أمر بأخذ جزء - غير محدد - من كل بدنة فطبخت له فأكل منها وشرب من مرقها . ومعلوم أن هذا الجزء كان يسيرا جدا بالنسبة لعدد البدن التى نحرت .

كما ورد أيضا أنه نحر هديا وتركه نهبة للناس دون أن يأكل منه شيئا ؟ فقد ورد في حديث عبد الله بن قرط : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد أن نحر خمس أو ست بدنات . . « من شاء فليقتطع » (١)

مدى حق الفقراء في الأكل من الهدايا :

المراد بالبائس الفقير : في قوله تعالى : (وأطعموا البائس الفقير) : من واقع أقوال السلف رضى الله تعالى عنهم :

نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه الزمن الفقير (٢) .

---

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ١١٤ .

(٢) جامع البيان ج ١٧ ص ١٠٩

وقال مجاهد : البائس : الذى يمد إليك يديه (١) .

وقال عكرمة : البائس المضطر الذى عليه البؤس ، والفقير المتعفف (٢) .

وقال ابن جرير : البائس : هو الذى به ضر الجوع والزمانة والحاجة والفقير الذى لا شيء له (٣) .

فابن جرير رحمه الله : لا يرى مانعا من أن تكون هذه المعاني كلها مرادة من قوله تعالى : البائس كما يرى : أن البائس غير الفقير وإن كان مشتركا معه في الحاجة لكن مع وجود التفاوت في المدى بين المحتاجين فالزمن المحتاج أولى من غيره ، والمتعفف أولى من السائل والذى أضربه الجوع أولى من غيره ممن لم تصل به الحاجة إلى ذلك وهكذا . .

وعلى ذلك فينبغى أن يراعى هذا التفاوت الظاهر في مدى الحاجة من جهة صاحب الهدى ، أو الذى يتولى الإطعـام ، أو تقسيم اللحم أو توزيعه ، بحيث يعطى كلا بقدر حاجته .

وأما المراد بقوله تعالى : (وأطعموا القانع والمعتر) : فأكثر الأقوال على أن القانع : هو السائل. والمعتر الذى يأتيك معتراً بك يعنى عارضا لك نفسه - لتعطيه وتطعمه (٤) .

والوصفان وإن كانا يشتركان في وصف الحاجة لكن ينبغى أن يراعى حال كل منهما بحيث يعطى قدر حاجته .

هل لحوم الهدايا من حق فقراء عامة المسلمين في كل أرض ؟

هل المراد بالمحتاجين في الآيتين ؛ : هم محتاجو الحرم خاصة أم هم المحتاجون من عامة المسلمين في جميع أمصارهم ؟

يرى الحنابلة : أن الهدايا توزع على المساكين من أهل الحرم خاصة والمراد بأهل الحرم هنا : كل من كان بالحرم وقت الذبح سواء كان مقيما به أم لا (٥) .

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق . جـ ١٧ ص ١٢١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المغنى جـ ٣ ص ٣٨٥ .

ولم جدأحداغيرهم من الفقهاء قدخص أهل الحرم بالهدايا دون بقية المسلمين. بل ظاهر النصوص يفيد العموم . دون تفرقة بين مساكين الحرم وغيرهم . من ذلك ما يلى :

١ ـ ما جاء في حديث عبد الله بن ارقط المتقدم وفيه (من شاء اقتطع) .

٢ ـ ما جاء في حديث ناجية الخزاعى وكان صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « قلت : كيف أصنع بما عطب من البدن قال : انحره واغمس نعله في دمه واضرب صفحته (١) وخل بين الناس وبينه فليأكلوه . .) رواه الخمسة إلا النسائى (٢) ومعلوم أن العطب قد يكون بالحرم وقد يكون في الحل ، وفيه إباحة لكل موجود في ذلك الموضع أن يأكل منه .

٣ ـ جاء في حديث عمرة الحديبية والصلح : « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . . رواه احمد والبخارى وأبو داود (٣) قال الامام البخارى في صحيحه : والحديبية خارج من الحرم (٤)

هذه الآحاديث وما ورد في معناها ، بالإضافة إلى صيغة العموم المستفادة من الآيتين في قوله تعالى : (وأطعموا البائس الفقير) وقوله عز شأنه : « وأطعموا القانع والمعتر » كلها تفيد : أن الهدايا ليست قاصرة على مساكين الحرم وحدهم بل هى من حق المساكين من عامة المسلمين سواء كانوا في الحرم أو خارجه

نعم : أهل الحرم إن كانوا في حاجة إليها فهم أولى من غيرهم ممن هم خارج الحرم . وحتى على رأى من يرى أنها خاصة بأهل الحرم فإنها تتعداهم إلى غيرهم إذا عدم المستحقون لها داخل الحرم .

وإذا كانت النصوص من الكتاب والسنة تفيد أن هذه اللحوم من حق فقراء

---

(١) أى صفحة سنامه ليعلم أنه هدى

(٢) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١١٨ .

(٣) المرجع السابق

(٤) جـ ٣ ص ١١ طبعة صبيح .

المسلمين ،في كل أرض ، فإن الواقع اليوم يحتم علينا العمل بموجب هذه النصوص بحيث تصل هذه المستحقات إلى أصحابها الحقيقيين ممن هم في حاجة إليها فعلا . وأنه يجب على الحكومات الإسلامية أن تتعاون مع المسئولين في المملكة العربية السعودية في البحث عن الطريقة المثلى التى يمكن سلوكها لتوصيل هذه الحقوق إلى مستحقيها . إن تحقيق هذا الأمر لم يكن ملحاً وعاجلا في يوم من الأيام منذ أن فرض الله الحج على الناس ، مثل ما هو ملح وعاجل اليوم وذلك بسبب الظروف الطارئة الآتية :

١ - ازدياد عدد المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج أو العمرة كل عام في السنوات الأخيرة زيـادة كبيرة ، مما أدى إلى زيادة الذبـائح التى تذبح كل عام بكميات تفوق كثيرا حاجة الحجيج في أيام التشريق .

٢ - التطور الكبير الذى حدث في وسائل المواصلات في العصر الحديث أدى إلى اختصار الوقت الذى كان يقضية الحجاج في الأماكن المقدسة وبالتالى قلت حاجتهم إلى التزود مما يذبح في أيام التشريق .

٣ - ارتفاع نفقات الحج والعمرة في السنوات الأخيرة - تبعا لموجات التضخم العالمى - أدى إلى احتجاب الفقراء نسبيا - عن أداء هذه الشعائر وكان هذا العنصر يكاد يعتمد اعتماداً كليا على ما يتزود به من لحوم أيـام التشريق ، في إعاشته حتى يقضى بقية أيامه في مكة وبهذا السبب نفسه صار الأداء لهذه الشعائر قاصرا على الطبقات القادرة وهذه لديها إمكانات الإعاشة التى تعتمد عليها اثناء إقامتها في موسم الحج مما يجعلها لا تفكر في الاستفادة بلحوم الهدايا التى تتوفر في المجازر أيام التشريق .

٤ - تعاون بعض الحكومات الإسلامية مع حجاجها في تحمل بعض النفقات وتنظيمها لإقامتهم وتوفيرها لوسائل إعاشتهم مسبقا ، أدى إلى انصراف تفكير كثير من الأفراد عن الذهاب إلى المجازر وحمل بعض لحوم الهدايا منها .

٥ - يضاف إلى هذه الأسباب سبب هام كان له أثر كبير في ظهور هذه المشكلة وتفاقمها في السنوات الأخيرة . هذا السبب هو تحسن الأحوال الاقتصادية في المملكة العربية السعودية تحسناً كبيراً في السنوات الأخيرة ، مما أدى إلى زيادة

دخول الأفراد فيها زيادة كبيرة جعلتهم لا يقبلون على الاستفادة مما يذبح في المناسك كما كان عليه الحال من قبل .

هذه الأسباب مجتمعة - إلى جانب بعض أساب أخرى أقل أهمية أدت إلى كثرة ما ينحر في المناسك في الوقت الذى ضاقت فيه أوجه تصريفها نظرا لانصراف الأفراد عنها من جهة ولقلة وجود مستحقين بالقرب منها من جهة أخرى .

الحـــل :

سنحاول فيما يلى البحث عن أفضل الطرق لاستفادة المسلمين بهذه الثروة الحيوانية وتجنب الأخطار المترتبة على استمرار الوضع الحالى : عن طريق عرض بعض الأفكار التى لها أصل في الدين وارتباط بمصلحة المسلمين .

البدائل الثلاث :

الفكرة الأولى . أو البديل الأول : هل يمكن الاستعاضة عن ذبحها في الحرم : بدفع قيمتها نقدا لجهة معينة تتخصص لهذا الغرض ثم بعد نهاية الموسم ترسل هذه المبالغ إلى الجهات التى تكون في حاجة ماسة اليها من جهات المسلمين. توزع عليهم نقدا أو يعمل لها مشروعات خيرية علاجية أو تعليمية .

وهذه الفكرة وإن لم تكن لها أصل في باب الهدايا لكن يمكن قياسها على الزكاة حينما لا يوجد لها مستحقون في موضع الوجوب فيرى كثير من الفقهاء أنه يمكن الاستعاضة بالقيمة وترسل هذه القيمة إلى الجهات التى تكون في حاجة إليها وقد استند هذا الفريق لما أخرجه البخارى عن طريق طاووس : قال معاذ رضى الله عنه لأهل اليمن : ائتوني بقرض : ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة : أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (١) .

ولما أخرجه البخارى أيضا بسنده عن ثمامة أن أنسا رضى الله عنه حدثه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له : التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم: ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده ، وعنده بنت لبون فإنها تقبل منه ويعطيه المصدق

---

(١) فتح البارى ج ٤ ص ٥٤ والخميص ثوب طوله خمسة أذرع .

عشرين درهما أو شاتين ، فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فإنه يقبل منه وليس معه شيء (١) .

الفكرة الثانية : أو البديل الثاني :

أن تذبح الهدايا في مواضعها التى شرعت للذبح فيها ثم تباع هذه الذبائح عن طريق هيئة خاصة تتولى تسويقها ثم بعد انتهاء الموسم ترسل هذه المبالغ إلى الجهات التى تكون في حاجة ماسة إليها من جهات المسلمين .

وقد أجاز عدد من الفقهاء كالامام الأوزاعى والامام احمد واسحاق وابو ثور : بيع جلود النعم وجلالها التى تذبح في الهدايا وهو وجه عند الشافعية، وقالوا : تصرف الثمن في مصرف الأضحية (٢) .

أى أن مبدأ البيع نفسه وارد عند فقهاء الشريعة في وقت لم تكن هناك حاجة للبيع . أما الآن ووسط الظروف المحيطة بالموقف في منى وبحاجة المسلمين في الخارج فإن هذا المبدأ يجب أن يأخذ طريقه إلى البحث الجاد من قبل علماء الشريعة والقائمين على تنفيذها وأن يجدوا مجالا للتوفيق بين بعض النصوص التى وردت في النهى عن البيع وبين هذا الموقف الذى يزداد خطورة عاما بعد عام .

الفكرة الثالثة : أو البديل الثالث :

إنشاء مصنع لحفظ اللحوم وتعليبها ثم توزيعها على الجهات التى تكون في حاجة إليها .

قد يثار إشكال : وهو أن هذا المصنع لن يعمل أكثر من ثلاثة أشهر ثم يتوقف عن العمل بقية السنة مما يعرض آلاته للتلف .

أقول : إن بعض مصانع السكر في مصر تعمل مثل هذه المدة من السنة ، وهناك مصانع تعمل أقل منها ، ومصانع تعمل أكثر منها . وجميع هذه المصانع تتوقف بقية العام ولم يقل أحد : إن هذه المصانع قد تلفت أو معرضة للتلف .

---

(١) المرجع السابق جـ ٤ ص ٥٥.

(٢) نيل الأوطار جـ ٥ ص ١٤٧ .

وعلى أى حال ، يمكن حل هذا الإشكال – على فرض وجوده – وهو أن يعمل المصنع بعد انتهائه من حفظ وتعليب لحوم الهدايا ، في حفظ وتعليب لحوم الحيوانات التى يمكن أن تستوردها الحكومة أو المؤسسات أو الأفراد بقية العام .

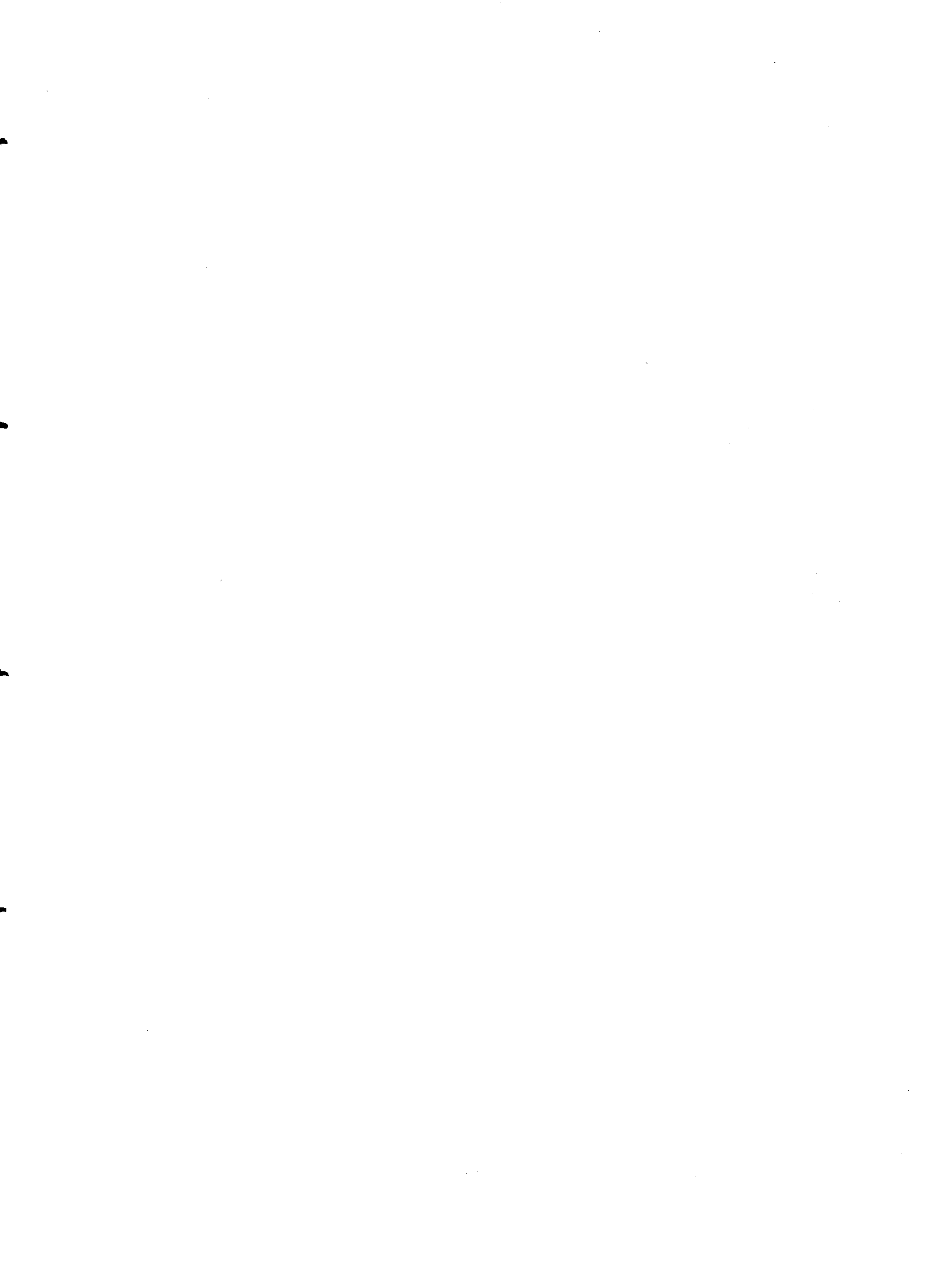
وهذا المبدأ موجود في كثير من البلدان الأجنبية ، وهو أن تقوم الدولة بإنشاء المصانع على أن تستورد خاماتها من الخارج وتصنعها ، ثم تقوم بإعادة تصديرها إلى الخارج مواد مصنعة .

وأقول في نهاية حديثى إن هذا الموقف يجب أن يعالج بسرعة وبحسم وأن تشترك في علاجه كل الحكومات الإسلامية مع المملكة العربية السعودية ، لأن فائدته ستعم معظم بلاد المسلمين ، كما أن أضراره ليست قاصرة على رعايا المملكة وحدهم .

وأقول أيضا : إن هذه الأفكار التى عرضتها ليست هى كل الحلول التى يمكن تنفيذها ، بل هى مجرد نماذج يمكن وضعها على بساط البحث والمناقشة . ومن خلال ذلك سيتوصل العلماء إلى وضع حلول مناسبة . ترعى لهذه الأماكن قدسيتها ولهذه المشاعر تعظيمها ولفقراء المسلمين حاجتهم . والله ولى التوفيق . .

د. أحمد على طه ريان
استاذ مساعد بكلية الحديث الشريف
والدراسات الإسلامية







بقلم محمد السيد الوكيل مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الحديث والدراسات الإسلامية

الحج هو الفريضة الخامسة من فرائض الإسلام، والركن الذى يجمع خصائص الأركان كلها ، فهو يجتمع مع الصلاة في الإعراض عن الدنيا والترفع عن اللغو ، والصلة الدائمة بالله عز وجل . .

ويشارك الصيام في الخشية والتقوى والمساواة ، ويأخذ من الزكاة البذل والتضحية والإنفاق ، فهو إذن عبادة روحية وجسمية ومالية ، وهو فوق هذا مؤتمر عام ، ومعسكر سنوى ، ورياضة روحية . . هو مؤتمر عام لأن جميع طبقات المسلمين ممثلة فيه ، بعد أن تزال الفوارق بين هذه الطبقات ، حيث المساواة في الزى والمسكن والمناخ والتقارب في المطعم والمشرب .

وهو معسكر سنوى لأنه يعلم المسلمين الجندية الصادقة ، فالحج يعلم المسلمين طاعة القيادة ، وخفة الحركة ، وإقامة المخيمات والانتقال بها من مكان إلى مكان في ساعات معدودات ، ومنه يتعلمون الصبر على المشقات .

وهو رياضة روحية ، لأنه يطلق الروح ويكبل الجسد ويكبح الشهوة ويحرم كثيرا مما كان حلالا قبل الاحرام للانسان .

ولأجل أن نقف على هذه الحقيقة ونستجلى معانيها يجب أن نعيش مع هذه الأيام التى يقضيها الحجاج عند أداء الفريضة .

اليوم الأول :

وهو يوم التروية – اليوم الثامن من ذى الحجة – وفيه يتجرد الحاج من ملابسه ، ويرتدى إزارا ورداء هما أشبه بالكفن منهما بملابس الانسان وفي هذا إعلان صريح باطراح مظاهر الحياة ومباهجها ، وإعراض عن متاعها وزخارفها، وتذكير بيوم لابد للانسان أن يلاقيه .

هذه الجموع الغفيرة تقبل على الله بكل جهدها ، ولسان حالها يقول : (وعجلت إليك رب لترضى) ولسان مقالها يترجم هذا المعنى فيقول : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .

إن الله – عز وجل – قد دعاهم إلى ضيافته ، فنبذوا الدنيا وراء ظهورهم وجعلوها دبر آذانهم ، وأسرعوا متلهفين يرجون رحمته ويخافون عذابه .

اليوم الثاني :

وهو يوم عرفات يقف الجميع بهذا الزى ، الملك والسوقة ، والغنى والفقير يأبى الله ان يكونوا في هذا الموقف إلا على هذا النحو، لأن الله – عز وجل – لايمنح رجمته ورضوانه إلا لمن استجاب نداءه ، واتقى شح نفسه ، وجعل الدنيا وسيلة للغاية الكبرى يوم يلقى الله .

وعلى عرفات يقف الحجاج جميعا ، ولابد أن يتواجدوا في وقت واحد يبتهلون خاشعين ، ويمدون أكف الضراعة متذللين، تنبح الحناجر ملحة في الدعاء ، وتفيض العيون بالدمع خشية الفضيحة يوم اللقاء ، وفي هذه اللحظات ينخلع الإنسان تماما من الدنيا ، ويتعلق قلبه بالملأ الأعلى ويتجلى الله على أهل الموقف ، ويباهى بهم ملائكته فيقول :

(انظروا إلى عبادى أتوني شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فتقول الملائكة إن فيهم فلانا مرهقا وفلانا ، فيقول الله – عز وجل – قد غفرت لهم) (١) .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

ولا يزال أهل عرفات في دعاء وابتهال ، وتضرع وسؤال ، يحلقون بأرواحهم في ملكوت السماء، ويحيون قلوبهم بالذكر والدعاء ، حتى إذا أوشكت الشمس على المغيب ، وأخذ النهار يتوارى خلف الكثبان التى بللتها دموع الأوابين ووقف الليــل بالأعتاب يدق بظلامه الرهيب أغــلال الأبواب ، مؤذنا بالنفرة العظمى عندئذ تطوى الخيام ، وترفع أدوات الشراب والطعام ، ويثب الحجاج إلى السيارات فيخفة نادرة وسرعة باهرة فإذا اختفت الشمس تمــاما عن الأنظار، كان ذلك إيذانا بالمغادرة فيتحرك هذا الجمع الغفير ليضرب في الأرض ويقضى ليله في جمع

لله ما أبرع تلك الحركة العسكرية الرائعة هذه الآلاف المؤلفة من البشر تتحرك في ساعة واحدة ، وتنتقل من مكان إلى مكان في ساعات . أرأيت مدينة بأكملها تنتقل في لحظات ؟ أرأيت جيشا يقارب المليون يؤدى هــذه الحركة البارعة في ساعات ؟ ؟ . .

إنه الحج المعسكر السنوى للمسلمين ، ولله ما تحمل القوم من المشقات كم عانوا من لفح الشمس المحرقة وكم لاقوا من نصب الخيام وطيها ، وتحميلها وتنزيلها ، ولو رأيت الحافلات ، وهى تتزاحم في الطرقات المحيطة بالجبال الشاهقة ، وتكاد تلتحم حتى ترى كأنها خيط مد على سمت واحد إنك لتعجز أن تجد في الطرقات مع تعددها واتساعها موضع قدم وهنا تتلاحق انفاس الحجاج ، وتجف حلوقهم ، وتيبس ألسنتهم ويجــدون من العنت والإرهاق ما لم يخطر لهم على بال ، حتى ليخيل إلى من يراهم على تلك الحال أنه لن يعود أحد منهم إلى الحج مرة ثانية .

كل ذلك وهم صابرون محتسبون ، يطمعون في الأجر العظيم من الرب الرحيم، ولم تلبث الشهور تنطوى ، والأيام أن تنقضى ، وتعود على المسلمين أيام الحج بنفحاتها وخيراتها ، حتى تجد أشد الناس تلهفا على الحج هم حجاج السنوات الماضية . لقد نسوا كل هذه المشقات ، وأحسوا أن شيئا خفيا يلح عليهم من داخل نفوسهم ، أن هيئوا وشدوا رحالكم لتسعدوا بنفحات ربكم . حول الكعبة ، وعلى عرفات ، وعند المشعر الحرام وأمام الجمرات .

أنهم يحسون أن الدوافع قوية ، لا يستطيعون مقاومتها، ويشعرون أن الرغبة ملحة لا قبل لهم بالتخلص منها ، ويعرض لهم الشيطان ، فيذكرهم بما سيبذلون من جهد

ومال ، وما سيتحملون من مشقة وعنت ، ولكن ذلك لا يضعف الدوافع ، ولا يطفىء إلحاح الرغبة .

نعم ، ما المال ؟ ما الجهد ؟ ما الأولاد ؟ وما الأهل ؟ ؟ إن هذا كله لا يساوى لحظة ينعم فيها الإنسان برحمة الله ، فيشعر بنشوة القرب ، ويحظى بلذة الأنس ، إنهم ليذكرون هذه اللحظات المباركات التى يتجلى فيها الله على أهل عرفات فينسون كل المشقات ويقبلون على الله مضحين بكل غال ونفيس .

ويعد النفرة العظمى ، وبعد هذا العناء المتواصل ، يصل الحجيج إلى مزدلفة، فيصلون المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان واحد وإقامتين ، ثم ينامون ولم يكن هذا النوم المبكر إلا استعدادا لاستيقاظ مبكر وتأهبا لتحمل أعباء اليوم الثالث ، وتلك سنة أبي القاسم – صلى الله عليه وسلم – فلم يرو عنه أنه أحيا ليلة المزدلفة ، روى جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – أنه – صلى الله عليه وسلم – لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ،ثم دفع قبل طلوع الشمس (١)

اليوم الثالث :

وهو يوم الحج الأكبر – يوم النحر(٢) – ويبدؤه الحجاج بالوقوف عند المشعر الحـــرام ، وهناك تسكب العبرات ، وتزداد الحسرات ، وترفع إلى الله أكف الضراعة ، وتلهج الألسن بالذكر والطاعة ، تلبية لأمر الله (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) (٣) .

ومن هناك ينطلق الركب قاصدين جمرة العقبة بمنى ، فيرمونها بسبع حصيات ، وهذ االرمى رمز لانتصار الخير على الشر ، وتأصل للفطرة على النحو الذى فطرها الله عليه ، أليس الرمى إرغاما للشيطان وطاعة للرحمن ؟ .

ثم يذبحون هديهم شكرا لله على فضله ، وجزيل نعمه ، وفي ذبح الهدى وقاية من

---

(١) رواه مسلم .

(٢) قال بذلك ابن جرير ورجحه وكذلك الشوكانى وغيرهما .

(٣) البقرة ١٩٨ .

الشح ، وتمرد على البخل ، وإعلان للطاعة المطلقة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (١) .

ثم يحلقون رءوسهم ، ويتوجهون شطر المسجد الحرام ليؤدوا طواف الركن ثم يعودون إلى منى ، وتنتهى بذلك أعمال يوم النحر .

اليومان الرابع والخامس :

ونحن نلاحظ في هذين اليومين أن الحاج ليس عليه إلا أن يهيء نفسه للمبيت بمنى ويستعد لرمى الجمرات الثلاث .

وإني لألمح من خلال إقامة الناس بمنى يومين أو ثلاثة بعد يوم النحر اهتمام الإسلام في أداء هذه الفريضة بتربية النفس الإنسانية على الطاعة ، وتعويدها على التقشف ، وأخذها بالعزائم من الأمور ، أليس الإسلام دين كفاح وجهاد ؟ ألم يحث الرسول – صلى الله عليه وسلم – على أن يكون الإنسان المسلم على أهبة الاستعداد للنفير ؟ ؟

فكيف تبقى في نفوس المسلمين هذه المعاني إذا ألفوا الدعة وأخلدوا إلى الراحة ، وقضوا حياتهم في ترف ونعيم ؟ ؟ .

لابد إذن من المبيت في الخيام وعلى الأرض ، والاستغناءعن الفرش الوثيرة والسرر الموضونة ، ولابد من تهيئة النفس لمثل ذلك اليوم إذا اقتضت الضرورة، ودعا داعى الجهاد .

ولابد كذلك من ترويض النفس على السير في موكب المؤمنين وهم في طريقهم إلى الجمرات ليثبتوا ذاتياتهم ، ويوثقوا عهدهم مع الله على السير في طريق الخير وإعلان الحرب على الشر مهما كانت دوافعه ومهما تعددت وسائله .

ونستطيع أن نؤكد بعد ذلك أن الحج دورة تدريبية للمؤمن يحضرها كل عام عشرات الآلاف من المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ويتدربوا فيه على التقشف وطرح الدنيا خلف ظهورهم حتى يكونوا على استعداد لتلبية نداء الحق – تبارك

---

(٢) الحج الآية : ٢٧ .

وتعالى - (يا أيها الذين آمنوا هلى أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (١) .

هذه هى الأيام الخمسة ، وهى أيام الحج ، كلها تجرد وعزوف ، وابتهال وتضرع ، وذكر ودعاء ، وخوف ورجاء، هل تجدون في منهج الإنسانية الطويل ، ومسيرتها الحائرة برنامجا هو اكثر احتفاء بالروح ، واعظم اهتماما بالإنسان من هذا البرنامج الذى وضعه الإسلام في هذه الأيام الخمسة .

محمد السيد الوكيل
مدرس التاريخ الإسلامى
بكلية الحديث والدراسات الإسلامية



(١) الصف الآية : ١٠ - ١١

(٢) »برنامج كلمة فارسية معناها الخطة التى يضعها الانسان لشيء يريده، وعربيتها المنهاج .

ما أدخله الشيعة في التاريخ الإسلامي

بقلم فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله المحيسن عميد كلية الدعوة وأصول الدين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا أما بعد : ـ

فإن التاريخ لأى أمة من ألأمم هو الصورة الواضحة لحياتها وتقاليدها ودياناتها وعلومها وثقافتها . وصفحاته هي المعبرة عن آمالها وأهدافها وتصوراتها...

وان التاريخ الإسلامي اعظم مثال للتعبير عما ذكرنا فهو لم يسبق له نظير في تاريخ أمة من الأمم لا في كمه ولا في كيفه .

فهو من جهة الكم أوسع تاريخ عرفته البشرية حتى اليوم . وذلك لما حواه من أخبار الخلفاء والولاة والعلماء والقضاة والقادة .

وكل ذلك بوضوح تام ودقة متناهية . ولما سطره حول الفتوحات العظيمة التي قام بها المسلمون شرقا وغربا والتي تتجدد وتتقدم من حين لآخر .

بالاضافة الى ما حواه من العلوم والمعارف والسيرة الحميدة والأعمال الصالحة لصالحى هذه الأمة .

وأما من جهة الكيف فانه يعتمد على الرواية والنقل عن العدول والثقات الموثوق بروايتهم ولا مجال فيه للاختراع والخرص وهذا لم يحصل لتاريخ أمة من الأمم .

هذا وقد حظى التاريخ الإسلامى بالرواية والتسجيل والحفظ فأقبل العلماء والرواة على روايته وتدوينه وتنافسوا في ذلك مما جعل المكتبة الإسلامية تغص بكتب التاريخ لكل عصر وجيل عبر تاريخ هذه الأمة .

هذا وقد ذهل أعداء الإسلام من قوة هذا الدين ونفوذ سلطانه وتقدم انتشاره فوقفوا قلقين حيارى .

ولما لم يكن لهم أى قوة لمقاومته بالسيف علنا لجأوا الى شتى الطرق والوسائل للكيد له والنيل منه .

وبدعة التشيع هي أول بدعة أسست لهذا الغرض وأول مكيدة دبرت تحت هذا الستار هي الفتنة الكبرى التي دبرت ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم أجمعين .

فإن هذه الفتنة بدأت باشاعة وتلفيق الأخبار المكذوبة أو المروية على غير وجهها الصحيح وذلك لتأليب الجهال وغوغاء الناس عليه مما أدى إلى قتله بعد ذلك رضي الله عنه كما هو مبسوط في كتب الحديث والتاريخ .

والذي خطط ونفذ هذه الفتنة هو عبد الله بن سبأ اليهودى كما ستأتي الاشارة اليه فيما بعد .

ثم بعد مقتل عثمان وجد الرفض فرصته المناسبة في الفتن التي جرت بعد ذلك وذلك لاشاعة واختلاق الروايات المكذوبة في مثالب الصحابة وفيما جرى بينهم من الاختلاف وتصويره على غير وجهه الصحيح وسنذكر أمثلة لذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ولا أريد ان اتعرض هنا لما شحنته الشيعة في كتبهم من البهتان والزور على تاريخ الاسلام وذلك نتيجة لما تكنه صدورهم من الحقد والبغض لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولقادة المسلمين وولاتهم فان كتبهم مشحونة بالسب والشتم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولخير القرون بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . ومثل هذا واضح البطلان ولا يستغرب من شرذمة أظهرت الرفض وأبطنت الكفر . ولا تحل قراءة هذه الكتب الا على سبيل الاطلاع على الباطل للرد عليه والتحذير منه .

أما ما اقصده بهذا البحث فهو ما تسرب من ذلك الى كتب التاريخ الإسلامى . إما عن طريق راو يظهر عليه التقى والعدالة ويبطن الرفض أو عن طريق خفيف التشيع يجيز الرواية عن مثله جمهور أهل العلم بالحديث إذا لم يكن متعصبا وداعية لبدعة .

وقد يروى مثل ابن جرير عن بعض المشهورين بالتشيع ولكنه يذكر سنده في الرواية ليحيل العهدة على الرواة كما سيأتي أمثلة لذلك فيما بعد .

وليس في هذا عيب على ابن جرير ما دام نقلها بأسانيدها وترك للقارىء الحاذق نقدها وتمحيصها فقد قال رحمه الله في مقدمة تاريخه (١) وليعلم الناظر في كتابنا هذا ان اعتقادى في كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت اني ارسمه فيه انما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه .

والآثار التي انا مسندها الى روايتها فيه .. إلى أن قال رحمه الله فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ويستبشعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا . وانما أتي من بعض ناقليه الينا .

ونحن إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا .. ولكن جاء من بعد ابن جرير من حذف هذه الأسانيد وضم الروايات بعضها الى بعض طلبا للاختصار ثم جاء من بعدهم خصوصا في هذا العصر من ينقل هذه الروايات وينسبها الى كتب التاريخ من غير تفريق بين ما يرويه الثقات وبين ما يرويه أهل التشيع والرفض ولا بين ما ظاهره الصحة مما تظاهرت فيه اخبار الثقات العدول من جهات متعـــددة . وبين ما ظاهره البطلان مما يروى في مثالب الصحابة وما جرى بينهم من الفتن مما يجمع على بطلانه عامة أهل العلم بالحديث من أهل السنة .

وزاد الطين بلة في هذه العصور المتأخرة أنه ظهر سابئة جديدة بثوب جديد وهؤلاء ما يسمون بالمستشرقين من اليهود والنصارى وهؤلاء وجدوا في روايات الرافضة المدسوسة في التاريخ مرتعا خصبا لتشويه التاريخ الاسلامى المجيد .

---

(١) ص (٨٥٧) جـ (١) .

وهؤلاء يموهون على الناس أنهم من أهل التحقيق العلمى الدقيق وفي الحقيقة أنهم من أهل التزوير والتلفيق فغاية ما عندهم من التحقيق أن يعمد أحدهم الى بعض روايات الرافضة يصوغها بصورة بشعة ويزيد فيها وينقص حسب ما يخدم غرضه الخبيث ثم في الأخير يقول لك مثلا انظر ابن جرير الطبرى أو ابن الأثير . هذا وقد اغتر بتمويههم وتزويرهم كثير من الكتاب وأساتذة التاريخ في هذا العصر . وفي الحقيقة إنه لمن الخيانة لهذا الدين ان يؤخذ تاريخه من أعدائه من اليهود والصليبيين وهم ما يسمون بالمستشرقين .

ولا يفوتنى في هذا المقام أن أنوه بتلك الجهود التي قام بها كثير من علماء الإسلام الأعلام من تصد لتلك المرويات في هذا الباب سواء كان بكتابة التاريخ كتابة تعتمد على الروايات الموثو ق بها مع الاحترام والتقدير والاعتراف بالفضل لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . أو على سبيل مؤلف خاص بتلك الروايات .

أولفتة نظر عابرة في طيات مؤلف في موضوع ما .. ومثل هذا كثير جدا منها ماهو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهو الكثير الغالب ومثال النوع الأول من التأليف مما هو مطبوع كتاب البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله ذلكم الرجل الذى تصدى للرفض بتحقيقه العلمي الدقيق ونقد العالم المطلع البصير . بالاضافة إلى ابرازه من مناقب وفضائل الصحابة رغم أنوف أهل الرفض ومثال النوع الثاني كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ومثال النوع الثالث ما هو متناثر في كتب ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر وغيرهم من العلماء تلك الجهود على اختلاف انواعها مهمة جبارة متكاملة . قام بها علماء الإسلام سلفا وخلفا خير قيام .

والذى بقى الآن وهو مهمة أهل العلم والغيورين على هذا الدين في هذا العصر ان الذى عليهم الآن هو مواصلة المسيرة نحـو الجبهة الحامية الوطيس وقد بين لنا علماء الاسلام زيف وكذب روايات الرافضة فلم يبق بعد ذلك الا طردهم نهائيا من صفحات التاريخ .

إنه إن لذ وطاب لمستشرق يهودى أو نصراني أو لفرخ واحد منهما أن يبقى تداول تلك الروايات المظلمة تسود صفحات التاريخ البيضاء فلا يجوز لمسلم ابداً أن يرضى بهذا الدنس لتاريخ أمته ودينه .

وإنه لمن الواجب على المؤسسات المعنية في العالم الاسلامي أن تقيم محاجر علمية دقيقة لعزل الروايات التى أصيبت بالوباء ولتقديم تاريخنا الاسلامي بصورته المشرقة بعد تطهيره وتعقيمه من جراثيم الشيعة القذرة .

كما يجب عليها الحجر الشرعي على سفه كل من يرسل لسانه في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك انتصارا لله ولرسوله ولدينه . وقياما بالواجب نحو خير هذه الأمة وأفضلها في الدنيا والآخرة .

ما أدخلته الشيعة في التاريخ الإسلامي

يدور فلك الغارة الشعواء التي شنتها الشيعة على التاريخ الإسلامي في الغالب حول أمرين هما : ـ

الأمر الأول : سب أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وسلم وتزوير الروايات وتلفيق الحكايات في مثالبهم رضي الله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين . ويقصد من وراء ذلك الوصول إلى الاسلام نفسه لأن الصحابة هم رواته وهم خير هذه الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم . . بل هم أفضل من مشت قدماه على الأرض من بني آدم بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر فضل الصحابة وأن القدح فيهم قدح في الاسلام نفسه قال ما نصه : « وهذا هو أصل مذهب الرافضة فان الذى ابتدع الرفض (يقصد عبد الله بن سبأ) كان يهوديا أظهر الإسلام نفاقا . . ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة .

إلى أن قال رحمه الله : « فان القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدح في الرسول عليه الصلاة والسلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم . . انتهى المقصود من كلامه رحمه الله .

وتركز أساطير الرافضة على خيرهم وأفضلهم أبي بكر و عمر وعثمان ثم تنطلق بوقاحة إلى أجلاء الصحابة وأعيانهم من السابقين الأولين الى الإسلام وممن حضر بدرا

---

(١) الفتاوى ص (٣٢٨) ج (٤) .

وأحدا وبيعة الرضوان وآزر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره في السراء والضراء .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض كطلحة والزبير وغيرهما من بقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم أجمعين .

ولا يقفون عند هذا الحد بل يتناولون بألسنتهم القبيحة أمهات المؤمنين وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ويخصون الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . . وفي نهاية المطاف يتناولون كافة بني أمية بالسب والشتم والكلام القبيح .

الأمر الثاني :

الغلو في أهل البيت ويخصون منهم عليا وفاطمة وذريتهما رضي الله عنهم اجمعين فيفترون ويلفقون الروايات الكاذبة في مدح أهل البيت واطرائهم حتى يصل بهم الحد الى وصفهم بما لا يليق بهم من الأوصاف ويسندون اليهم مواقف وأعمال لا تتفق مع فضلهم وعلو قدرهم .

بعض الأمثلة على ما أدخلته الشيعة في التاريخ

نذكر هنا بعض الروايات التي دستها الشيعة في التاريخ ونبين بطلانها ونذكر بازائها الروايات الصحيحة المعارضة لها .

١) زعمت الشيعة أن عليا رضي الله عنه لم يبايع عثمان وبعضهم قال بايع كرهاً ولفقوا عدة روايات لتأييد زعمهم هـــذا وقبل أن نذكر الروايات التي لفقوها وقبل أن نذكر خلاصة بيعة عثمان وأمر الشورى على الوجه الذى رواه الثقات العدول فنقول : لما طعن عمر رضي الله عنه جعل الأمر بعده شورى فيمن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم وهم علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف فجعل الأمر في هؤلاء السنة يختارون واحدا منهم وتم ذلك لعثمان رضي الله عنه وبايعه بقية أهل الشورى ومنهم على وجميع المهاجرين والأنصار دون أى خلاف أو تردد صح ذلك من وجوه متعددة مشهورة في كتب التاريخ المعتمدة ومروية في الصحيحين وغيرهما مثل ما رواه البخارى (١) في صحيحه عن عمرو بن ميمون وذكر

(١) ص (٦٠) ج (٧) صحيح البخارى مع فتح البارى .

القصة بطولها وقال فيها (فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجـد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن . وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له . وساق بعد ذلك وصية عمر برعيته وقصة دفنه الى أن قال : (فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على فقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن بن عوف أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله فيه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان .

فقال عبد الرحمن أفتجعلونه الى والله على لا آلو عن أفضلكم . قالا نعم فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الاسلام ما قد علمت . فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه .

وهذا الذى رواه البخارى من بيعة علي لعثمان مع جماعة المسلمين هو الذى صحت به الأخبـــار في كتب السنة المعتمدة وذكره عامة من يوثق به من المؤرخين . ولكن الروافض أشاعوا عدة اشاعات منها أن عليا تلكأ أو أنه تكلم كلاما شنيعا على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وذكرت هذه الروايات في بعض كتب التاريخ من ذلك ما رواه ابو جعفر محمد بن جرير(١) بسنده الى عمر بن ميمون الأودى وذكر ما جرى في أمر الشورى والبيعة ومما ذكر فيها : أن عليا قال لعبد الرحمن ابن عوف لما بايع عثمان حبوته حبو دهر ليس هذا أول يرم تظاهرتم فيه علينا . . الى آخر ما ذكر من القول الشنيع .

والسند الذى ذكره بن جرير فيه عدة علل ولا يحتج. بمثله عند أهل العلم بالحديث ومن رواة هذا السند في أحد طرقه عند ابن جرير

---

(١) جـ ٢ ص (٦٣٢) .

ابو مخنق واسمه لوط بن يحي وهذا شيعي قال فيه الذهبي في الميزان أخبارى تألف لا يوثق به وقال بن عدى شيعي محترف صاحب أخبارهم .

ثم يروى ابن جرير بعد ذلك بسنده الى المسور بن مخرمة وذكر أمر الشورى وبيعة عثمان وقال فيها : فجعل الناس يبايعونه (أى عثمان) وتلكأ علي فقال عبد الرحمن (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) الآية .. فجعل علي يشق الناس حتى بايع وهو يقول خدعة وأيما خدعة . وفي سند هذه الرواية عند ابن جرير عن عبد العزيز بن ابي ثابت . قال فيه الذهبي (١) في الميزان قال البخارى لا يكتب حديثه وقال النسائى وغيره متروك وقال عثمان بن سعيد قلت ليحيي فان ابي ثابت عبد العزيز بن عمران ماحاله قال ليس بثقة انما كان صاحب شعر وهو من ولد عبد الرحمن بن عوف ا هـ .

و ذكره الحافظ (٢) بن حجر في التهذيب وقال فيه الحسيني بن حبان عن يحي قد رأيته ببغداد كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم ليس حديثه بشيء ا هـ .

قلت وقد ذكرا بن جرير عن عبد العزيز هذا بعد أن ساق الرواية السابقة .طامة أخرى وهي أنه فسر قول على رضي الله عنه في الرواية السابقة الذكر خدعة أيما خدعة . أى أنها خدعة من عمرو بن العاص وذكر وجه الخدعة بما عدلنا عن ذكره لبشاعته . . والله المستعان .

فهذه الروايات وما شابهها غالبها من دس الرافضة على التاريخ وأحببنا التنبيه عليها لأن كثيرا ممن يكتب التاريخ في هـذا العصر قـد اغتر بها وذكرها من دون تحقيق . ولله در الحافظ بن كثير فانه ذكـر في كتابه البداية والنهاية أمر الشورى والبيعة بطولها ولم يلتفت الى شيء من هذه الروايات بل قال بعد أن ساق الروايات الصحيحة (وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره من رجال لا يعرفون أن عليا قال لعبد الرحمن خدعتني . وأنك إنما وليته لأنه صهرك ويشاورك كل يوم في شأنه . وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) الآية . الى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهى مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم .

---

(١) جـ (٦) ص (٦٣٢)

(٢) جـ (٦) ص (١٥٠)

ثم قال بعد ذلك رحمه الله والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار ووضعيها ومستقيمها وسقيمها . . انتهى المقصود من كلامه رحمه الله .

وقد نقل الروايات المذكورة غير واحد من المؤرخين تبعا لاين جرير في ذلك دون تمحيص كابن الأثير رحمه الله .

روايات الرافضة حول موقعة الجمل

وحينما ننتقل إلى موقعة الجمل نجد الرافضة قد غطوا الجو تغطية كاملة فلا تكاد ترى الحقيقة من التغطية التى أثارتها الرافضة فحينما تنظر الى بعض كتب التاريخ لا تجد في صفحات هذه الموقعة إلا السب والشتم والقتال والطعن والكلام القبيح وما ادخلوه في هذه الموقعة لا يعد ولا يحصى ويطول الكلام بذكره وتشمئز الفطر السليمة من سماعه ولكننا نذكر هنا بعض الحقائق التاريخية التي نطق بها التاريخ بالروايات الصحيحة رغم أنوف الرافضة والتي يأبي كتاب التاريخ المتفرنجون أن يذكروها فنقول :

الحقيقة الأولى :

ذكرت الروايات الصحيحة ما يدل دلالة واضحة أن طلحة والزبير ومن معهما انما خرجوا لطلب الإصلاح وقطع دابر المفسدين الذين قتلوا عثمان ولم يخرجوا لطلب ملك أو لغرض من أغراض الدنيا بل لم يكن مقصودهم قتال على ولا من معه من المسلمين ويدل على ذلك ما ذكره ابن كثير وغيره(١) .

أن عليا رضي الله عنه بعث القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير يدعوهما إلى الألفة والجماعة ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف .

فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال أى أماه ما أقدمك هذا البلد ؟ فقالت أى بني الإصلاح بين الناس . فسألها أن تبعث إلى طلحة

(١) جـ (٧) ص (٢٣٢) .

والزبير ليحضرا عندها فحضرا فقال القعقاع اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت إنما جئت للاصلاح بين الناس فقالا ونحن كذلك) فأنت ترى أن طلحةو الزبير وعائشة قالوا جميعا ما جئنا الا للاصلاح بين الناس وقد صدقوا رضي الله عنهم وكذبت الرافضة يدل على ذلك أنه تم الصلح بعد ذلك كما سيأتي بيانه ومما يدل على ذلك أيضا ما ذكره ابن كثير عن علي رضي الله عنه لما سأله ابو سلام الدلائي فقال هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم (يقصد دم عثمان) ان كانوا أرادوا الله في ذلك . . قال نعم قال فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك قال نعم . . وهذا الذى قاله علي رضي الله عنه هو معتنق أهل السنة فيما جرى بين الصحابة فهم يعتقدون أن كلا منهم مجتهد إن أصاب فله أجران وإن اخطأ فله أجر واحد .

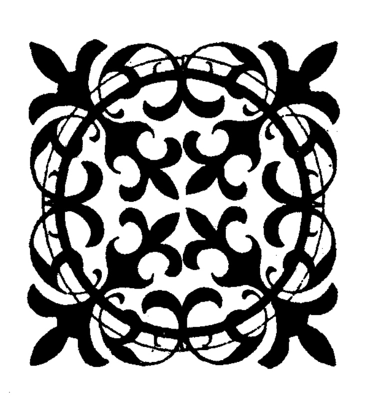
الحقيقة الثانية :

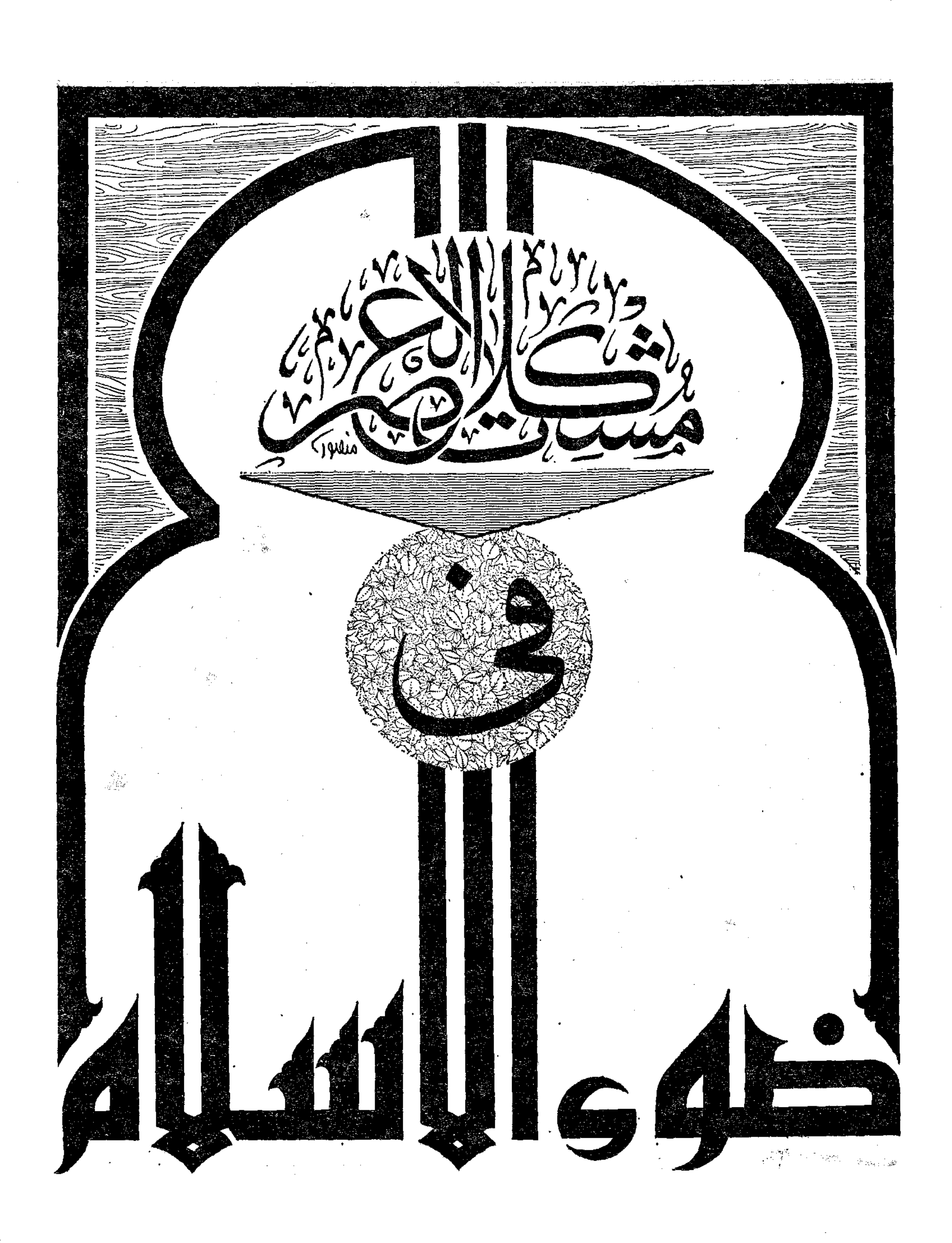
أن القوم اصطلحوا واتفقوا على أن يكف كل واحد منهم عن الآخر ولم يخطر ببالهم إلا أن الأمر انتهى وليس هناك قتال فأبي ذلك السابئة قتلة عثمان ودبروا المكيدة فأنشبوا الحرب وحصل ما حصل في موقعة الجمل .

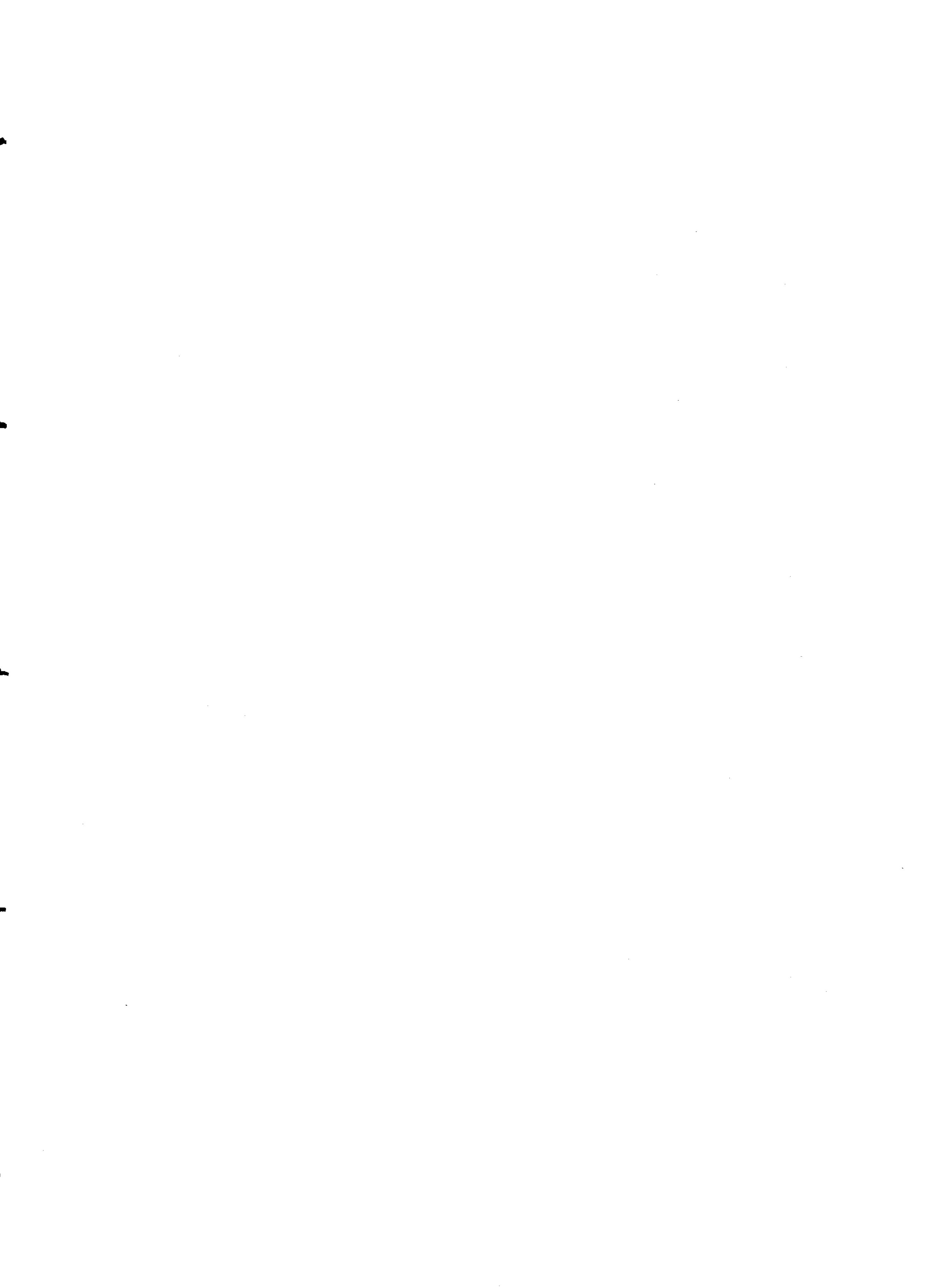
يدل على ذلك ما ذكره ابن كثير وغيره أن القعقاع لما أرسله علي إلى طلحة والزبير وعائشة وعرض عليهم الصلح قالوا له قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر قال فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح ،كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأرسلت عائشة الى على تعلمه أنها انمــا جاءت للصلح ففــرح هؤلاء وهؤلاء . . . إلى أن قال ثم بعث على الى طلحة والزبير يقول إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر فأرسلوا اليه في جواب رسالته إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس . فأطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين فلما امسوا بعث على عبد الله بن عباس اليهم وبعثوا اليه طليحة السجاد وبات الناس بخير ليلة . وبات قتلة عثمان بشر ليلة وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفى

رجل فانصرف كل فريق الى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم وقام الناس من منامهم الى السلاح . فقالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا . وبيتونا وغدروا بنا وظنوا أن هذا من ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال ما للناس فقالوا بيتنا أهل البصرة . فثار كل فريق الى سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر وكان أمر الله قدرا مقدورا .

صالح بن عبد الله المحيسن




مشكلات العصر
في
ضوء الإسلام



مسئولية التعليم

المنهج بين الماضي والحاضر

بقلم عبد الله قادري — عميد كلية اللغة العربية

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ،ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

« ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته،ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

أما بعد فان الله تعالى خلق الانسان في الارض ليكون خليفة فيها يقوم بعمارتها واصلاحها على أساس واحد ،وهو عبادة الله تعالى التي تشمل نشاط ابن آدم كله – روحيا أم عقليا أم جسميا – كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . .

والحصر المذكور في الآية حقيقي وليس اضافيا ولا ينافي هذا ما هو واقع من بعض البشر من أنهم لا يعبدون الله العبادة الاختيارية الشرعية كالوثنيين واليهود والنصارى والشيوعيين

كما أنه لا ينافي وجود عصاة من المسلمين يخرجون عن عبادة الله في بعض تصرفاتهم وما يقع من المسلمين من الاعمال التي لا يقصدون بها وجه الله من المباحات ، لأن

الله تعالى أراد من عباده – شرعا – أن يكون نشاطهم كله مبتغي به وجهه ، سواء كان فعلا – كالواجب والمندوب والمباح – أو تركا – كترك المحرم والمكروه – وهي الأحكام الخمسة المذكورة في كتب أصول الفقه ، ولا تخرج أفعال الانسان وتروكه عن هذه الأحكام

فاذا ابتغى الانسان بذلك كله وجه الله فقد حقق معنى قول الله تعالى : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » تحقيقا كاملا وان قصر في شيء من ذلك فقد قصر في شيء خلقه الله من أجله .

والتقصير الحاصل من المخلوق لا يؤثر في الحصر الحقيقى الذى أراده الخالق سبحانه وتعالى من عبده شرعا .

والنصوص الدالة على ان الله أراد من عبده أن يكون عابدا له في كل لحظة لا تحصى كثرة ، ومنها قوله تعالى : «قل ان صلاتي ونسكى ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وبدلا من سوق النصوص في وقت لايتسع لذكرها أنبه على قاعدة يمكن لمن عرفها – وما أقل العارفين لها – أن يفتح أى صفحة من صفحات كتاب الله ليجد أن الله تعالى يربط أصول الاسلام وفروعه به سبحانه فيقول في العبادة مثلا : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » واذا أمر بالاستعانة بالصبر والصلاة كما في قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » جعل نفسه مع من استجاب لأمره فقال : « ان الله مع الصابرين » وإذا أباح لعباده المؤمنين الطيبات من رزقه أمرهم بشكره كما قال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون » ورد على مبيحي الربا قياسا على البيع بقوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ثم قال بعد ذلك : « يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم » .

وهكذا لا يأمر الله بأمر أو ينهي عن شيء أو يمدح صفة أو يذم أخرى إلا ربط سبحانه ذلك به بأساليب متنوعة ، وعلى قارئى القرآن أن يتدبروا ذلك ويتأملوا في كثرة اسم الجلالة ، والرب أو غيرهما من أسماء الله ليعلم حق العلم أن كل حركة يتحركها العبد أو سكنة يسكنها في عمره كله ينبغي أن يقصد بها وجه الله تعالى ليحقق العبادة في عمره كله .

ومن الأمثلة الواضحة في ذلك من السنة النبوية ان الكلمة الطيبة صدقة، والابتسام في وجه المؤمن صدقة، وإتيان الرجل زوجته له فيه أجر، وترك المعصية لله بعد الهم بها حسنة، ومنها أنا أمرنا أن نذكر الله في كل حالاتنا » . « واذكروا الله كثيرا » « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله) ، وإذا بدأنا تناول الطعام ، أو فرغنا من تناوله، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند دخول المرحاض وعند الخروج منه ، وعند النوم والاستيقاظ منه ، وعند بدء السفر وعند العودة منه ، وعند لقاء الكفار في الحرب ، وفي ادبار الصلوات ، وغير ذلك مما لا يحصيه العد.

ولقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم من سلفنا الصالح هذا المعنى فكانوا يحتسبون عند الله كل أعمالهم ، كما قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : « والله اني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي » أى اني أرجو أن يكتب الله لي ثوابا على نومي لاني ابتغي به وجهه ، كما أرجو أن يكتب لى الاجر على قيام الليل كذلك .

وهذا االفهم الكامل هو ما دعا شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ان يعرف العبادة بقوله : « العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة » .

ويرتبط بهذا المعنى ارتباطاً كاملا أن يسعى العبد ـ الذى فهم هذا الفهم وطبقه في نفسه ـ حثيثا لدعوة غيره إلى ذلك حتى يكون ممن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وليخرج الناس من عبادة المخلوقين إلى عبادة الله وحده .

هذا المعنى الذى سبق الكلام عنه باختصار هو المحور الذى يجب أن تدور حوله جميع تصرفات المسلمين ومنها :

ـ التعليم :

ولا مجد للأمة الاسلامية ان لم يكن هذا المعنى هو محور أعمالها كلها (والعصر

ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

منطلق التعليم

اذا عرفنا ما تقدم فان التعليم يجب أن ينطلق لتحقيق ذلك الهدف العظيم وأن تصطبغ جميع مواده بالعقيدة الاسلامية والخلق الاسلامي ، وان يكون المسئولون عن التعليم من أكبر موظف إلى أصغر موظف ممن تحقق فيهم معاني : « لا إله إلا الله محمد رسول الله»
ولقد ربط الله أعظم مفتاحين للمعرفة ـ القراءة أو الكتابة ـ باسمه الكريم في أول الآيات نزولا على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، إيذانا بوجوب الالتحام بين المعارف والعلوم التي يستطيع الانسان أن يبلغها وبين عبادة الله سبحانه ، بل وامتن على الانسان بأن ما يعلمه انما هو من فضله تعالى وكرمه لامن عند نفسه وذلك يستوجب شكر الله تعالى ، قال عز وجل : « أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

والحديد الذى ملأ الأرض ببأسه ومنافعه ـ في هذا العصر بما لم يعهد له نظير في التاريخ ـ فيما نعلم ـ ربطه الله بكتبه ورسله ونصر دينه ، كما قال تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » .

وقد كان يمثل لمنافع الحديد عند نزول الآية الكريمة بالقصعة والابرة والفأس ونحوهما ، أما الآن فيصعب حصر أدوات منافعه ،كما كان يمثل لبأسه بالسيف والدرع ونحوهما وأين ذلك من بأس الحديد الآن .

وفي الآية الكريمة فوق كونها من أصرح الآيات دلالة على ربط العلوم والمؤسسات والمصانع بألوهية الله تعالى فيها فوق ذلك معجزة عظيمة من معجزات القرآن الكريم لهذه الاشارة بكلمات قليلة مشتملة على كل ما يمكن أن يخطر بالبال من منافع الحديد وبأسه .

وقد أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم الأجر لصانع السلاح والممد به كما أثبته لمن يباشر القتال به .

ومن هذا يتضح بأنه ينبغي أن تكون مدارس المسلمين ومعاهدهم وجامعاتهم محققة لهذا المعنى منجبة علماء مسلمين هدفهم الأول تحقيق العبودية للاله الواحد في ذات أنفسهم ، ثم دعوة غيرهم الى تحقيقها ، لا فرق بين متخصص وغير متخصص كلهم رجال دين وان لم يكونوا كلهم علماء دين بالمفهوم التخصصى ، كل منهم راسخ العقيدة ثابت الإيمان زكى الخلق عالم بما يجب عليه من عمل ، عضو عامل مجاهد داع الى الله ، لا فرق – في الأصل – بين مدرس وقاض وطبيب وسياسى واقتصادى وصانع. كل منهم يشعر وهو يؤدى عمله أنه يعبد الله ويحقق مع اخوانه الخلافة التى أراد الله منهم تحقيقها في الأرض . لا انفصام ولا تنافر ولا خلاف بل التحام وتعاون واعتصام يجسدون في الواقع معنى الأخوة :

(إنما المؤمنون اخوة) ومعنى التعاون : (وتعاونوا على البر والتقوى) (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

(واقع البشرية قبل المنهج الأقوم)

ولقد كانت أمم العالم قبل البعثة المحمدية – التى حملت أقوم منهج للبشرية كلها إلى يوم القيامة – في تيه وضياع . كانت كما وصفها الأستاذ الندوى في كتابه القيم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ». بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزا عنيفا فاذا كل شيء فيه في غير محله ، نظر الى العالم فرأى إنساناً هانت عليه انسانيته، رآه يسجد للحجر والنهر وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر .

رأى انسانا معكوسا قد فسدت عقليته فلم تعد تستسيغ البديهيات وتعقل الجليات وفسد نظام فكره فاذا النظرى عنده بديهي وبالعكس . يستريب في موضع الجزم ويؤمن في موضع الشك .

وفسد ذوقه فصار يستحلى المر ويستطيب الخبيث ويستمرىء الوخيم، وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم ولا يحب الصديق الناصح .

أرى مجتمعا هو الصورة المصغرة للعالم ، كل شيء فيه في غير شكله أو في غير محله ، قد أصبح فيه الذئب راعيا ، والخصم الجائر قاضيا وأصبح المجرم فيه سعيدا والصالح محروما شقيا ، لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف ، ولا أعرف من المنكر .

ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها إلى هوة الهلاك، رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان ، والخلاعة والفجور الى حد الاستهتار ، وتعاطى الربا الى حد الاغتصاب واستلاب الأموال ، ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهامة، ورأى القسوة والظلم الى حد وأد وقتل الأولاد .

رأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا وعباد الله خولا ، ورأى أحبارا ورهبانا اصبحوا أربابا من دون الله يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائفة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح فعادت وبالاً على أصحابها وعلى الانسانية. فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية والجود تبذيرا وإسرافا ، والأنفة حمية جاهلية والذكاء خديعة ، والعقل وسيلة لارتكاب الجنايات والابداع في إرضاء الشهوات .

رأى أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق ينتفع بها في هيكل الحضارة، وكألواح خشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة رأى الأمم قطعانا من الغنم ليس لها راع . والسياسة كجمل هائج على غاربه ، والسلطات كسيف في يد سكران يجرح به نفسه ويجرح به أولاده واخواته .

قلت : واذا كان الاستاذ الندوى نقل هذه الصورة الصادقة عن المصادر العلمية والتاريخية فان صورة العالم اليوم لا تختلف عن تلك الصورة إلا في أن صورة عالم اليوم ابتكرت لشره وبلائه وتحطيمه وسائل أكثر هدما وأسرع فتكا وأشد بريقا ولمعانا تزخرف وتنفذ بسرعة هائلة يصعب على المرء متابعتها حيث ينسى بلاء اليوم محنة الأمس .

ومصادرها الحس والمشاهدة ، ودليلها النتائج المدمرة . .

وأصبحت الذبابة نحلة

هل رأى أحد يوما الذبابة القذرة التى لا تعيش الا على العفن والأوساخ والتى

تنقل الأمراض المعدية الفتاكة المؤذية ، هل رأى أحد تلك الذبابة تحولت بذاتها إلى نحلة تنتقل من زهرة إلى أخرى تقطف من أكثرها طراوة وأحسنها رائحة ما تحوله في معملها العجيب الى عسل مصفى فيه شفاء للناس .

نعم والله لقد تحولت ذبابة قذرة مؤذية ، هي الجاهلية الكافرة التتنة إلى نحلة معطاءة إلى أمة إسلامية ،عمر بن الخطاب نفسه تحول إلى عمر الفاروق الذى ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجاً غيره . سمية الضعيفة تحولت إلى جبل أشم يقف أمام ابي جهل . مجتمع قريش الجاهل ، بل مجتمع الجزيرة العربية ، بل مجتمع العالم كله تحول من مجتمع خرافة الى مجتمع ايمان ، من مجتمع فوضى الى مجتمع نظام من مجتمع ظلم الى مجتمع عدل ، من مجتمع تائه ضائع بـلا غاية الى مجتمع هدفه رضا الله واخراج الناس من الظلمات الى النور بذلك السر العجيب منهج الاسلام الخالد: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبتلك القدوة الحسنة التي كان خلقها القرآن .

قال الاستاذ الندوى في كتابه السالف الذكر :

بهذا الايمان الواسع العميق ، والتعليم النبوى المتقن ، وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة ، وبشخصيته الفذة ، وبفضل هذا الكتاب السماوى المعجز الذى لا تنقضى عجائبه ولا تخلق جدته ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسانية المتحضرة حياة جديدة .

عمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناءها ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والاخلاد الى الأرض فأوجد فيها باذن الله الايمان والعقيدة . وبث فيها الروح الجديدة وأثار من دفائنها ، وأشعل مواهبها ، ثم وضع كل واحد في محله فكأنما خلق له ، وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظر ويتطلع إليه ، وكأنما كان جمادا فتحول جسما ناميا وإنسانا متصرفا ، وكأنما كان ميتا لا يتحرك فعاد حيا يملي على العالم ارادته ، وكأنمـا كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدا بصيرا يقود الأمم « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » . . اهـ .

ان السعي لتحقيق هذه القمة الرفيعة فرض على الأمة الاسلامية لتأخذ زمام البشرية مرة أخرى وتقودها إلى شاطىء السلامة والأمان بنور هذا الدين الحنيف ولا يمكن

تحقيق ذلك الا بالتزام المنهج الذى التزم به الجيل الرائد وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبالقدوة المربية المقتدية بذلك الامام الخاتم عليه الصلاة والسلام .

أنواع العلوم وحكمها من حيث المنهج

تنقسم العلوم كلها الى قسمين رئيسين :

– علوم انسانية: تتعلق بالانسان نفسه – باعتقاده وخلقه ونظام حياته وصلته بخالقه وبالكون من حوله ، وبمعاده .

وهذا العلم يجب أن ينبثق منهجه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى أعلم بخلقه وبالمنهج الذى يصلح لهم فدروب النفس ومنحنياتها لا يعلمها الا بارئها ، اذ الإنسان الذى يفتخر بعلمه المادى في هذا القرن ما زالت معرفته بنفسه بدائية (كما يقول القسيس كاريل أحد علماء الغرب البارزين) .

ولعلم الله تعالى بما يصلح للنفس يأمرها بالاقدام على ما تكره ويأمرها بالاستسلام له ، لأن ما يأمرها به فيه الخير وان بدا لها في الظاهر أنه شر مكروه ، كما قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . وهو المبرأ سبحانه وتعالى من الظلم فلا يخشى أحد أن يظلم بسبب منهجه تعالى بخلاف البشر « يا عبادى إني حرمت على نفسى الظلم وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

كما يجب ألا يتلقى المسلم هذا العلم الا من عالم مسلم ، والأصل في المسلم أن يكون أمينا مستوعبا لما يلقيه على طلبته خوفا من المسئولية أمام ربه كما قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

وينقسم هذا العلم أيضا الى قسمين :

فرض عين وهو الذى يجب على كل فرد تحصيله ليصح تصوره لما أراد الله منه ، كالعلم بالله ، وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبأركان الإسلام ، وبتفاصيل العبادات التى يجب أن يتقرب بها الى الله تعالى ، وأمور الحلال والحرام في المعاملات التى يزاولها في أسرته ومع جيرانه ونحو ذلك .

وفرض كفاية وهو العلم الذى لا يطلب من جميع أفراد المسلمين بل يجب أن يكون فيهم من يعلمه فاذا وجد العدد الكافي الذى علم هذا العلم سقط عن باقيهم كالقضاء والافتاء ونحوهما .

ـ النوع الثاني من العلوم :

ـ العلوم الكونية ، كالصناعة والزراعة والتجارة والطب والكيمياء والفيزياء وغيرها من المهن المختلفة التي تعتبر ضرورية أو محتاجا اليها وهذه العلوم فرض كفاية يجب أن يوجد من أفراد المسلمين من يجيدها ليتمكنوا من الاستغناء بهم عن أعدائهم وليعدوا للعدو العدة المأمور بها كما قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » لأن الحاجة إلى العدو تفتح عليهم أبوابا من الضرر لاتحصى من افساد عقيدتهم وأخلاقهم وجعلهم أذلاء للأعداء لا يقدرون على تصريف شئونهم الدينية والدنيوية كما هو واقع المسلمين في هذا الزمان ، وهذا ما حرص عليه أهل الغرب ـ أى أن يبقى المسلمون محتاجين إلى علوم الغرب وصناعاتهم ، ولذلك أغرقونا بصناعاتهم لا سيما الكمالية منها حتى لا نفكر في اشتغالنا بالصناعة فيكون ذلك هدما لحضارتهم إذ أن المسلمين يملكون ركيزة الحضارة الحقة وهي الدين الذى لم يبق دين حق سواه ، فاذا اجتمع الحديد والكتاب حق على الكفر الذل والدمار وفات عليهم أن يسودوا العالم وان يستغلوا ثرواته .

ولنستمع في هذا المعنى إلى ما قاله أحد الساسة الفرنسيين في منتصف هذا القرن : « ان العالم الاسلامي يقعد اليوم فوق ثروة خيالية من الذهب الأسود والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحديثة ولكنه في حاجة إلى الاستقلال في استغلال هذه الامكانيات الضخمة الكامنة في بطون سهوله وجباله وصحاريه ،انه ـ يعني العالم الاسلامي ـ في عين التاريخ عملاق مقيد لم يكتشف نفسه بعد اكتشافا تاما ، فهو حائر قلق كاره لماضيه في عصر الانحطاط راغب رغبة يخالطها شيء من الكسل أو بعبارة أخرى من الفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر .

فلنعط هذا العالم ما يشاء ولنقو في نفسه عدم الرغبة في الانتاج الصناعى والفني ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور

بعجزه عن مجازاة الغرب في الانتاج فقد بؤنا بالاخفاق الذريع وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الاسلامية الضخمة خطرا داهما يتعرض به التراث الحضارى الغربي لكارثة تاريخية ينتهى بها الغرب وتنتهي معه وظيفته القيادية » . اهـ .

والأصل أن يتلقى المسلم العلوم الكونية من مسلم ارتبط علمه بعقيدته ، فاذا لم يوجد العالم المسلم الذى يغنى المسلمين عن التلقى على أيدى الكافرين فان أخذ العلم عنهم عندئذ متعين ولكن ليس لكل فرد من أفراد المسلمين أن يكون ذلك المتلقي بل الواجب ان يختار الأفراد الذين لا يخشى عليهم من دسائس الكافرين وشبهاتهم ممن أعدوا اعدادا خاصا في تصورهم الصحيح للاسلام وربوا تربية ايمانية ثابتة ودربوا على السلوك الاسلامى حتى أصبح يسرى في أرواحهم ودمائهم ويجب أن يتلقوا فقط العلوم الكونية البحتة وألا يتلقوا شيئا من الجوانب الاعتقادية أو الأخلاقية أو التشريعية أو الاجتماعية ، وأن يكونوا عالمين أن تلقيهم عن هؤلاء الأعداء انما هو من باب الاضطرار كأكل الميتة يقدر بقدره فاذا أصبح في استطاعة المسلمين الاستغناء بعلمائهم كان لزاما عليهم بذل جهودهم لتعليم أبنائهم تعليما يفوقون به أعداءهم حتى يحققوا أمر الله عز وجل :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وهذا هو السبيل الذى سلكه المسلمون في العصور الفاضلة عصور الفتح والعلم والقيادة التي كانت أوروبا في حينها في عصورها المظلمة المسماة بالعصور الوسطى التى يخطىء بعض الكتاب من المسلمين بل الراجح أنهم يتعمدون أن يطلقوها على تلك العصور النيرة للمسلمين زورا وبهتانا .

أقول لقد سلك المسلمون هذا المسلك العظيم فاطلعوا على العلوم الموجودة في عهدهم وكانت مطوية في الكتب التى تدرس نظريا وتشرح وتترجم وتختصر فقط فحولها المسمون الى علوم تجريبية تطبيقية في فترة يسيرة من الزمن فأصبحوا أساتذة العالم وموجهيه يفد إليهم طالبو المعرفة من كل مكان والسر في ذلك ما سبق من اعتبارهم كل عمل يعملونه عبادة تقربهم إلى الله . ولقد عرف أعداء الاسلام هذا السر الذى قفز بالمسلمين في فترة قصيرة من رعاة إبل حفاة جهال متباغضين الى قادة للعالم حكماء كأنهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ولنستمع إلى المستشرقة الألمانية زغريد هونكه ـ إذ تقول في كتابها المشهور «شمس العرب تسطع على الغرب» : وهكذا فان لعلم الفلك لدى المسلم معنى دينيا عميقا فالنجوم ومدارها والشمس وعظمتها والقمر وسيره لبرهان ساطع على عظمة الله وقوته، الخالق الذى جاء باسمه النبي العربي مبشرا به خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور العليم بما في الصدور» ا هـ .

وقالت في الصفحة التالية : «ولن ننسى في هذا المجال أن نذكر عامل الزمن وتحديد أوقات الصلاة والصوم إذ أن كل مؤذن كان بحكم مهنته عالماً فلكياً صغيراً له معرفة علمية بعلم تحديد الأوقات ، فهو مضطر أن يفهم كيف يدير الأشعة ليتمكن من تحديد موعد الأذان خمس مرات يومياً وهو مسوق أيضاً للقيام بحسابات دقيقة لمعرفة أوقات ظهور القمر أول شهر رمضان وفي نهايته ، وعليه كذلك أن يحسب مواعيد غروب الشمس وشروقها لتحديد مدة الصيام وموعد الافطار وليس هذا كل شيء فحسب بل إن كسوف الشمس وخسوف القمر كان يجرى حسابها نظراً لما لها تين الظاهرتين . . من تأثير خارجى على بعض الفروض الدينية بالإضافة إلى تعيين اتجاه مكة المكرمة حيث القبلة التى يولى المؤمن وجهه قبالتها كلما أراد أن يصلى ، إذن فقد كان اهتمام المسلمين بمظاهر السماء ضرورياً للغاية ، بل قل أكثر ضرورة من الغذاء اليومى نفسه ، لذلك تهافتوا ـ كالأطفال «هكذا» ـ إلى كل ما يمكن أن يزيدهم علماً ومعرفة ولم يمض وقت طويل حتى أصبح علم الفلك أقرب حقل علمى إلى نفوسهم» ا هـ .

واقع المسلمين اليوم

تلك كانت حالة المسلمين عندما كان المنبع الذى يرتوون منه صافياً لم تشبه شائبة، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعندما كان المسلم يتلقى العلم للعمل والتطبيق لا لمجرد الشهرة أو المباهاة وعندما كان الداخل في الإسلام لا يلج بابه إلا بعد خلع الجاهلية في قوله وفعله واعتقاده فكان المحافظ على الصف الأول في الصلاة هو المحافظ على الصف الأول في المعركة ، وكان حامل المصحف ليقرىء الناس هو حامل اللواء ليقود الناس .

ثم مــاذا . .

ثم طرأ بعد ذلك ما طرأ على منهج التلقى ، فاقتحمت عقائد اليونان أبواب الدولة الإسلامية في فلسفاتهم التى دخلت على أساليب علماء المسلمين ومصطلحاتهم ،وخرافات الهند وفارس وطقوس النصارى التي علقت بعبادة الصوفيين ثم استحكم التقليد المذهبي في الفقه الإسلامى وركود في مكانه .

ودب الخلاف بين المسلمين في الأصول والفروع وتفضيل هذا المذهب على ذاك حتى ابتعد الناس عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانطفأت جذوة العاطفة وخيم الجحود .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الجمود لم يطــرأ على المسلمين إلا عندما توقف الفتح الإسلامى الذي كان قد وصل إلى حدود الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً وإلى حدود فرنسا في أوروبا ، والذي كان الفقه الإسلامي يتصاعد بتصاعده .

وتبع ذلك خلود إلى الأرض وكسل في العمل وقعود عن معالي الأمور فانحط العالم الإسلامي انحطاطاً اختلت به الموازين وتقدم ركب البشرية غير قائده فسلك بها دروب الهلاك وأوقعها في شباك الردى .

نقلت أوربا علوم المسلمين في معاهدهم وجامعاتهم بالأندلس ، ونقلتها كذلك عندما اصطدمت بهم في الحروب المسماة بالصليبية لمدة قرنين من الزمان ، وقد كان أهل أوربا بعيدين كل البعد عن العلوم التجريبية إذ كانوا يدرسون العلوم دراسة نظرية تشككهم في معلوماتهم الكنيسة في كل ما يخالف تعاليمها المنسوبة إلى الله زوراً وبهتاناً ولكنهم بعد أن تتلمذوا على يد المسلمين وجنوا بعض ثمار تلك العلوم لم يعودوا يأبهون بمزاعم الكنيسة أو يقبلونها بل صمدوا ضدها رغم القهر والاعتساف والتهديد حتى هزموها في نهاية المطاف ولم تعد منح الدنيا والآخرة معاً أو منعها من أحد .

وبنقل أوربا تلك العلوم من جامعات المسلمين نبتت نواة حضارتها المادية وكانت قبل ذلك تغط في نوم عميق من التأخر والوحشية ، ولنستمع إلى شهادة أحد أبنائها من أعداء الإسلام قال : غوستاف لوبون في كتابه ـ « حضارة العرب » : « ظهر مما تقدم أن تأثير الشرق في تمدين الغرب كان عظيما جداً بفعل الحروب الصليبية وأن

ذلك التأثير كان في الفنون والصناعات والتجارة أشد منه في العلوم والآداب وإذا ما نظرنا إلى تقدم العلاقات التجارية العظيم باطراد بين الغرب والشرق وإلى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النمو في الفنون والصناعة تجلى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا من التوحش وأعدوا النفوس إلى التقدم بفضل علوم – العرب وآدابهم التي أخذت جامعات أوربا تعول عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات يوم » اهـ .

وبهذا الانبثاق المبني على عداء الكنيسة لتلك العلوم بدأت أوروبا نهضتها على أساس فصل الدين عن العلم ، فلا يعمل في المصنع ما يعمل في الكنيسة ولا يفكر المتعبد في الكنيسة بأمور المصنع ، أى إما علم بلا دين وإما دين بلا علم ؛ فابتعدوا عن الله ابتعادا سبب الفساد المنتشر في الأرض ، وهو ينذر بالدمار والهلاك .

قال سيد قطب رحمه الله في كتابه : « في ظلال القرآن » : والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد زائغ عن مصدره وعن هدفه لا يثمر سعادة لصاحبه ، ولا للناس إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار ؛ لأنه انقطع عن مصدره وانحرف عن وجهته وضل طريقه إلى الله . ولقد انتهت البشرية اليوم إلى رحلة جيدة من مراحل العلم بتحطيم الذرة واستخدامها ، ولكن ماذا جنت البشرية اليوم من مثل هذا العلم الذى لا يذكر أصحابه الله ولا يخشونه ولا يحمدون له : ولا يتوجهون بعلمهم إليه ؟ ماذا جنت غير الضحايا الوحشية في قنبلتي هيروشيما وناجازاكي وغير الخوف والقلق الذي يؤرق جفون الشرق والغرب معاً ويتهددهم بالتحطيم والدمار والفناء » .

وعلى هذا الأساس جد الغربيون في الاكتشاف والتجربة وظهرت ثمار جدهم المادية بسرعة هائلة أذهلت المسلمين الذين كانوا هم يغطون في نوم عميق هذه المرة ، ففتحوا أعينهم على مصانع الأرض وهى توزع على العالم إنتاجها وآلاتها النافعة في السلم والحرب . كما فتحوا أعينهم على أنظمة إدارية متقنة تقل فيها الفوضى ، وأنظمة سياسية يتقلص فيها الاستبداد وتجسم فيها الديمقراطية التي فيها نوع من الشبه بالشورى في الإسلام ، فانبهروا لما رأوا وندموا على ما أضاعوا من الوقت وانجلي أمام أعينهم ما هم فيه من التأخر عن ركب التقدم المادي الذي أحرزه الغرب فتاقت نفوسهم للحاق بالركب الحضاري المادي فتعالت الصرخات للحث على الأخذ من تلك العلوم التي أحرز الغرب تقدماً فيها . فنادت فئة بأخذ ما عند القوم على علاته ما يتصل

بالجانب الإنساني من عقيدة وقانون وأخلاق ، وما يتصل بالجانب الكوني . وعارضتها فئة أخرى معارضة كاملة تدعو إلى الابتعاد عن الغرب وعلومه خشية من انحراف المسلمين إلى عقائد الكفار وأخلاقهم ونادت فئة أخرى إلى أخذ الصالح النافع الذي لا يعارض الإسلام ، وهو الجانب الكوني فقط مع الحذر من عقائدهم وسلوكهم وليت هذه الفئة انتصرت على الفئتين الأخريين إلاأن الأولى متطرفة تدعو إلى فتح الباب على مصراعيه لكل شر وبلاء والثانية – تدعو إلى غلقه مطلقاً ، وهو أمر غير ممكن وخير الأمور أوسطها .

ولقد أراد الله أن يكون الصوت المسموع هو صوت الداعين إلى التغريب المطلق ، لأن العوامل والسنن كانت في جانب هذا الصوت المشئوم ، إذ تفشى الجهل في الشرق الإسلامى ، وانتشرت الأمراض والأوبئة ، وخيم الفقر المدقع وهذا ثالوث خطير لا تطيق البشرية عليه صبراً وأى داع يرفع صوته للقضاء على هذا الثالوث يعتبر منقذاً عند جماهير الناس في مثل هذه الحال خصوصاً إذا كانت ثمار دعوته قد أينعت وقطفت بعض أزهارها وذاق الناس طعمها كما هو الحال في الغرب آنذاك ، إذ انتشرت المدارس والمعاهد والجامعات وأسست المستشفيات ودور الأيتام ، وطارت أسراب الحديد في السماء تنهب الجو نهباً ، ومخرت الفلك العملاقة عباب المحيطات وشقت الطرقات المعبدة التي تعاونت مع السيارات على طى المسافات البعيدة في وقت قصير وطاولت القصور الشاهقة السحاب في السماء ، وتلألأت الأنوار الكاشفة في المنازل والشوارع فأصبح الليل كالنهار ، وغير ذلك مما لا يحصيه العد .

فانطلقت جموع أبناء المسلمين إلى مدارس الغرب التي أنشأها المستعمرون في البلاد المستعمرة ، كمصر ودول شمال أفريقيا، ولبنان وسوريا والعراق وأندونيسيا والهند وغيرها ، كما هرعوا إلى جامعات الغرب في أوروبا وأمريكا ، وكانت قلوبهم خاوية من عقيدة الإيمان وعقولهم خالية من علوم الإسلام ، وصلتهم بالله مبتوتة فتلقتهم تلك المدارس والجامعات بمناهج معدة إعداداً يحقق أهداف الكفر ، وهى اقتلاع ما بقي من أثر للعقيدة الإسلامية في قلوبهم بالشبهات وإفساد سلوكهم بالشهوات ، كالزنا والخمر والنوادى الفاسدة والمسارح والأفلام السينمائية وغيرها .

وملء قلوبهم بالعقائد الفاسدة وعقولهم بالأفكار المنحرفة ، ثم شغل أوقاتهم في

غير ما وفدوا من أجله من تعلم العلوم والمعارف حتى يتخرجوا جهالا بالعلم الذي تخصصوا فيه في صورة علماء به حتى لا تستغنى بهم بلادهم بل تبقى دائما في حاجة إلى المستعمرين فيعود الدارس ممسوخ العقيدة والسلوك والتخصص .

وإذا حصل شذوذ في هذه القاعدة فبرز أحدهم في تخصصه أغروه بشتى المغريات ليبقى في بلادهم وما أكثر العقـول التي حالوا بينها وبين العودة إلى بلادها وإذا أفلت منهم أحد هؤلاء النوابغ فرجع إلى بلاده لم يجد فيها الإمكانيات المناسبة لاختصاصه فيعود ميمما شطر المغرب ، وقد يجازى في بلاده جزاء سنمار فيودع في المعتقل أو يوضع في وظيفة تعتبر إهانة له ولتخصصه .

لهذا بقيت الشعوب الإسلامية مفتقرة لاستيراد الإبرة كالطائرة مع أن كثيراً من أبنائها يحملون أرقى الشهادات الغربية التي يعتبرونها مفخرة من مفاخر التاريخ .

والقليل الذي يبذل جهده في اختصاصه حسب الإمكانيات المتاحة يعتبر نفسه من ذوى العلم الذي لا ينبغي أن يمت إلى الدين بصلة كما هي طبيعة أساتذته في الغرب الذين فصلوا العلم المادي عن الدين لأن دينهم المحرف لم يقبل الانسجام مع العلم بل لم يقبل المصالحة معه فسووا بين الدين المسيحي المحرف وبين الدين الإسلامي الذي نزلت أول آياته بأعظم مفتاحين للمعرفة وهما القراءة والكتابة ، كما قال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم » وهو تقليد أعمى يفوق تقليد القرود ، وظلم عظيم يسوى بين النور والظلام

لذلك ابتليت الأمم الإسلامية بسرطان الغرب في أبنائها الذين رجعوا حرباً على كل قيمة وخلق . ابتليت بمن حارب العقيدة الإسلامية والخلافة الإسلامية ولغة القرآن فأحلوا العقائد الكافرة محل الإيمان والقوميات والشعوبية الممزقة محل الخلافة الجامعة وولى المسلمين ساسة من تلاميذ الغرب جروا شعوبهم بالقوة إلى الإلحاد والكفر وصرح كثير منهم بكفره دون خجل .

كما ابتليت الأمم الإسلامية بموجهين وضعوا مناهج للتعليم مشتملة على نظريات الكفر والتحلل منفذين تعاليم أسيادهم من اليهود والنصارى والشيوعيين ، وحاربوا

أى منهج نابع من عقيدة المسلمين ، وأقصوا كل من شموا منه رائحة التوجيه إلى هذه العقيدة .

كما وضعوا لأجهزة الإعلام مناهج قصد منها مسخ أبناء الإسلام مسخاً يصعب معه تربيتهم على الهدى والخلق الكريم وإن ساعة واحدة من بعض هذه الأجهزة الموجهة ضد العقيدة والأخلاق لجديرة بتحطيم أخلاق شعب بأكمله أو اضعافها لا فرق بين مدني وبدوي لأنها في متناول الجميع .

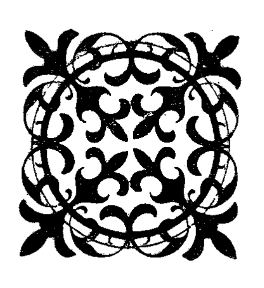
كما ابتلى المسلمون بأفواج من حملة الشهادات القانونية متخرجين في كليات الحقوق من قضاة ومحامين تعلقت قلوبهم بالتشريع البشرى وأصبح عندهم أفضل من تشريع الله صاغوا للشعوب قوانين الغرب بل صاغوها في الحقيقة لحماية حكام تلك الشعوب وتحت ضغط توجيههم فكانوا وبالا على العدل .

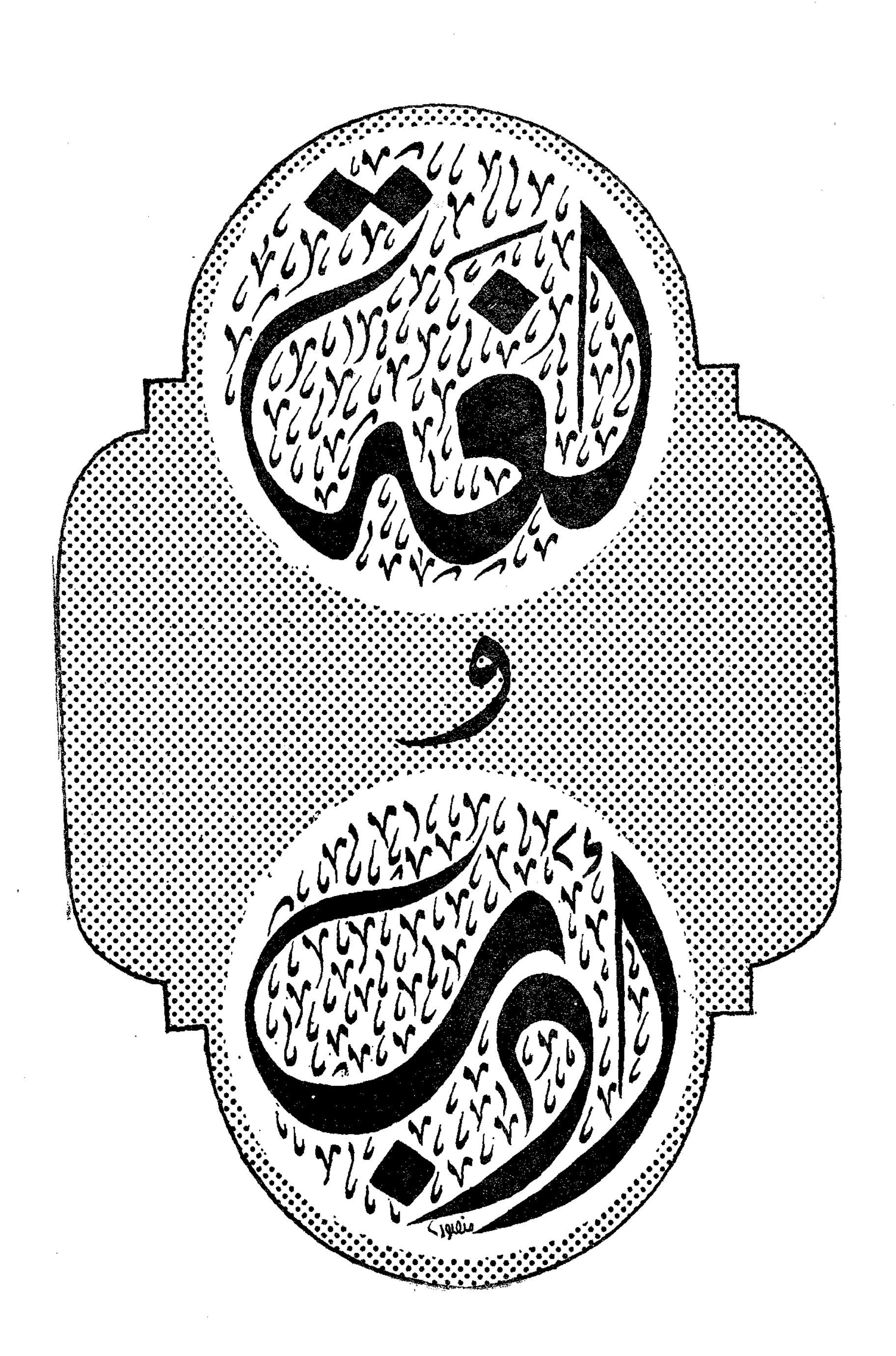
كما أخرجت لنا المدارس والمعاهد والجامعات طوابير من نوع آخر هم المغنون والمغنيات والراقصون والراقصات والممثلون والممثلات أفسدوا الشعوب إفساداً وكأن تلك الشعوب في حاجة إلى أمثال هؤلاء ليحرروا بهم بلادهم من العدو الدخيل .
ومن العجيب حقاً – وعجائب الشاردين عن الله لا تنقضى – أن يعلو قدر هؤلاء الساقطين لدى أكثر كبارقادة الشعوب الإسلامية فيغدقون عليهم الجوائز ويسخرون لهم أجهزة الإعلام لبث عارهم وفسادهم في أغلب الأوقات . وإذا مات أحد هؤلاء السفلة جندت لإشهار موته أجهزة الدولة للمشاركة في موكب جنازته الذى يوحى لمن رآه وقد تقدم الموكب كبار رجال الدولة من السياسيين والعسكريين أن هذا موكب بطل من الأبطال الذين سجلوا في صحائف التاريخ طول حياتهم أروع البطولات . مع أنهم كانوا السبب في القضاء على البطولة والحد في الشباب .
هذا في حال أنك ترى البطل الشجاع الذى نذر حياته لإنقاذ شعبه من الظلم والمذلة يوارى جثمانه في ظلمة الليل في قطعة من الأرض مجهولة قد لا يراه أقرب المقربين إليـــه .

وإذا ذكر في أجهزة الإعلام فانما يذكر بصفات منفرة وألقاب قذرة توحي للسامع أو القارىء أنه عدو للشعب يسعى إلى إفساده جرياً على قاعدة فرعون وإخوانه « ما أريكم إلا ما رأى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

وبذلك يعمق في نفوس الشباب حب الهزل والميوعة لأنهما أعلى درجة وأذكر في الناس من الاتصاف بصفات المجاهدين المغمورين المشوهة سمعتهم بين الناس على مستوى الدولة وعلى أوسع نطاق .

وعلى هذا المنوال صارت المحاضن التي أشرف على مناهجها المستعمرون في بلاد المسلمين ، بله المحاضن الغربية نفسها فانها لم تخرج في الغالب إلا أعداء للدين الإسلامي على اختلاف تخصصاتهم وأعمالهم الوظيفية . وقليل من نجا منهم . فانقلبت بذلك الموازين والقيم حتى صار الحق باطلا والباطل حقاً .




لغة
و
أدب



بقلم الدكتور علي البدري الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية - كلية اللغة العربية والآداب

الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل . . من بني عدى بن كعب بن لؤى .

كناني قرشي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجد الثامن « كعب بن لؤى » . . وهو خطيب قريش في الجاهلية . .

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة . فهي ابنة عم كل من أبي جهل . وخالد بن الوليد رضي الله عنه . . وشارك عمر خاله المشرك أبا جهل في هيبة قرشية دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحد العمرين .

واستجيبت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان الفاروق رضى الله عنه ثاني رجلين هما أحب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

كان الفاروق طويلا مهيبا . كأنه راكب والناس يمشون . ولونه يميل إلى الأدمة والشقرة، كما وصفه بذلك أولاده . وكانت سنه أصغر من سن الرسول صلى الله عليه وسلم بستة عشر عاما كان قوى الحجة محبا للحق. مرهف الحس رائع البيان .

أسلم في السنة السادسة للبعثة بعد أربعين مسلما تقريبا . وضربه المشركون لإسلامه وضربهم ورد على أبي جهل جواره .

وفرق الله تعالى باسلام عمر بين الحق والباطل . وكان الجهر بالدعوة . ثم هاجر علناً . يقول على : لما هم عمر بالهجـرة تقلد سيفه ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها . فطاف بالبيت سبعاً . ثم أتى المقام فصلى متمكناً . ثم مر على الملأ ، وقال : شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه ، ويؤتم ولده وترمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى . ! ! (١) .

قال : فما لقيه أحد منهم . ، ويقول ابن مسعود رضى الله عنه :

كان إسلام عمر فتحاً . وكانت هجرته نصراً . وكانت إمارته رحمة . ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى في البيت حتى أسلم عمر . . وقال حذيقة رضى الله عنه :

لما أسلم عمر . كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً . فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً (٢) .

وشهد الفاروق جميع الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكثيراً ما نزل القرآن برأيه . ! ! ونشير إلى ذلك على سبيل المثال لا الحصر .

من ذلك إشارته على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقتل المشركين أسرى يدر وشبهه النبى يومئذ بنوح إذ قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » (٣) ثم نزل آيات سورة الأنفال برأى عمـر وذلك قوله تعالى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » (٤) .

وعمر رضى الله عنه هو الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم . بأن يأمر نساءه بالاحتجاب عن الناس جميعاً ونزل بعد ذلك قوله تعالى . . . « وإذا سألتموهن متاعا فاسألواهن من وراء حجاب (٥) .

ويوم وفاة ابن أبى . قال الفـاروق للنبى صلى الله عليه وسلم : أتصلى عليه وقد

---

(١) الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل ص ٢٣ .

(٢) تراجم أدبية للأستاذ السباعى بيومى ص ٦ ، ٧ .

(٣) سورة نوح الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) الأنفال آية ٦٧ . ومابعدها .

(٥) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

قال يوم كذا : كذا وكذا وكذا يشير إلى قوله : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وما نحن وهؤلاء إلا كما قال القائل. سمن كلبك يأكلك .

ثم نزل قوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (١) .

ولما اختلفت عائشة وحفصة رضى الله عنهما نزلت آية « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » (٢) .
مؤيدة لرأى عمر رضى الله عنه .

ويوم حديث الإفك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أترى ربك قد دلس عليك في زواجها ! ! ثم قال . « سبحانك هذا بهتان عظيم » . ونزلت آيات سورة النور ببراءة عائشة رضى الله عنها .

ولما سمع قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . . الخ الآيات .
قال عمر بعدها : فتبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكاتب الوحى . . يومئذ هكذا نزلت فاكتبها .

وهكذا نرى القرآن الكريم كثيرا ما ينزل برأى عمر رضى الله عنه .
هذا وقد ندبه رسول الله صلى الله عليه وسلم للرد على المشركين يوم أحد وقد قال أبو سفيان : « يوم بيوم بدر والحرب سجال : اعل هبل » .

فرد عليه عمر : الله أعلى وأجل . لا سواء . قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .
ثم سأله أبو سفيان . هل قتل محمد صلى الله عليه وسلم . فلما أجابه قال : أنت أصدق عندى من ابن قميئة وأبر(٣) .

وكان دور الفاروق واضحا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد وفاته قال للصديق رضى الله عنهما « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة .

---

(١) سورة التوبة آية ٨٤ .

(٢) سورة التحريم آية ٥ .

(٣) السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الحلبى ج ٣ ص ٤٩٥ .

قصدا إلى تولية هذا الأمر سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومنكم أمـــير .

وجاء الشيخان ومعهما أمين هذه الأمة أبو عبيدة . فتكلموا يومئذ . وقال عمر : بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن . والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم . والعرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم

وهكذا يقطع الفاروق رضى الله عنه الشك باليقين . في أسلوب يفيض بلاغة وبيانا وبايع الناس أبا بكر رضى الله عنهم جميعا .

وبعد وفاة الصديق سمع الفاروق أناسا يفضلونه عنه . فأبى ذلك ثم قال : لولا موقف أبي بكر يوم الردة ومنع الزكاة ، لردت إلى التاريخ دولة المسلمين .

وعندما تولى الخلافة رضى الله عنه قال في بلاغة وتواضع :

ما كان الله ليراني أرى نفسى أهلا لمجلس أبي بكر ثم نزل عن مجلسه مرقاة ثم قال : . . أيها الناس إني قد وليت عليكم . ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم . وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم . ما توليت ذلك منكم . ولكفى عمر مهما محزنا انتظار مواقف الحساب بأخذ حقوقكم ووضعها في مكانها . فربي المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده .

وهذا أسلوب سهل مطبوع لا التواء فيه ولا غموض . ولا هو بالمتكلف الممجوج .

وقديما قال النقاد : إن خير القول ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك (١)

ويقول الجاحظ : أحسن الكلام . ما أغناك قليله عن كثيره . وما كان معناه في ظاهر لفظه . فهو الذى يصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة .

وعلى هذا النمط رأينا عمر يقول لقواد المسلمين : اسمعوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشركوهم في الأمر ولا تجهدوا مسرعا فإنها الحرب والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف .

---

(١) العمدة لابن رشيق ط ١٩٢٥ ص ٢٣ ج ١

وقال لسعد بن أبي وقاص : ترفق بالمسلمين في مسيرهم . ولا تجشمهم سيرا يتعبهم .. حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم . وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم . ولا يخف عليك أمرهم . وليكن عندك من تطمئن إلى نصحه وصدقه . فإن الكذوب لا ينفع خبره وإن صدقك في بعضه . والناس عين عليك وليس عينا لك . ولا تبعثن سرية ولا طليعة في وجه تتخوف منه غلبة أو ضيعة أو نكاية . فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك . واجمع إليك مكيدتك وقوتك . ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله . وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . . فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها . كما ابتلوا بالصبر عليها . فما صبروا لكم فتولوهم خيرا . ا هـ .

وكان يقول للمجاهدين . قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدو إن الله لا يحب المعتدين . ولا تمثلوا عند القدرة ولا تجبنوا عند اللقاء . ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات .

وبهذه الدراية الواسعة بالحرب فتح الفاروق العراق والشام ومصر وأرمينية وكل امبراطورية فارس حتى قيل أن الرقعة التى فتحها لو تمت لعشرة خلفاء في عشرة أمثال خلافته لعدوا من الفاتحين . وكانت توجيهاته مصوغة بعبارات مسبوكة محبوكة ملؤها البلاغة وسحر البيان .

وفي صيانته للأسرة المسلمة نراه يقول لرجل أزمع الطلاق لأنه لا يحب زوجته : ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب فأين الرعاية وأين التذمم(۱) .

وهكذا تبدو توجيهاته السديدة في الأمور الصغيرة والكبيرة .

وكان جزاؤه على الله تعالى . فقد كان راتبه اليومى درهما وربع درهم . فقالت

---

(۱) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب جـ ۲ ص ٦۲۱ ط دار الشروق .

له أمرأته يوما إنها ادخرت ربع الدرهم ثم اشترت قميصا . فصادر ثمن القميص وخفض راتبه اليومى إلى درهم فقط .

كان الفاروق رضى الله عنه يقول للمسلمين منتهزاً فرصة الحج . . يا معشر المسلمين: إنا لم نبعث عمالنا إليـكم ليضربوا أبشاركم . ويأخذوا أموالكم . ولكن بعثناهم ليعلموكم ويخدموكم فمن فعل يه شيء سوى ذلك فليرفعه إلى . فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه فقال ابن العاص : حتى وإن أدب رعيته ؟ فقال الفاروق : إى والله لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله علية وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم . ولا تجمروهم فتفتنوهم . ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم .
وقال لعمرو في موطن آخر . . متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا(١) .
وهكذا شفى الفاروق رعيته من كثير من عيوبها .

وعندما اعترضت عليه امرأة بحق . قال على ملأ من الناس : أصابت امرأة وأخطأ عمر ! !
وهذا لا يكاد يصدر عن مسئول في دنيا الناس . إلا متأدبا بأدب الإسلام .
وقال في عبارات أخاذة بالألباب : لو أن جملا هلك ضياعا بالعراق لخشيت أن أن يسألنى عنه ربي . . .

وكان الفاروق رضى الله عنه فطنا كيسا واعيا لأسرار الله في كونه . فقد ظل أكثر من عشرة أعوام خليفة للمسلمين يخطب الجمع والأعياد وغيرها .
وكانت رسائله الصادرة في دولة مترامية الأطراف تفيض بالحكم والأمثال جارية بين طرفي الإيجـاز والإطناب . وكانت بلاغته واضحة لا لف فيها ولا دوران وكان لا يجنح إلى الإطناب إلا إذا اقتضاه المقام . ومن ذلك رسالته في القضاء التى قال فيها للقاضى .

آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك . حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . . ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل . . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد . أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٤١ وعبقرية محمد للعقاد ص ٨٧ .

وإياك والضجر والتأفف بالخصوم والتنكر عند الخصومات . . ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام(١) .

وكتب إلى معاوية في القضاء أيضا يقول له :

. . أدن الضعيف حتى يشتدقلبه وينبسط لسانه . وتعهد الغريب. فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ورجع إلى أهله . وإنما ضيع حقه من لم يرفق به . .

وكتب إلى شريح يقول له : . . لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع في مجلس القضاء ولا تقضين بين اثنين وأنت غضبان(٢) .

وهكذا ترى أسلوبه رضى الله عنه مترددا بين الإيجاز والأطناب والمساواة . وأساليبه فطرية مطبوعة وإن أردت المزيد فتأمل كتابه إلى أهل إيلياء (بيت المقدس) والذى منه :

أنه أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم . . ولا يسكن معهم أحد من اليهود .
وعليهم أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم .
ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم . . فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم حتى يبلغوا مأمنهم .

وفي موطن آخر نراه يحذر قراء القرآن الكريم فيقول : أريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فإنما كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فقد رفع الوحى وذهب النبي صلى الله عليه وسلم .

. . فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا وأثنينا به عليه . ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه . ويقول . . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (٣) .

---

(١) راجع النص كاملا في البيان والنبين للجاحظ تحقيق هارون ج ٢ ص ٤٨، ١٩ وراجعه أيضا في إعجاز القرآن للباقلانى تحقيق السيد صقر ص ١٤٠ – ١٤٢ .

(٢) لا نشار .. لا تسخر . لا نمار .. لا تشك. ولا تبتع .. ولا تشتر .

(٣) الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل ص ٧٩ وما بعدها (٢) .

ويقول : إن بعض الطمع فقر . وإن بعض اليأس غنى . وإن بعض الشح شعبة من النفاق . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

هذا وكان الفاروق ببيانه الرائع المعهود لا يخشى في دين الله لومة لائم . نفذ هذا بكل دقة وأوصى به الخلفاء من بعده، أوصاهم بالمهاجرين والأنصار والمسلمين عامة . وأوصى بأهل الذمة أيضا إذا ما أدوا ما عليهم طوعا أو عن يد وهم صاغرون .

وأوصى الأمراء . ألا يغلقوا أبوابهم دون المسلمين وإلا أكل قويهم ضعيفهم .

أما حكمته المأثورة فلك أن تعرف منها هذه الأقوال العمرية . . الكريمة :

أعقل الناس أعذرهم للناس ـ لا تؤخر عمل يومك لغدك ـ لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ـ كفى بالمرء غيا أن يكون فيه خصلة من ثلاث .

أن يعيب شيئا ثم يأتي مثله ـ أو يبدو له من أخيه شيء يخفى عليه من نفسه ـ أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه ـ وقوله : ثلاث يبقين لك الود في صدر أخيك . أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس . وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

ومن أقواله الجامعة . لست خبا . والخب لا يخذعني .

ومن تذوقه المرهف . أنه مر على قوم لا يعرفهم وكانوا يصطلون فقال لهم السلام عليكم يا أهل الضوء ولم يقل يا أهل النار .

وسأل رجلا ما اسمك ؟ قال : ظالم بن سارق ! فقال له تظلم أنت ويسرق أبوك .

وسأل غلاما مخطئا فقال : نحن متعلمين . فقال له : لخطؤك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك .

وكان يشجع الناس على تعلم الشعر فيقول : أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجته يستعطف بها الكريم ويستميل بها اللئيم . وكان يوصى بما قيل من الشعر في الإسلام . ورأى يوما حسان بن ثابت يقول الشعر في المسجد فقال له : أرغاء كرغاء البكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان إليك عنى فإنك تعلم أنى كنت أنشد في هذا المكان من هو خير منك فما يغير على شيئا . فقال الفاروق : صدقت . وتركه ينشد .

ووصف حالته الجاهلية بأن أباه كان فظا يقول عنه . يدئبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت ثم يتمثل يقول ورقة أو غيره .

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الآله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها	من كل أوب إليها راكب يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب	لابد من ورده يوما كما وردوا

هذا وقد نسب إلى الفاروق شعر قليل كقوله :

وما حملت ناقة فوق رحلها	أبر وأوفي ذمة من محمد
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله	وأعطى لرأس السابق المتجرد

وكان الفاروق رضى الله عنه ناقدا مرهف الإحساس . إلا أنه كان كثيرا ما يحاول تطييب خواطر المهجوين ولو كان الهجاء بينا . ثم يأخذ لهم حقهم ممن تقول عليهم . من ذلك حديثه مع بني العجلان عندما شكوا إليه هجاء النجاشي . ومن هذا الهجاء قوله:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم	وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال الفاروق كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه فقالوا إنه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة	ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال الفاروق ليت آل الخطاب كذلك ! ! فقالوا هجانا، قال ما أسمع ذلك قالوا فاسأل حسان . فأجاب حسان . ما هجاهم ولكن سلح عليهم(١) .

فالفاروق كان يعرف أنه هجاء جلي ولكنه حاول أن يستل الآلام من صدورهم فلما تمسكوا بحقهم عاقب لهم شاعرهم وحقا فقد كان الفاروق رضى الله عنه فضلا عما نسب إليه من الشعر ومن تشجيعه له . من أنقد أهل زمانه ومن أبلغ الناس .

قال ابن عباس

---

(١) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٢٩ ط ١٩٢٥

بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر . . إذا أقبلت . فقال عمر . قد جاءكم أعلم الناس به ثم قال : من شاعر الشعراء ؟

قال ابن عباس : فقلت : زهير بن أبي سلمى . فقال هلم من شعره ما تستدل به على ما ذكرت فقلت : امتدح قوما من بنى عبد الله بن غطفان فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم سنان حين تنذبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا ... مرزءون بها ليل إذا حشدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال الفاروق : أحسن . وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : فقلت : وفقت يا أمير المؤمنين . ولم تزل موفقا .

وبهذا كان يقول عمر عن زهير : أشعر الشعراء من لا يعاظل في كلامه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه . ولقد سأل كعب بن زهير يوما : هل بليت الحلل التى كساها هرم أباك ؟ فقال له : بليت فقال عمر : ولكن الحلل التى كساها أبوك هرما . لم تبل . يشير إلى شعر زهير في مدح هرم بن سنان نحو قوله

من يلق يوما على علاته هرما ... يلق السماحة منه والندى خلقا

وكان الفاروق ذواقة مرهف الأحساس . أبكاه متمم بن نويرة حين أنشد الصديق عينيته التى رثى بها أخاه مالك بن نويرة الذى قتل مع مانعى الزكاة والمرتدين ومنها :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ورق الفاروق لصبية الحطيئة إذ استشفع بهم إليه من حبسه وهو الذى لا يقبل شفاعة مخلوق مهما كان شأنه . والحق في دين عمر أحق أن يتبع ! ! إنها تعاليم الأسلام ولكنه رق لأطفال الحطيئة حين قال له :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعـــر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر
لم يـــؤثروك بها إذ قدموك لهـــا لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهـــلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية يعمى بها الخبر (١)

فأطلقه وأخذ عليه ألا يهجو مسلما بعد ذلك . واستطاع الفاروق أن يضرب بيد من حديد على يد كل عابث أو مستهتر . وبهذا فلم يتقول زنديق أى شعر يشيح بوجهه نحو الأسلام وفي عهده كله لم تقم لغير الشعر الإسلامى قائمة وكفاه بهذا أجرا وثوابا .

وظل الفاروق رضى الله عنه طوال مدة خلافته حاكما عادلا لا تأخذه في الله لومة لائم . مما يجعلنا نوقن أن الفاروق لانظير له على الأطلاق في حكام الدنيا كلها قديمها وحديثها باستثناء أنبياء الله وباستثناء الصديق رضى الله عنه .

ولأمر قضى الله جل في علاه . استشهد الفاروق رضى الله في صلاة الفجر على يد المجرم الأثيم أبي لؤلؤة فيروز المجوسى . ويبدو أن وراءه يعض اليهود والمجوس .
وقال عمر عندما علم بنفاذ الطعنة المجوسية اليهودية :

الحمد لله الذى جعل نهايتى على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة . وتوفي رضى الله عنه لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة .

ودفن صبيحة أن مات في بيت عائشة بعد أن أمر ولده عبد الله أن يستأذن عائشة (وعمر في نعشه) ويقول لها عبد الله : عمر بن الخطاب بالباب يستأذن في أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن أذنت فبها والحمد لله . وإلا فادفني بالبقيع مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأذنت عائشة بعد أن كانت تتمنى أن تدفن هى بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجانب أبيها رضى الله عنه . وكان سن الفاروق يوم استشهاده دون الستين بثلاث سنوات كما قيل (٢) .

(١) الأغاني لأبى الفرج الأصفهانى ص ٣٧١ وما بعدها .
(٢) تراجم أدبية للأستاذ السباعى السباعى بيومى ص ٣٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥ م .

وفي الختام نذكر وصف ابن عباس للفاروق حين سأله عنه معاوية فقال :

رحم الله أبا حفص كان والله حليف الإسلام ومأوى الأيتام ومنتهى الإحسان . ومحل الإيمان وكهف الضعفاء ومعقل الحلفاء .

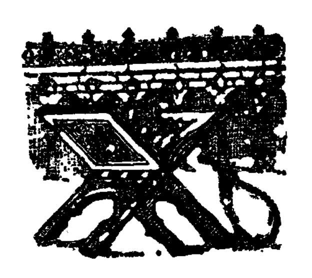
قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد . فأعقب الله على من يتنقصه اللعنة إلى يوم الدين . .

. . رحم الله الفاروق وجزاه عن الإسلام والمسلمين أتم الجزاء وأوفاه .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) . .

د. علي البـــدري

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية ـ كلية اللغة العربية والآداب



من قيم الإسلام

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (منظوم)

حديث شريف

بقلم الدكتور عز الدين علي السيد - كلية اللغة العربية والآداب

فتش عن النفس تعرف عندها السببا … إن طبت منقلباً أو سؤت منقلبا

فمن حنى خطه عن دربه اضطربت … به المسالك يخشى بينها العطبا

والنفس أعدى عدو المرء إن صدفت … عن استقامتها تستوجب الأدبا

فلا تدعها وما شاءت . . فيملكها … عدو آدم . . إن يظفر بها لعبا

يساور النفس في الأضلاع مختلساً … سلطان عقلك . . للأخلاق منتهبا

وقد يفلسف للعقل الذنوب بما … يزلزل العقل أو يعدوه مكتئبا

فلا تدعه له يغتاله شرهاً ! … أنزل على رأسه من دينك الشهبا

واذكر - إذا شمت وهن العقل - خالقه … تمرق حروفك في أضلاعه لهباً

أعل الغرائز بالإيمان . . معتدلا … لا تغل في كبتها شكراً لمن وهبا

ولا تطأطىء لها عبداً تجشمه … خوض المهالك . . مهما تدعه ذهبا !

فالقصد دين . . وفي التفريط مضيعة … وشقوة المرء في الإفراط إن غلبا !

ميزان دينك لا قانون يعدله … نور من الله في أفق الهدى انسكبا

حكمه في الأمر تسلم من مخالفة … تقيم من حولك الضوضاء واللجبا

أضيء به القلب تأمن غيلة عظمت … يكنها مارد في غاسق وقبا

فظلمة البيت تغرى السارقين على … سلب المتاع . . وما أحرزته صعبا

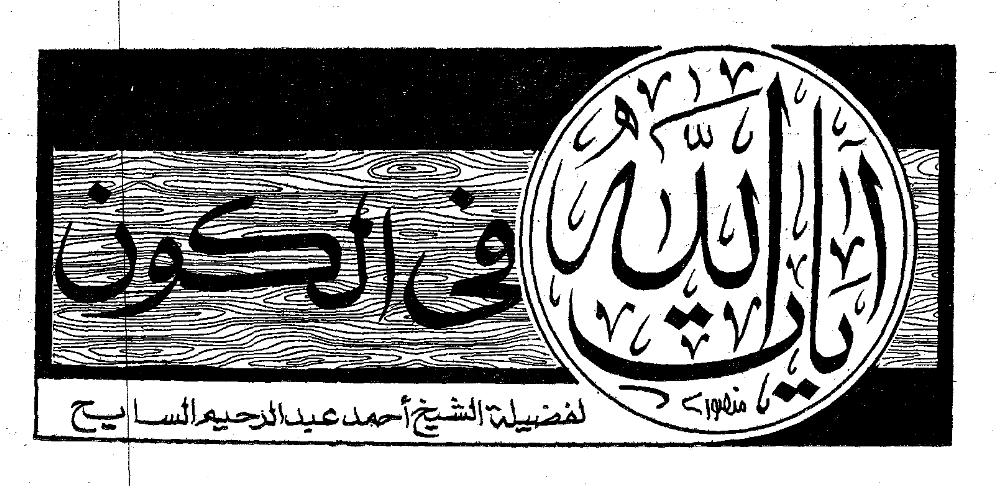
وشد بتقواك سدا حول نفسك لا … يعلى . . وإن نلت في إعلائه تعبا

كسد يأجوج يغشاهم فما قدروا ... أن يظهروه وما اسطاعوا له طلبا
تنس المتاعب بالأمن الطويل غداً ... فمن يخف تعبا لا يملك الذهبا
والجأ إلى الله في أدنى الأمور كما ... تدعوه في الأمر مما عز أو صلبا
فكم صغير غدت ناراً مغبتة ... ففرقت قلبنا في درئها شعبا
حسن التوكل لا يعني التواكل في ... أخذ الأمور وأن لا تحكم السببا
لكل نفس من الخيرات ما كسبت ... وليخش عبد الهوى والشر ما اكتسبا
والعدل وضعك شيئاً حق موضعه ... فكل شيء عدا أوضاعه اضطربا
إلا إذا اجتزت للاحسان منزلة ... أعلى من العدل في كسب العلا نسبا
فأخذك الحق عدل لا تعاب به ... إن جاوز البغي . والإسراف والغضبا
لكن عفوك إحسان تقود به ... شم الأنوف فتنسى كبرها عجبا
وليس معناه عجزاً عن مؤاخذة ... ولا تسمى به من عاقل ذنبا
فالشر مجلبة للشر يفثؤه ... عن نفسك الحلم. .فاجنب نفسك اللغبا
الناس مهما نسوا الأعراق من رجل ... من يذكر الأصل من أرحامه اقتربا
ما فرق الإخوة الأنجاب مثل هوى ... يعمى البصير .. به نور الهدى احتجبا
وليس من مطيع مهما يشد بنا ... أجل من حفظنا أنسابنا أربا !
فكيف نجني على بند السلام فلا ... نحميه بالحب من أرواحنا حدبا ؟
صلاتنا قد غدت زيفاً ومنقصة ! ... أوصالنا بالهوى قد مزقت إربا !
لو كل فرد تولى نفسه أدباً ... لما بكى الحظ مظلوم ولا ندبا
فلنسلك الدرب عل الله يرزقنا ... أمناً يعيد لشمل الدين ما انشعبا
لا يستوى من رمى دون الخطى حجراً ... ومن أماط الأذى لله محتسبا !
فمن وقى ساغباً في يوم مسغبة ... وقاه ربك يوم الحسرة السغبا !
ومن سقى صادياً بالبر منعطفاً ... أضناه لذع الصدى إذ ماؤه نضبا
رواه في الهول والأكباد ظامئة ... رب على نفسه الأحسان قد كتبا !
فالبئر والكلب مصدوق حديثهما ... ومن يكذبه من هذا الورى كذبا !
وروضة الدين مازالت لنا وطناً ... فمن جفاها ـ ولو في أهله ـ اغتربا
ماضاع خير ووجه الله باعثه ... وصانع السوء يجني غبه نصبا

فمن حمى الفزع الملهوف أنقذه ... حامى العبـــاد إذ ما قلبــه وجبا
ومن رأى مسلماً يغتابه سفهـــاً ... جان على عرضه المظلوم قد وثبا
فذب عن عرضه ستراً عليه رأى ... ستائر الله تعلى حولــه الطنبـا
وأنعم الله لا تــدرى دقائقهـــا ... من شاء إحصاءها يستنفد الكتبـا
فكن على حفظها بالشكر حارسها ... تعش على الحمد للنعماء مصطحباً
زوالها جحدها . . لا رده سفر ... باغ . . على رأسه نحو الردى ركبا
والكـبرياء رداء الله فاخش به ... شرا على الدين واحذر مقته دأبا
فمن تعالى بغى في حــق بارئــه ... كمن بغى ثوبك المختص محتـذيا
إياك والزهو إن تعط المناصب أو ... تمنح من القوم في دار الردى لقبا
فانهـا فتنــة في حملها نصـب ... وإن حلا مرها في الحلق أو عذبا !
أشكو إلى الله نفسى في مواعظها ... وهى التي ذبت من عصيانها رهبا !
يارب رد على الإســلام توبتها ... حتى أطيب بها في الحشر منقلبا !

عز الدين على السيد
كلية اللغة العربية والآداب
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





لله في الآفـاق آيات لعـــ ـــل أقلهـا هـو ما إليه هداكا

ولعـل ما في النفس من آياتـه عجب عجاب لو ترى عينـاكا

والكون مشحون بأسـرار إذا حاولت تفسـيراً لهـا أعيـاكا

قل للطبيب تخطفته يـد الردى يا شـافي الأمراض مـن أرداكا

قل للمريض نجـا وعوفي بعد مـا عجزت فنون الطب مـن عافاكا

قل للبصـير وكان يحفر حفـرة فهوى بها مـن ذا الذى أهواكا

بل سائل الأعمى خطا بين الزحـام بلا اصطدام من يقـود خطاكا

قل للجنين يعيش معزولا بـلا راع ومرعى . ما الذى يرعـاكا

قل للوليـد بكى واجهش بالبكا لدى الولادة . ما الذى أبكـاكا

وإذا ترى الثعبان ينفث سمـه فاسأله من ذا بالسموم حشا كـا

واسأله كيف تعيش ياثعبان أو تحيـا وهذا السم يملأ فـاكا

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهـدا وقل للشهـد من حـلاكا

بل سائل اللبن المصفى كان بيـ ـن دم وفرث ما الذى صفاكا

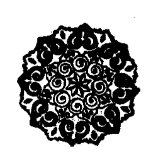
وإذا رأيت الحى يخرج مـن حنا يا ميت فاسـأله . من أحيـاكا

وإذا ترى ابن السو د أبيض ناصعا فاسأله من أين البياض أتـاكا

وإذا ترى ابن البيض أسود فاحما فاسأله من ذا بالسـواد طلاكا

قل للهواء تحسه الأيـدى ويخفى — عـن عيـون النـاس من أخفاكا
قل للنبات يجف بعـد تعهـد — ورعاية . مـن بالجفاف رمـاكا
وإذا رأيت النبت في الصحراء ير — بو وحده فاسأله من أرباكـا
وإذا رأيت البـدر يسرى ناشـراً — أنواره فاسأله : مـن أسـراكـا
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى — أبعد كل شيء ما الذى أدنـاكا
قل للمرير من الثمـار مـن الذى — بالمر من دون الثمـار غـذاكا
وإذا رأيت النخل مشقوق النـوى — فاسأله : مـن يا نخل شـق نواكا
وإذا رأيت النـار شب لهيبهـا — فاسأل لهيب النـار . من أوراكا
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحـاً — قمم السحاب . فسله مـن أرساكا
وإذا ترى صخرا تفجر بالميـاه — فسله : من بالمـاء شـق صفاكا
وإذا رأيت النهـر بالعذب الزلا — ل جرى . فسله : من الذى أجراكا
وإذا رأيت الليل يغشى داجيـا — فاسأله : مـن ياليل حاك دجـاكا
وإذا رأيت الصبح يسـفر ضاحكا — فاسأله : من ياصبـح صاغ ضحاكا
هذى عجائب طالما أخذت بهـا — عيناك وانفتحـت بهـا أذنـاكا
والله في كل العجائب ما ثـل — إن لم تكن لتراه فهـو يـراكا

الشيخ أحمد عبد الرحيم السايح



مولد رمضان

مولد رمضان

منذور

للشاعر السوري محمد منذر لطفي

– ١ –

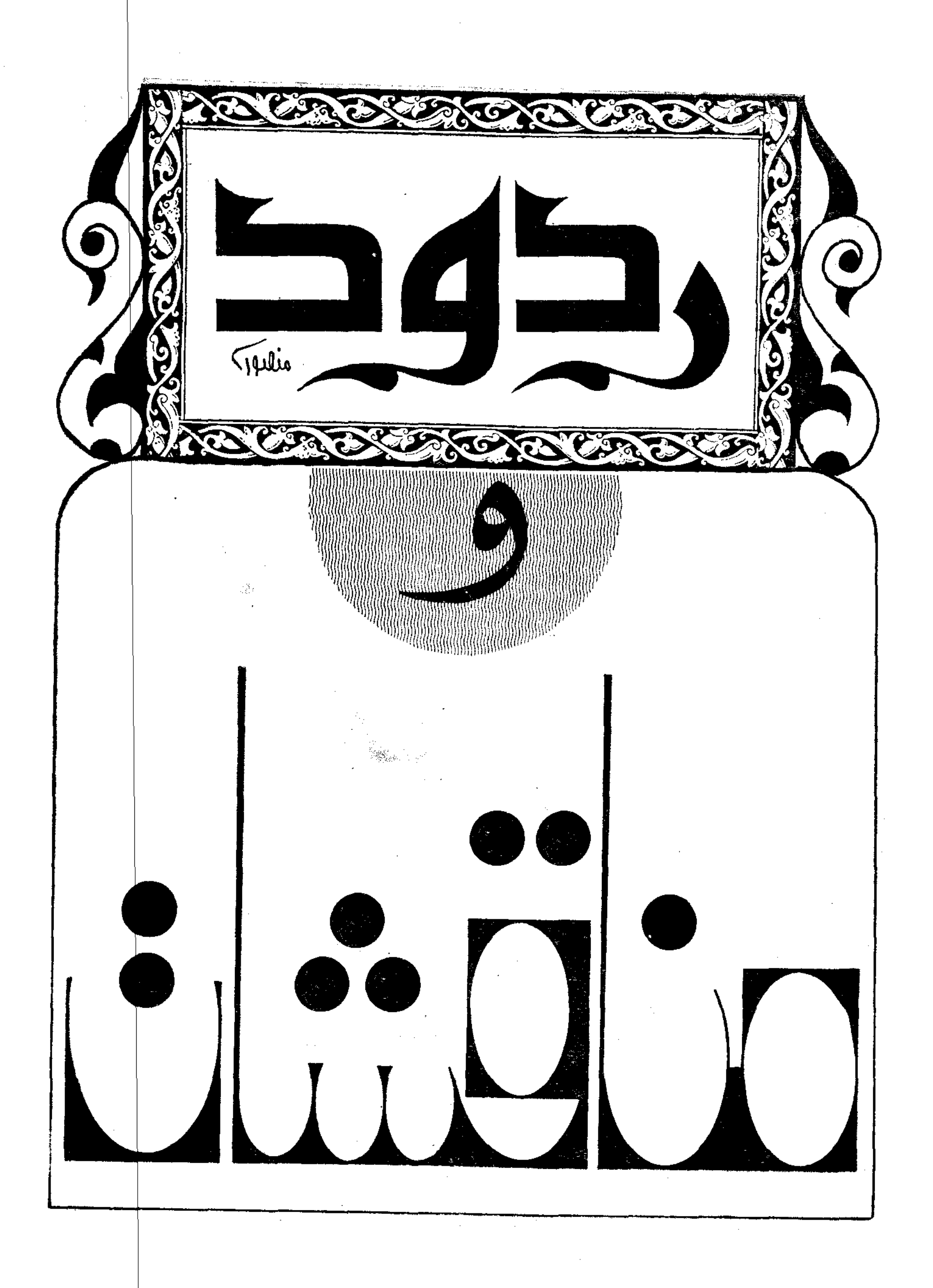
يا هلالا .. نشر اليوم على الدنيا وشاحه
فصحا الكون على ميلاده .. ينهل راحه
أيها الزائر . . يا شهرا سماوى الملاحه
مرحبا .. تغمر وجه الشرق انسا وسماحه
دمت للاسلام ذخرا يعشق الصبح صباحه

– ٢ –

يا رعى الله لياليك .. وأياما ظليله .
يا رعى الله التسابيح وألحان الفضيله
ونسيمات من الفردوس .. تنهل عليله
هي في ثغري دعاء وبأعماقي خميــله
سوف أحياها شبابا مستقيما .. وكهوله

– ٣ –

يا آلهي . . أرفع الدعوة من قلبي حرى
لتصون الشرق.. شرق العرب و الاسلام حرا
مكرما .. حتى اذا مازفت الآفاق بشرى
لهلال .. سوف تنضو بعد عام عنه سترا
تزهر الامة تاريخا وأمجادا ونصرا


ردود
و
مناقشات



اطلعت على مقال لأبي هاشم نشر في الصفحة الخامسة من جريدة الندوة الصادرة في يوم السبت ١٤ محرم ١٣٩٨ هـ عنوانه (مسجد الخندق بالمدينة المنورة) .

قال الكاتب ما نصه (سمي هذا المسجد بمسجد الأحزاب لأن غزوة الأحزاب وقعت عنده كما سمي أيضاً باسم مسجد الخندق لأن الخندق كان يمر بجانب المسجد وهو الخندق الذي اقترحه سلمان الفارسي رضي الله عنه على الرسول عليه الصلاة والسلام فكان أن حفره المسلمون ويبدأ من أسفل جبل ذباب أو ذوباب والذي أطلق عليه بعد ذلك جبل الراية لأن راية الرسول صلى الله عليه وسلم نصبت عليه .

ويسمى هذا المسجد أيضاً بمسجد الفتح وهو الاسم الخالد في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي لأن الآية الكريمة (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موضع عليه . ويقع المسجد على قطعة صغيرة من جبل سلع الكبير والذي كان يسمى من قبل جبل ثواب . وإلى جانب المسجد تقوم خمسة مساجد أخرى . فالمسجد الذي تحته رأساً هو مسجد الصديق ومن وراء مسجد الصديق مسجد الفاروق وبجانبه من جهة الغرب مسجد عثمان . ثم مسجد صغير هو مسجد على بن أبي طالب . ثم مسجد سلمان الفارسي . والمساجد الستة هذه تقع وسط وادى بطحان الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه من أودية الجنة وهذه المساجد هى مصلى الصحابة الخمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسلمان الفارسي رضى الله عنهم بالليل حيث كانوا يتهجدون في مواضعها طول الليل . انتهى كلام الكاتب .

وأقول لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أسس في المدينة مسجداً سوى مسجده

ومسجد قباء . ومن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى في المدينة مسجداً غير هذين المسجدين فقوله بعيد من الصحة وكذلك لم يثبت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان رضي الله عنهم أنهم بنوا مساجد عند الخندق أو أنهم كانوا يتهجدون في مواضعها طوال الليل ومن زعم ذلك فقوله بعيد من الصحة .

والذي يظهر والله أعلم أن هذه المساجد كانت من إنشاء المفتونين بالآثار ونسبتها إلى الأكابر ليكون لذلك موقع عند الجهال .

وأما قول الكاتب ويسمى هذا المسجد مسجد الفتح وهو الاسم الخالد في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي لأن الآية الكريمة (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موضع عليه .

فجوابه أن يقال إن الفتح المذكور في الآية من سورة الأنفال لم يكن بالمدينة كما قد توهم ذلك كاتب المقال . وإنما كان ببدر حين التقى الجمعان كما ذكر ذلك المفسرون وأهل السير والأخبار . قال محمد بن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة وكان استفتاحاً منه فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) إلى آخر الآية . وقد رواه الإمام أحمد والنسائي وابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق محمد بن اسحاق وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه . وفي رواية لابن جرير عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي حليف بني زهرة أن المستفتح يومئذ أبو جهل وأنه قال حين التقى القوم : أينا أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله في ذلك (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الآية .

قال ابن كثير وروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد وأما قول الكاتب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في وادى بطحان إنه من أودية الجنة .

فجوابه أن يقال هذا الحديث لا أصل له فلا يغتر به . وقد ورد في حديث ضعيف جداً أن بطحان على بركة من برك الجنة . رواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه راو لم يسم وما كان كذلك فلا يعتمد عليه ولا يثبت به شيء . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

حمود بن عبد الله التويجرى

حول أحكام يرفضها التحقيق (مقلوب؟)

إبراهيم عليه السلام والبيت العتيق

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب كلية الدعوة وأصول الدين

في العدد المزدوج ١٠ – ١١ لعام ١٣٩٨ ﻫ من (المجلة العربية) بحث حار بقلم الأستاذ حسن ظاظا–أستاذ اللغات السامية في جامعة الأسكندرية – يتقصى فيه مؤامرات اليهود التاريخية على فلسطين ، وقد وفق في عرضه مجهودات مفكريهم الشيطانية لزرع ما يريدونه من تلك السموم في أذهان أجيالهم ، حتى استحالت الأفكار أخيراً واقعاً يتمثل في الشجرة الخبيثة (إسرائيل) .

على أن البحث على حرارته وكثافته ، لم يخل من عثرات صرفته عن الجادة إلى منعطفات كان خيراً له لو لم يعرج عليها . . ولعل الحافز له على ذلك هو حصره مجال الرؤية في نطاق التصور القومي ، فهو يتحدث عن اليهود كجنس يقابل جنساً ، وكان الأولى به محاكمة النفسية اليهودية في حدود القيم العليا التى يعتبر اليهود أكابر خصومها على مدى التاريخ ، ولو فعل ذلك لتدفقت عليه الأدلة الشاهدة من كل بقعة عبر بها اليهود ، ومن كل مجتمع تسلل إليه الفساد اليهودى في الشرق والغرب ، ومن القديم والحديث ، على السواء .

وكانت النية في كتابة (تعقيب) اليوم متجهة إلى عدد من الأغاليط تعرض لها عدد من المشتغلين في العلم ، ولكن شاء الله أن أقع على مقال الدكتور ظاظا هذا في العدد المزدوج ، ثم عن تتمته في العدد التالى له ، فلا أملك إلا الانصراف إليه ، وارجاء ما سواه إلى مناسبة أخرى .

وها أنذا مورد تلك العثرات مع ملاحظاتنا حولها واحدة إثر الأخرى :

أ ـ أول ما يواجه القارىء في ذلك البحث ما يحسه من تركيز الكاتب على تفنيد الزعم الذى يريد أن يلحق أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام بالنسب اليهودى إذ راح يستنبط من نشأته في أطراف بادية البصرة ، الدليل الحاسم على انتقاء العبرية والبابلية عنه نهائياً . . فاذا ما ثبت له هذا الانتقاء لم يبق إلا الحكم بعروبته ، وإذن فليس ابراهيم عبرياً ولا بابلياً ولكن عربي عرقاً ودماً ولساناً . . ونحن لا يعنينا هنا أن نجادل في هوية الأرض التى درج عليها خليل الله (ع) فما ذلك مما يتصل بغرضنا في هذا التعقيب ، وإنما نذكر الدكتور الفاضل بأن أفحم رد على مزاعم يهود ، في شأن هوية ابراهيم ، إنما هو في شهادة الذكر الحكيم ، الذى يقول لأهـــل الكتاب جميعاً : (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيـــاً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين . .) وكيف يكون عبرياً ولم تكن العبرية قدوجدت بعد ، وأين هو من النصرانية وقد سبقها بألفي سنة ؟ .

أما العروبة من حيث هي هوية لجنس ، فما كان لها من ذكر في أيام ابراهيم ولم يحدث لها تجمع قومي قط يستحق اسم الأمة إلا بعد توحيد الإسلام للجزيرة العربية . . فيبقى النسب اللساني وهو الحقيقة الحاسمة ، لأن لغة سام بن نوح عليه السلام ظلت في هذا الموطن قروناً محافظة على أصولها ، فلم تحتك بها الألسنة إلا عقيب تباعد أصحابها وتفرقهم في أكناف الجزيرة . . كما تختلف لهجات العرب اليوم حتى لا يفهم جزائرى شامياً ولا يماني مغربياً إلا أن يرجعوا إلى لغتهم الأم .

فلغة ابراهيم عليه السلام هي لغة سام ، وهي لغة العرب التي بها نزل كتاب الله على قلب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومع ذلك فما نسميه عربياً ، لأن اللغة لم تكن قد اكتسبت هوية الجنس في أيامه ، ولن نجد لأبي الأنبياء نسباً أكرم وأجل وأشرف من كونه حنيفاً مسلماً ، كما سماه الله .

على أن ثمة فجوة في تتبعه جرائر أولئك الشياطين ماكان ينبغي أن يغفلها كما فعل ،وأريد بها تسلل أولئك المفسدين إلى الفكر العالمي عن طريق المؤسسات

السرية الّتي خدعوا بها (العميان) من مختلف الشعوب ، حتّى جروهم مخدرين إلى الكدح لتنفيذ ما خططوا له من اغتصاب فلسطين ، ومثل الدكتور الظاظا في تخصصه وبعد نظره لايتوقع أن يجهل دور الماسونية وعصائب النور والروتاري وما إليهن من فخاخ اليهود في قيام إسرائيل . . ولا سيما بعد الخطاب الذي تلقاه أخيراً مجلس الأوقاف الإسلامية في القدس من كبير محافل الماسونية في الولايات المتحدة والذي يعرض على المجلس مئة مليون دولار ، مقابل التخلي عن المسجد الأقصى ، ليعيدوا مكانه هيكل سليمان . وقد فضح أمر هذا الخطاب في بعض الصحف فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح أيام كان وزيراً للأوقاف والمقدسات الإسلامية في الأردن (١) .

ب- ويتوسع الكاتب في الاستدلال على ما ذهب إليه من عربية أبي الأنبياء عليه السلام فيقول في المقطع نفسه : (والدليل على هذا أنه اختار موضعاً عربياً آخر لإقامة أول بيت وضع للناس ، وكان اختياره هذا في قلب بلاد العرب وفي مكة المكرمة (٢) .

إن ههنا لدعوى خطيرة لا يملك الكاتب عليها من دليل سوى الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً . . فابراهيم في هذا الادعاء هو صاحب الفكرة في إقامة البيت العتيق ، وهو الذي اختار مكة لتكون محج الناس إليه ! . . ولن يجد القارىء عذراً لمفكر مسلم يسمح لنفسه بارسال مثل هذه الأحكام وأمامه كتاب الله ينطق بالحق ، فيقرأ فيه قوله سبحانه وتعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أ لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . . . ٢٢ - ٢٦) .

أجل يا سيادة الدكتور إن الذي أمر إبراهيم باقامة البيت وحدد له مكانه في قلب بلاد العرب ، بل في سرة الدنيا كلها ، كما ثبت بالكشف العلمي إنما هو الله الذى جعل من الحج إلى هذا البيت معجزة الأبد ، يتلاقى حوله البشر من كل فج عميق ، ليتذكروا في ظله أصلهم الذي حجبته العصبيات ويستعيدوا في رحابه وحدتهم الّتي مزقتها الشهوات ، وماكان ابراهيم سوى منفذ لمخطط وضع للناس من فوق سبع سموات .

---

(١) انظر مجلة (الوعى الإسلامي) عدد رجب ١٣٨٥ هـ (٢) ص ١٤٠ عمود ٣

جـ ـ فاذا ما انتهى البحث إلى ذكر المسيح عليه السلام فاجأنا الكاتب المفضال بادعاء آخر لا يقل غرابة عن سالفه .

يقول الدكتور تحت عنوان (موقف اليهود من المسيحية) بعد هذا تظهر أكبر هزة في تاريخ اليهودية مع ظهور السيد المسيح . والعمل الذي عمله المسيح ، وجر به على نفسه كراهية اليهود جميعاً هو أنه أمر حوارييه أن يبشروا بشريعة الله بين الأمم الأخرى . . . وكانت هذه أول مرة يكسر بها عيسى بن مريم الإتفاق الذي تم بين كهنتهم على احتكار الدين (٢) .

ويريد الدكتور باحتكار الدين قصر رسالة موسى على بني إسرائيل وحدهم وهو أمر يبرىء منه موسى لأنه يعتبر دعوته عالمية ، بدليل (أنه قام في وجه فرعون ، ودعاه إلى الإيمان بالله الواحد (٣) .

ومن أجل ذلك يرى الدكتور في عمل السيد المسيح خروجاً بالدعوة من نطاق بني إسرائيل الاحتكاري إلى المنطلق العالمي .

وأقل ما يقال في مثل هذه الآراء أنه لم يرجع فيها إلى وحي ولا علم ، وكان أحرى بمثله أن يتذكر بالأقل أن الموضوع فوق مستوى التظني ، لأنه من متعلقات الرسالات الإلهية ، فلا علم لأحد بها إلا عن طريق الخبر المعصوم .

والمعلوم بالضرورة لدى أهل التحقيق أن كل رسول إنما كان يبعث في قومه مقصوراً عليهم ، يستوى في ذلك موسى وعيسى وسائر إخوانهما النبيين لم يستثن من هذه القاعدة سوى خاتمهم محمد عليه وعليهم صلوات الله وسلامه أجمعين . .

فالله تبارك اسمه يقول : (وإلى عاد أخاهم هودا . .) (وإلى ثمود أخاهم صالحاً . .) (وإلى مدين أخاهم شعيباً) (٤) . . وهذا موسى عليه السلام يقول لقومه (. . لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم . . الصف ٥) وعيسى عليه السلام يقول (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم ـ الصف ٦) فلما بعث خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، أعلمه ربه بعالمية رسالته قائلا : (وما أرسلناك

---

(٢) ، (٣) ص ١٤١   (٤) سورة الأعراف .

إلا كافة للناس ٣٤-٢٨) وأمره أن يقول للبشرية كلها : (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً . . ٧-١٥٨) وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (. . . وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة) وهو واحد من أحاديث كثيرة في هذا المعنى .

وهكذا ظلت البشرية موزعة على قيادات النبيين حتى جاء خاتمهم الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فوجب عليها أن تنضوي بأسرها تحت لوائه ، فكان منها قسم سعد بالإيمان به فهم أمة الإجابة ، وكان منهم مخلفون رفضوا نور الله الذى جاءهم به فضلوا فهم لا يهتدون سبيلا .

وليس معنى تخصيص الرسل بأقوامهم أن ثمة تعداداً في جوهر الدين ، بحيث يكون لكل نبي دين مباين للآخر ، كما يزعم أعداء الحق ، فدين الله واحد هو الإسلام له سبحانه (ان الدين عند الله الإسلام) ٣-١٩ (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ٣-٨٥) والدين الخاتم ليس سوى جماع الدين الحق ، الذي أرسل به تعالى رسله جميعاً (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . . ٤٢-١٣) .

وإنما اقتضت مشيئة الحكيم العليم جل جلاله أن يراعى في رسالاته أحوال عباده ، فكان كل نبي يبعث في قومه مصدقاً رسالة السابقين والمعاصرين واللاحقين من اخوانه ، لا تختلف رسالة أحدهم عن رسالة الآخر إلا بما يخص به الله الأقوام من تشريعات تيسر لهم سبيل الخير ، وتضعهم على المحجة التي تحميهم من بغي بعضهم على بعض ، وبذلك يقتربون تدريجياً من الصيرورة إلى التعارف الذي يضيق مسافة الخلف ، حتى إذا أظل عهد الرسالة الخاتمة كانت البشرية قد أصبحت مؤهلة للتلاقي على الوحدة العالمية .

ولو رجع الدكتور الفاضل إلى أسفار أهل الكتاب عتيقها وجديدها - لرأى هذه الحقيقة ماثلة في العديد من النصوص ، وليقرأ هناك في إنعام تصريح السيد المسيح بأنه إنما بعث لخراف بني إسرائيل الضالة . فهو إذن إليها أرسل وإياها يدعـــو . .

على أن هذا لا ينافي أن يقوم النبي بتبليغ بعض الأقوام من غير أمته إذا رأى فيهم بعداً عن مهيع أنبيائهم السابقين، وبخاصة في ما يتصل بأصول الدين التي بعث الله بها أنبياءه جميعاً . لأن إهمال مثل هؤلاء مؤد إلى شيوع مفاسدهم في المجاورين لهم . . ومن هذا القبيل قصة الرسل المذكورة في سورة ياسين على مذهب من المفسرين بأنهم موفدون من قبل المسيح بن مريم عليه السلام .

وأما الاستدلال بدعوة موسى عليه السلام فرعون على عالمية رسالته فليس بشيء ، لأن موسى مواطن في بلد فرعون ، فكل سكان ذلك البلد قومه ، وقد رأينا يوسف عليه السلام من قبله يعرض الإسلام على نزلاء سجنه لأنه موجود بين ظهرانيهم ، فلا عذر له في السكوت على هدايتهم .

ويبقى هنا ما ذهب إليه الكاتب الفاضل من القول بأن كراهية اليهود للسيد المسيح إنما تفجرت من تجاوزه بالدعوة حدود قومه إلى الأمم الأخرى . . والحق أن كراهيتهم للمسيح ليست بدعاً في تاريخ قوم آذوا موسى ، واتخذوا العجل إلهاً ، ونبيهم بين أظهرهم ، وبلغوا من الطغيان إلى حد استباحة دماء الأنبياء ، وكادوا يفعلون ذلك بخاتمهم يوم بني النضير ، لو لم يحفظه الله من غدرهم ، حتى كان فتح خيبر ، فدست ابنة الحارث ـ زوجة سلام بن مشكم ـ له السم في ذراع الشاة ، فلم يزل يحمل أثره حتى أتم الله به الرسالة للثقلين ، فأذن آنذاك للسم اليهودي بأن يعمل عمله في أبهره الشريف ، بأبي هو وأمي ، وبذلك كتب الله له الشهادة فكان كأخوانه من النبيين الذين قتلهم غدر اليهود .

د ـ وأخيراً لقد وقف الكاتب الفاضل القسم الكبير من مقاله على إبراز آثار الثقافة الإسلامية والعربية في الفكر اليهودى وما إليه من الفنون ، ولما أراد الحديث عن الشعر بدأ بمزامير نبي الله داود عليه السلام فقال : (حتى الشعر فانهم يقولون : برع اليهود في الشعر قديماً براعة لم يكن يدانيهم أحد فيها . واشتهرت من ذلك (مزامير داود) التي كانت مجموعة من التسابيح لله سبحانه ، وكانت شعراً له موسيقى معينة (٥) .

---

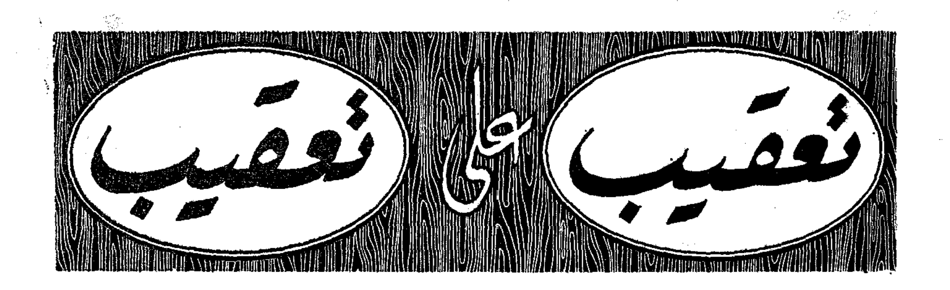
(٥) ص ١٤٢ عامود ١ .

هكذا يعرض الدكتور فكرته دون تحفظ ولا فصل ، حتى ليحس القارىء أنه يصدر حكماً على هذه المزامير بأنها من عمل داود . . ونحن لا نجادله في صياغة المزامير سواء كانت شعراً أو نثراً . . وإن كنا نرجح لها صفة النثر ، لعموم قوله تعالى في القرآن العظيم في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له ٣٦-٦٩) فكما أن الشعر لا ينبغي لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بالعلة نفسها لا ينبغي لأى نبي غيره . وما في ذلك مهانة للشعر ، بل لأن الشعر مجالات للتعبير لا تهتم بالموضوعية الثابتة بقدر ما تهتم بالتصوير الوجداني المتموج ، وبذلك يقع من الشاعر مالا يقع من النبي و العالم من تبدل المواقف تبعاً لتبدل الأحوال النفسية .

أجل نحن لا نجادل الكاتب في نوعية الصياغة لأسلوب المزامير ، وإنما نناقشه فى ما يفهم من كلامه أنها من عمل داود ، لا من وحى الله إلى داود ، وهذا ما يتنافي كلياً مع الحقيقة التي تطالعنا في قول ربنا تبارك وتعالى : (وآتينا داود زبورا ٤-١٦٢) نقول هذا بغض النظر عن كتاب المزامير المنسوب إلى داود في مجموعة العهد القديم ، إذ هو كغيره من وثائق أهل الكتاب خاضع للنقد ورد كل ما لا يقوم على صحته الدليل .

والله حسبنا ونعم الوكيل .





سيدى الأستاذ الكبير . .

السلام عليكم ورحمة الله وبعد : قرأت في العدد الثالث ـ السنة العاشرة من مجلة « الجامعة الإسلامية » تأملاتكم المضيئة في كتابي « الله أو الدمار » وقد سعدت أيما سعادة بالتفا تكم إلى جهد ي الضعيف ، وتحفيكم به ، وتأنيكم في دراسته ونقده . والله أسأل أن ينفع بكم ويحسن إليكم قدر إفادتي من تصويباتكم التى تلقيتها بأدب الطالب المجتهد أمام أستاذه القدير .

غير أني أرجو أن يتسع صدركم لنقطة ، وأخرى ، بدا لي أن أدفع إليكم برأيي فيهما رغبة في الاستفادة إن شاء الله :

أما الأولى : فمسألة الحديث «اختلاف أمتى رحمة» : فقد جعلت ولدى ـ منذ ألقى الله سبحانه نور الإيمان في صدرى ـ تبصير أجيالنا الناشئة بأن خلاص هذه الأمـــة منوط بالرجوع إلى أصلها . . وان في مقدمة تلك الأصول الدعوة إلى العلم . إذ هو طلبة المؤمن أخذه حيث وجده لأنه نتاج تراكمات حضارية تاريخية مستمرة لا تختص به أمة بعينها . وغاية ما يجب أن نسعى فيه الجمع بين نور الإيمان وهدى العقل . . بين الأصالة والمعاصرة ، على نسق متناغم مطرد في إطار الفكر الدينى الأسلامى . والأستاذ الجليل اكثر منى علما واوسع اطلاعا في أن مصيبة هذه الأمة أتتها من انغلا ق باب الأجتهاد في المتغيرات والفروع مع التمسك بالثوابت والأصول ، مدة تزيد على ستة قرون ، انطوى فيها ألق الأسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه وانصرافهم إلى اجترار اجتهادات السلف ، وما طرأ على اجتهاداتهم من دخل وتزييف دون إعمال العقل فيما

انتهى الينا بروح العصر . . وبذل الوسع – كما قلتم فضيلتكم – في اصابة الحق حسب توجيهات الكتاب المجيد ، ولا بأس بعد ذلك في تباين الفهوم . ففى هذا متسع للمواهب غير محدود . .

أما الثانية فهى « قضية الجن » . . وهى قضية غيبية علمها عند ربي ، نؤمن بها ولا نفهمها لأنها ككل القضايا الغيبية الأخرى تفوق ذرع عقولنا وتعدو قدرات حواسنا وقد أمرنا ربنا أن لا نخوض فيما لا علم لنا به ، ولعل فتح باب النقاش في كيفية « الاتيان والتلقى ، وتبلغ الدعوة أو تبليغها » في هذه الظروف التى تخوض فيها أمتنا الأسلامية معركة بقائها أو فنائها ، هو ترف « بيزنطى » لا يجوز أن نخوض فيه أو أن يشغلنا عن معالجة مشاكل الأنس قبل الجن ! كيلا يصبح مثل هذا النقاش الذى لا يجدى من دون الله ونبيه ودينه شيئا قليلا أو كثيراً . . والالحاح فيه ، ونحن نواجه الغزو الكافر من كل حدب وصوب – تعرضاً لمظان السوء ، ومدخلا للشك والتشكيك .

بقيت كلمة صغيرة حول تعبير « صليب يسوع » :

فيسوع يا سيدى هو عيسى بن مريم عليه السلام وصليب يسوع تعبير رمزى عن أشد أنواع المكابدة ، والمعاناة في سبيل الدعوة إلى الحق . .

أصلح الله لكم ، وأصلح بكم ، وجعلكم للحق هاديا وللخير داعيا .

المخلص– – سعد جمعه

تقدير وتذكير :

من حق الكاتب الفاضل أن نشكره على هذا التعقيب الهادىء . وما نرى داعياً لمزيد على ما قدمناه في تعقيبنا على كتابه النفيس ، الا كلمة صغيرة هي أننا لم نثر موضوع الجن ابتداء ، بل رأينا الحديث يثار حوله بطريقة لا تتفق مع الثابت من حقائق الوحي ، فكان من موجبات الأمانة أن نقول فيه ما لا عذر في كتمانه .

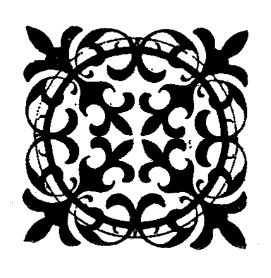
أما (صليب يسوع) فهو واحد من مصطلحات دخيلة لا ينبغي ان نسمح لها بالتسلل

إلى الأدب الاسلامي . . وما أكثر هذه الدخائل التي تهاجم اليوم أقلام المؤمنين وألسنتهم تحت مظلة (التقدم) و (التجديد) ! وأقرب الأمثلة على ذلك نسبة (الفعل) إلى الطبيعة ، حتى لنرى من يقول (الطبيعة عملت) و (الطبيعة زودت) و (الطبيعة وجهت) ولا نغالى إذا قلنا إن هذا الشذوذ قد تسرب حتى إلى أقلام بعض الطيبين ، دون أن يفطنوا إلى أنهم بذلك يؤلهون الطبيعة من حيث لا يعلمون .

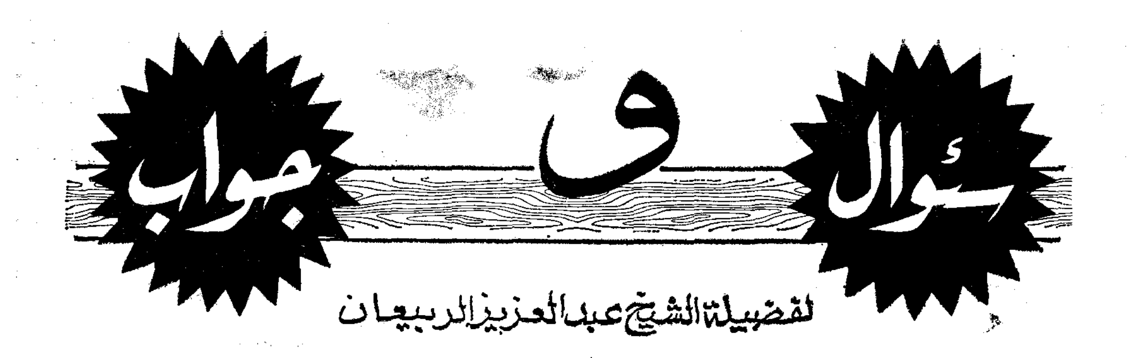
ومثل الاستاذ سعد جمعه من أحق المفكرين بسد الباب في وجه هذه الذرائع المريبة

والله الموفق . .

محمد المجذوب







سأل سائل :

« في بلدنا خطيب يخطب في العيدين والجمعة ويأتي بهذ الألفاظ : غوثنا ، وغياثنا ، ومغيثنا، عوننا ، ومعيننا، ومأوانا، ومنجانا، نوره من نور الله، عالم ما كان وما يكون . . يعنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . . هل ذلك جائز ؟ . . بينوا تؤجروا » .

الجـــواب :

هذا الكلام شرك بالله تعالى حيث إن هذا الخطيب أنزل الرسول عليه الصلاة والسلام منزلة لا تليق الا بالله فوصفه بالصفات التى لا يوصف بها سواه سبحانه وتعالى ، أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو مخلوق لا يتميز عن غيره من الخلق إلا بما ميزه الله به من كونه رسوله الى جميع أهل الأرض يبلغهم عن ربه ويدعوهم إليه ويرشدهم الى سبيله وأسباب مرضاته وقد من الله عليه فشرفه على جميع الخلق بما فيهم رسل الله الذين هم أفضل خلقه ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يملك غوث أحد ولا نفعه ولا دفع الضرر عنه حتى ولا عن نفســه ، وهو أيضا لا يعلم من الغيب الا ما أعلمه الله ولم يعلمه الله كل شيء كان وكل شيء سيكون وانما اختص هو سبحانه وتعالى بعلم ما كان وعلم ما سيكون ، ومن نسب ذلك إلى أحد من الخلق فهو جاهل بالله وجاهل بدين الاسلام الذى اصله وأساسه توحيد الله بربوبيته والهيته واسمائه وصفاته ، وجاهل أيضا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه الذى ما كان يكره شيئا من المعاصى كبيرها وصغيرها مثل كراهيته للشرك ولو كان شركا صغيرا لا يخرج الانسان من الملة الاسلامية قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام : « قل اني لا املك لكم ضرا ولا

رشدا » أي ولا نفعا – وقال تعالى : « ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسنى السوء » وقال تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما الهكم إله واحد » الآية . . وهذا الخطيب فوق كونه يصف الرسول عليه الصلاة والسلام بصفات لا يجوز أن يوصف بها غير الله هو أيضا يدعو الرسول ويستغيث به ويسأله ويستعين به وكل واحدة من هذه المسائل شرك أكبر بدليل أن الله يقول : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » وقوله : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة» وهذا عام في جميع من دعا أحدا دون الله ، وقوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » يعني نعبدك وحدك ونستعين بك وحدك فخص الاستعانة بالذكر مع أنها داخلة في العبادة ، ولما بلغ الرسول عليه السلام أن أحد الصحابة قال : قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق – يعني عبد الله بن أبي بن سلول – قال عليه الصلاة والسلام : (انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله) ، مع ان الصحابي يقصد الاستغاثة بالرسول لأمر يملكه الرسول ويستطيع القيام به وهو ايضا حينذاك حي ، فما بالك اذا كان هذا الخطيب أو غيره يستغيث بالرسول عليه السلام لأمر لا يملكه الا الله بل يستغيث بمخلوق ميت ، وأما قوله : نوره من نور الله فهذا من كلام الخرافيين المبتدعة الذين يقولون على الله بلا علم ويحسبون ان إطراء الرسول عليه السلام ووصفه بالأوصاف التي لا مستند لها من كتاب الله ولا من سنة رسول الله هو سبيل النجاة وهو دليل حبه عليه السلام ولو فقهوا في دين الله ووفقوا لمعرفة الحق لعلموا أن دليل حب الرسول متابعته والسير على سنته والتزام منهجه بالقول والعمل والاعتقاد والسلوك ولعلموا أنه قال عليه السلام : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، وقال : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، فهل قال القرآن أن محمدا من نور الله ؟ . . أو قال ذلك الرسول نفسه ؟ . . الجواب لا ، إذاً من أين لهؤلاء مثل هذا الكلام ؟ . انه من عند أنفسهم وما ورثوه عمن صار سببا في ضلالهم .

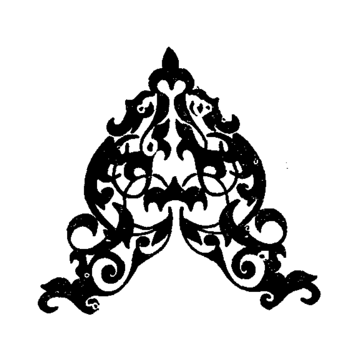
يالها من عقول أفسدتها الخرافة وضللها التقليد الأعمى « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .

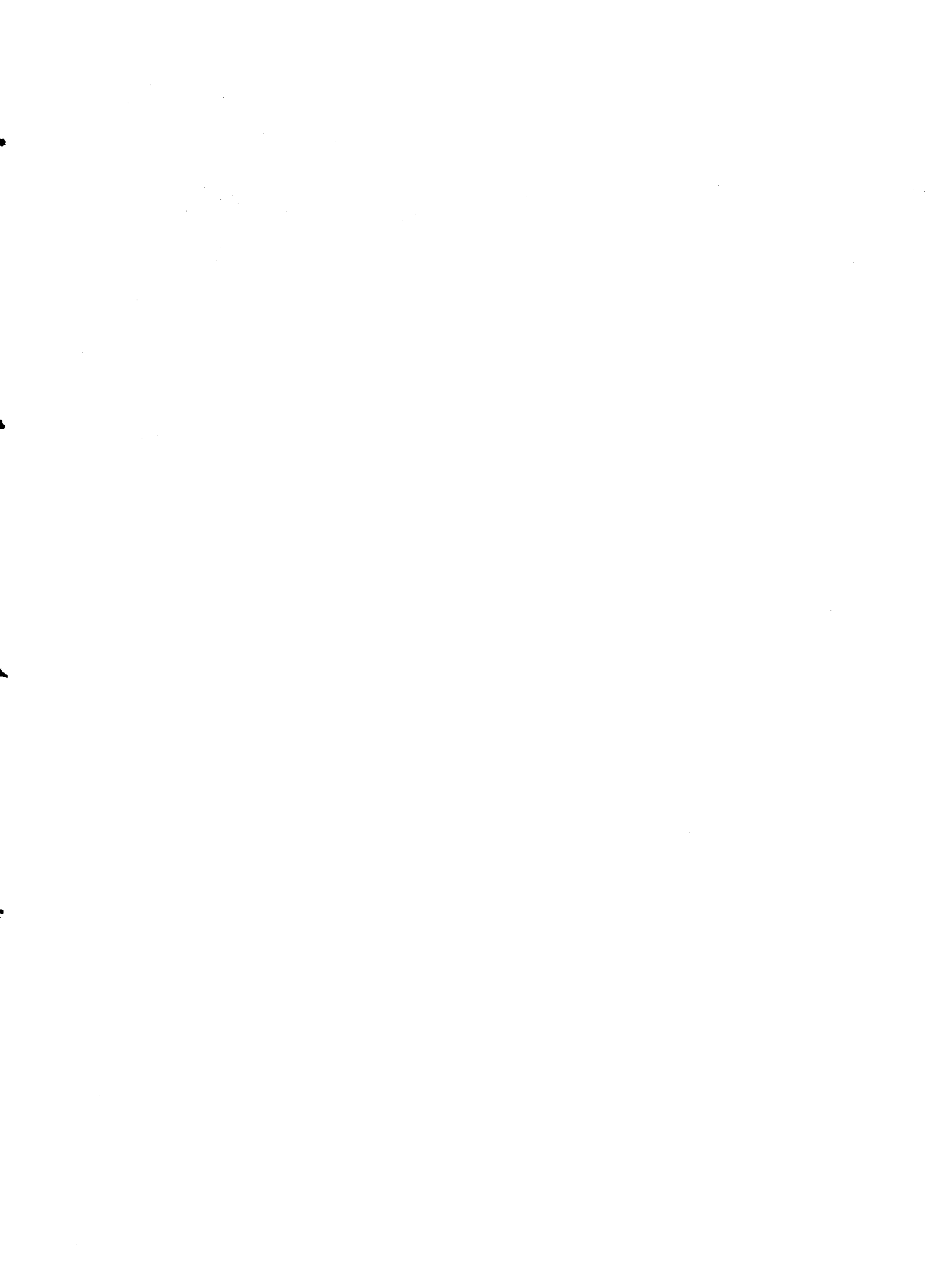
وإن تعلق هذا الجاهل وأمثاله بما ورد في مصنف عبد الرازق من الحديث الذى مفاده

أن أول المخلوقات نور محمد صلى الله عليه وسلم وأن المخلوقات الأخرى خلقت من ذلك النور . . . الخ ، فهو حديث موضوع مكذوب وقد تكلم عليه العلمــاء قديماً وحديثاً وبينوا أنه حديث باطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخر من علمته تكلم عن هذا الحديث وبين بطلانه الشيخ أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني ، فقد ألف رسالة حول هذا الحديث وبيان بطلانه سماها (تنبيه الحذاق على بطلان ماشاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرازق) .

وقدم لهذه الرسالة وأثنى عليها فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (سابقاً) ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (حالياً) .

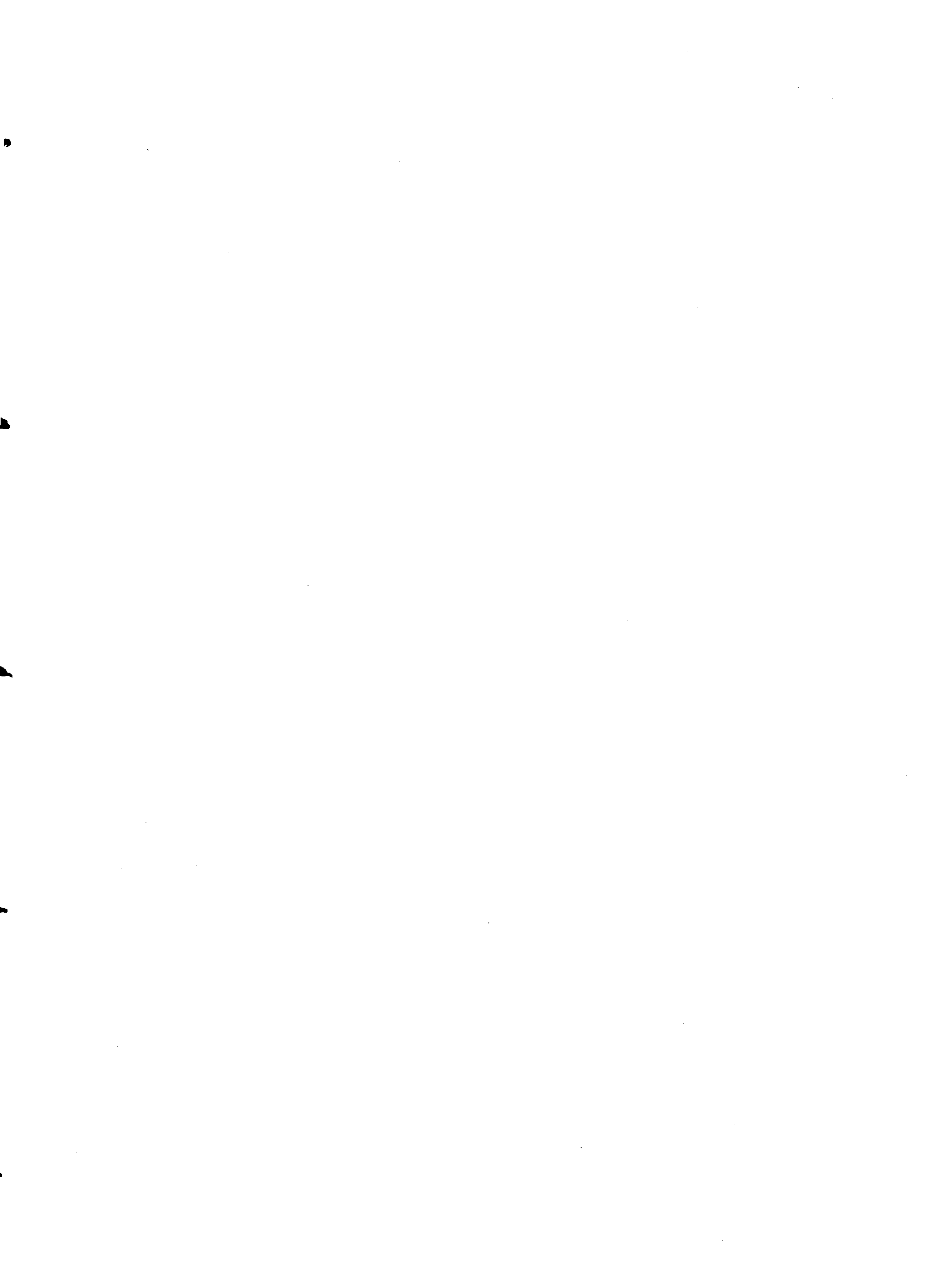
اللهم وفق المسلمين لاتباع هدى نبيك والسير على نهجه وهداه . .







م/٢٠ الجامعة الاسلامية





هذه كلمة ونصيحة أقدمها بالنيابة عن نفسي وزملائى بالإدارة الطبية للجامعة إلى أبنائنا الطلبة وأساتذتهم الأجلاء وزملائنا العاملين بالجامعة بغية النصيحة المفيدة خصوصا أن هناك أمراضا سارية في هذه الأيام وخلال الأيام القادمة ، ولنبدأ أولا بمرض الأنفلونزا .

ينتشر هذا المرض بسرعة كبيرة وتبدأ أعراضه بفتور شديد مع آلام بالعضلات والمفاصل وترتفع درجة الحرارة ، وقد يصاحبها احتقان شديد بالحلق .

ويجب على المصاب أن يستريح تماما بالفراش وأنصح أبناءنا الطلبة أن يتوجهوا للعلاج بمستشفى الجامعة ، ويراعى عدم ازدحام غرفة الطالب المريض منعاً لانتشار العدوى وأن يكثر المريض من شرب السوائل .

المرض الثاني هو مرض الكوليرا وهو مرض من الأمراض المعدية السريعة الانتشار ويتميز بإسهال وقيء شديدين مما يؤدى إلى فقدان كمية كبيرة من السوائل بالجسم وهذا يؤدى إلى هبوط حاد بالدورة الدموية للجسم وإذا لم يسعف المصاب على الفور فقد يؤدى به إلى الوفاة وفي هذه الحالة الوقاية خير من العلاج والإدارة الطبية بالجامعة تقوم بحملة تطعيم واسعة مرتين سنويا ، والتطعيم يعطى مناعة لمدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور . وحتى إذا أصيب الشخص تكون الأعراض مخففة ولكن لا تنس مع ذلك مراعاة الشروط الصحية وأهمها :

النظافة التامة – مراعاة غسل الأكل الطازج مثل الخضروات والفاكهة جيدا –

عزل الحالات المصابة وعدم الاختلاط ـ وتطعيم الحالات المعرضة لخطر الإصابة ـ مراعاة عدم تناول أى طعام من الباعة المتجولين لأن أغلبهم لا يخضع للاشتراطات الصحية .

كلمة أخيرة أوجهها لأبنائنا الطلبة راجيا لهم التوفيق والسداد بأذن الله :

تذكر أيها الطالب أن لبدنك عليك حقا . وأن العقل السليم في الجسم السليم ، وإليك بعض الإرشادات الصحية :

١ ـ الوقاية خير لك من العلاج وعليك ان تبادر إلى مستشفى الجامعة فور حدوث أى أعراض فهو في خدمتك ليلا ونهاراً .

ـ عليك أن تتجنب مخالطة المرضى .

٣ ـ بادر بالتطعيم ضد الأمراض المعدية في مستشفى الجامعة .

٣ ـ عليك مراعاة النظافة التامة وعدم تناول أى طعام من الباعة الجائلين .

٥ ـ عدم الإسراف في تناول أى أدوية إلا بإشراف الطبيب . وقد لاحظنا أن عددا كثيرا من أبنائنا الطلبة يسرفون في أخذ المقويات والفيتامينات ، ولكن اعلم أن الجسم لا يحتاج من هذه المواد إلا كميات بسيطة والزيادة عن حاجة الجسم تخرج مع الإفرازات ، كما أن هناك أنواعا معينة من الفيتامينات تؤدى إلى أضرار شديدة إذا زادت كميتها .

وفقنا الله جميعا ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

دكتور ـ حسين كامل طه
أخصائى الصدر بمستشفى الجامعة


أحداث
العالم الإسلامي



يبدو أن القاديانيين قرروا أن ينقلوا مركز نشاطهم الى لندن بعد أن غلبوا على أمرهم في باكستان . ففي يونيو ١٩٧٨ م ذهب المرزا ناصر احمد خليفة المتنبيء القادياني الى لندن مع حوالى مائتين من اتباعه وعقد فيها مؤتمرا عن وفاة المسيح . وقد بلغنا أنهم أعادوا فيه اقاويلهم الزائفة البالية عن وفاة المسيح وكونه مدفوناً في كشمير والتى ردت على وجوهم من قبل علماء المسلمين قديماً . وقد دونت تلك الردود في الكتب التي نقل بعضها الى الانجليزية وطبع ووزع قديماً بين المسلمين . فالقاديانيون ليس لديهم الآن الا ترديد ما قاله آباؤهم الأولون . وقد ردت عليهم كل تلك الأقاويل مراراً وتكراراً .

ولكن الجديد في الأمر أن الذين خاطبوهم من المسلمين في ذلك المؤتمر كانوا جيلا جديدا لا يعرف عن هذا الزيغ إلا القليل ولا يدرى عن تلك الردود التى قام بها علماء الإسلام على مزاعم المرزا غلام المتنبيء مستنيرين بكتاب الله وأحاديث رسوله وأقوال السلف الصالح . فظن القاديانيون أن الوقت موات للغارة الجديدة على رسالة الله الأخيرة . لذلك وجب على المسلمين ان ينهضوا مرة اخرى لمقاومة الفتنة ورد كيد الكافرين في ضوء الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الكرام .

ولما بلغ الشيخ منظور احمد شينيوتي الباكستاني أخبار المؤتمر المشئوم ونشر الدعايات

الواسعة عنه في بريطانيا وغيرها من البلدان ، اضطرب له اضطرابا شديداً وقرر متوكلا على الله ان يقيم مؤتمرا مماثلا في لندن وأن يدعو إليه علماء الإسلام للرد على مزاعم القاديانيين . فسافر فضيلته مع وفد من العلماء الى لندن في اليوم السادس من شهر يونيو واستقبل في مطار لندن من قبل لفيف من العلماء والعاملين في تلك البلاد . وبعد استراحة قليلة واصل السفر الى مدينة ما نشستر للاشتراك في اجتماع الأكاديمية الاسلامية فيها الذى كان مقرراً عقده في يومى الثامن والتاسع من شهر يوليو . وفيه قدم فضيلته الاقتراح عن عقد مؤتمر عن حياة المسيح الذى وافق عليه المشتركون بالاجماع وكونت لجنة في الحال لإعداد اللازم لهذا الغرض،وقد رأى فضيلته الشيخ منظور احمد بعد هذا القرار أن يتصل بمسلمى انجلترا لمعرفة مرئياتهم في هذ االأمر فقام بأسفار طارئة الى عدد من مدن انجلترا الهامة واتصل بالمسلمين المقيمين فيها وشرح لهم أهداف المؤتمر وأهميته كما اتصل بفضيلة الشيخ انعام الحسن وفضيلة الشيخ مسيح الله اللذين أيدافكرته ودعوا له بالتوفيق وللمؤتمر بالنجاح . وبعد هذه الاجراءات الأولية أعلن فضيلته عن انعقاد المؤتمر في المسجد الجامع المركزى الكائن في حديقة ريجنت بلندن في يومى التاسع والعشرين والثلاثين من شهر يوليو . وقد صدر هذا الأعلان في جريدتي جنك وملت الصادرتين بالأردية كما وضعت لافتات بارزة كثيرة في المساجد والجامعات والمصانع التى يعمل فيها المسلمون . ووزعت كذلك بطاقات دعوة بالأردية والأنجليزية على ما يقارب ألف شخص من المسلمين البارزين . وقد أثمرت هذه الجهود المكثفة لإنجاح المؤتمر أن حضر عدد كبير جداً من المستمعين من سائر مدن انجلترا .

وقد أبدت رابطة العالم الإسلامى اهتمامها بالمؤتمر فتلقى فضيلة الشيخ منظور احمد برقية من معالى أمينها العام الشيخ محمد على الحركان تمنى فيها النجاح للمؤتمر ، كما عين معاليه ممثل الرابطة في باريس للاشتراك في المؤتمر . وقد اشترك في المؤتمر فضيلة الشيخ مسيح الله الأمين العام لدار العلوم في جلال آباد بالهند وهو خليفة الشيخ أشرف على شهانوى العالم الهندى المعروف رحمه الله . ومن الذين أبدوا اهتمامهم الخاص بالمؤتمر سماحة الشيخ عبد الله على المحمود رئيس شئون الدعوة الاسلامية في الامارات العربية المتحدة فقد عين سماحته فضيلة الشيخ عبد الله عبد العزيز المصلح عميد كلية الشريعة

بأنها بالمملكة العربية السعودية ليمثل سماحته في المؤتمر . وقد دعا لنجاحه فضيلة الشيخ انعام الحسن ووعد بأنه سوف يدعو لنجاحه في الاجتماع الذى يعقد في باريس أيام انعقاد المؤتمر .

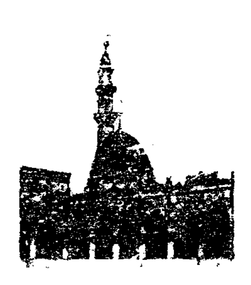
وكما علمتم أن الداعى الى المؤتمر هو فتضيلة الشيخ منظور احمد شينيوتي رئيس الجامعة العربية في شينيوت والأمين العام لادارة الدعوة المركزية فيها . وتولى الاشراف على شئون المؤتمر الأكاديمية الاسلامية في مانشستر ، وترأس جلساته الاستاذ الكبير دكتور زكى البدوى مدير مركز الثقافة الإسلامية في لندن والشيخ عبد الرحمن خليفة والشيخ عبد الرحمن كيملبورى رحمه الله . كما أن الشيخ محمد موسى أمين جمعية العلماء في بريطانيا والشيخ القارى بشير احمد الخطيب بمسجد شاه بهان بمدينة ووكنج توليا شئون امانة المؤتمر وعاونهما الشيخ عبد الرشيد ارشد مدير مجلة « الرشيد » في باكستان ومن الذين خطبوا في المؤتمر : الشيخ تقى عثماني عضو المجلس الاستشارى الاسلامى في باكستان والشيخ عبد الله عبد العزيز المصلح والدكتورخالد محمود والشيخ المناظر منظور احمــد شينيوتي وبروفيسور ابراهيم تركى والدكتور سعيد الروشن والشيخ منير هاشم والشيخ ابو المحمود نشتر والمفتى عبد الباقي والشيخ محمد بشير والشيخ امداد حسين . وقد صرح فضيلة الشيخ عبد الله المصلح في خطابه بأهمية المؤتمر وضرورته القصوى وطلب من مسلمى انجلترا ان ينشروا تفاصيله داخل انجلترا وخارجها

وقد شوهد المدعو طفيل امام الجماعة اللاهورية وكذلك مندوب القاديانيين يسجلان وقائع المؤتمر . وقد تحدث العلامة خالد محمود لمدة ساعتين وألقى الضـــوء الكافي على مشكلة القاديانية وفند مزاعمها الباطلة ، ثم قام في الأخير فضيلة الشيخ منظور احمد شينيوتي و دعا مرة أخرى الخليفة القادياني إلى المباهلة وقال : ولكنه لن يجرؤ لها أبداً . ثم استمر في حديثه فقال : إن صنيع الإنجليز عائد الى أهله . فقد تأكد لدى القاديانيين أنهم لا يستطيعون اقامة مثل مؤتمرهم المشئوم في أى بلد اسلامى ، لذلك اضطروا ان يعقدوه في انجلترا .

وفي نهاية المؤتمر أعلن أن مؤتمرا مماثلا سوف يعقد في مسجد شاه بهان بمدينة ووكنج في يومى الخامس والسادس من شهر اغسطس ، المسجد الذى كان لمدة ستين سنة تحت سيطرة القاديانيين . وقد انتهى بالدعاء والشكر لله على إنجاح المؤتمر ثم للعلماء والحضور الذين جاءوا من ديار بعيدة وتحملوا المشاق والمصاريف المالية الضخمة جهاداً في سبيل الله ومشاركة في القضاء على هذه الفتنة .

ترتيب : عبد الرشيد أرشد

ترجمة : محمد لقمان السلفى



كلا . . ليسوا مسلمين . .

في النشرة الاخبارية الأولى المذاعة من محطة لندن صباح الأربعاء ٢-١١-٩٨ أعلنت (أن الفرقة الأحمدية الاسلامية) قد قررت إنشاء ستة مساجد في بريطانيا .

تعليق المجلة :

الخبر عن إنشاء مساجد في الجزر البريطانية من حقه أن يبعث السرور في قلب السامع المسلم ، لأن ذلك محقق ولو للقليل من حاجة الجاليات الاسلامية هناك . ولكن الذى يثير الخواطر في هذا الخبر هو وصف المذيعة للفرقة الأحمدية هذه بأنها اسلامية . . وهى واحدة من دسائس الأذاعة البريطانية على الاسلام ، ذلك لأنها في مقدمة من يعلم مقررات علماء العالم الاسلامي من هذه الفرقة (القاديانية الاحمدية) بأنها خارجة عن الإسلام ، وانها احدى وسائل للصهيونية والاستعمار لتشوية وجهه ، وتغيير وجهته .

على أننا لا نلوم الاذاعة البريطانية على نصرة هذه الفرقة الضالة ، فهى ربيبة الاستعمار البريطاني منذ ولادتها ، وجدير به أن يحتضنها اليوم في شيخوختها . .

ولكن . . على الأذاعة البريطانية أن تعلم يقينا أن مثل هذا التضليل لن يجد سبيله بعد اليوم إلى خداع المسلمين ، ولن يطيل أجل عملائها الدجالين .

أول مؤتمر يبحث عن قضايا المدارس الاسلامية في الهند حوالى ١٩٥٢ من المندوبين والعلماء اشتركوا في المؤتمر

انعقد مؤتمر المدارس الاسلامية في ٣١ من مارس و ١، ٢ من ابريل ١٩٧٨ م في الجامعة الرحمانية بمونجير الهند – من اكبر المدارس الاسلامية في الهند وانتهى باحراز نجاح عظيم بعدما استعرض قضايا المدارس الاسلامية العربية في جلساته العديدة ، واشترك فيه حولى ١٩٥٢ من علماء المدارس والمسئولين عنها والشخصيات البارزة في الهند ، وقد كان الاجتماع منقطع النظير في تاريخ الهند الاسلامى والعلمى ، حيث إنه جمع كبار علـماء المسلمين ورؤساء الجامعات الكبرى والمؤسسات التعليمية الشهيرة والممثلين من كافة الطبقات والمنظمات الاسلامية في الهند ، كوفد من الجامعة الاسلامية دار العلوم ديوبند تحت رئاسة فضيلة الشيخ محمد طيب الموقر ووفد من ندوة العلماء تحت اشراف فضيلة الداعى الكبير الشيخ ابي الحسن على الندوى ووفد من الجامعة الاسلامية بعلى كره ، كما اشترك فيه فضيلة الاستاذ حامد حسين سكرتير الجماعة الاسلامية في الهند وغيرها من الوفود من مختلف أنحاء البلاد .

فعقدت الجلسة الاولى الافتتاحية في ٣١ مارس بتلاوة آى من الذكر الحكيم ، ثم قدم فضيلة الشيخ مجاهد الاسلام قاضى الشرع ورئيس اللجنة الترحيبية كلمة الترحيب رحب فيها بالمندوبين الوافدين من مناطق الهند المختلفة وأوضح فيها أهداف المؤتمر ، ثم تلا الأستاذ محمد ولى الرحماني سكرتير اللجنة الاستقبالية خطبة الافتتاح نيابة عن فضيلة امير الشريعة الشيخ منة الله الرحماني المحترم الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية الاسلامية لعموم الهند ، والخطبة كانت قيمة ذات أهمية بالغة حيث كانت تشتمل على أهمية العلوم الاسلامية والثقافة الدينية ومسئوليات علماء المسلمين ودور المدارس الدينية في مجالات الدعوة والتربية كما ألقى فيها ضوء كامل على القضايا المعقدة والمشاكل والازمات التى تواجهها المدارس في هذا الاوان وعلى مستقبل العلوم الدينية وطرق الحفاظ عليها .

وعقدت ست جلسات خطب فيها كبار العلماء ورجال العلم والدين من المدارس والجامعات الاسلامية المختلفة ومن جماعة المسلمين الممتازة وعبروا عن أفكارهم حول القضايا المعروضة للبحث ، واشترك في هذا البحث فضيلة الشيخ الفاضل محمد طيب المحترم رئيس دا رالعلوم ديوبند وفضيلة الداعي الشيخ ابو الحسن على الندوى المحترم والاستاذ زين العابدين سجاد رئيس القسم الديني بالجامعة الملية الاسلامية بدلهى (سابقا) والاستاذ الدكتور فضل الرحمن من جامعة كره والاستاذ حامد حسين الموقر سكرتير الجماعة الاسلامية في الهند والشيخ محمد زمان الحسيني والدكتورعطا كريم برق رئيس القسم العربي بجامعة كلكتا والشيخ الفاضل نظام الدين سكرتير الامـارة الشريعة والشيخ محمد هاشم الموقروالشيخ رحيم الدين من دارالعلومحيدر اباد والعلماء الآخرون .

واستمرت الجلسات في اليوم الثاني والثالث ، وألفت لجان مختلفة من العلماء والممثلين والمندوبين خلال المؤتمر ، وناقشت كل لجنة منها حول موضوعها وأخذت مبادىء اساسية ورتبتها ثم استعرضها المجلس العام وناقش حولها حتى اتخذها بصور أربع قرارات وافق عليها المؤتمر .

القـرارات

اتخذ المؤتمر قرارات وتوصيات هامة من اهمها ايجاد روح الوحدة والتعاون والتضامن وتوطيد العلاقات بين المدارس ورجالاتها ، ولتحقيق هذا وافق المؤتمرون على اقامة « منظمة المدارس الاسلامية » فتم تشكيل هذه المنظمة وتكون المنظمة حرة مستقلة عن الحكومة ، وهذه تنظم الامتحانات في جميع المدارس وترتب منهجا دراسيا وتحل قضايا المدارس ويكون محيطها المدارس في مناطق بيهار واريسا وبنغال .

واتخذ القرار الثاني عن مناهج الدراسة بعد اعادة النظر في مقرراتها السابقة وجاء في هذا القرار أنه لابد من الاعتناء الكامل والاهتمام الزائد بالتفسير ، و الحديث وأصولها والفقه وأصوله والعقائد والتاريخ الاسلامى وما إلى ذلك . وأنه لا بد من تغيير في المناهج المتداولة وأن يكون المنهج يشتمل على كتب تحدث في الطلبة ملكة وبصيرة في الفن سواء كانت كتب المتقدمين أو الكتاب والمؤلفين العصريين ، وكذلك من اللازم أن تدخل في المناهج التعليمية بعض العلوم العصرية المفيدة ليكون المتخرجون من تلك المدارس على خبرة تامة بقضايا العصر الحديث .

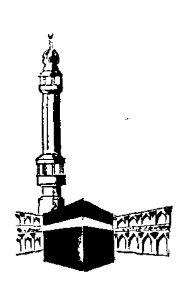
واتخذ القرار الثالث عن تنشيط دور المدارس وعلمائها في حقل الدعوة الاسلامية ومجالات الحياة المختلفة وايقاظ شعور الدعوة والتوجيه في الطلبة مع التعليم والتربية حيث إن المدارس قلاع منيعة للاسلام ولها مكانة مرموقة في أوساط المسلمين فلابد من أن تكون بين علمائها وموظفيها وبين عامة المسلمين علاقة وثيقة وأن يسعوا لايقاظ الوعي الاسلامى وتعميم الفكرة الاسلامية فيهم فقرر أن يقضي كل من الاساتذة والطلبة شهرا في السنة للدعوة الاسلامية .

واتخذ القرار الرابع عن تربية الاساتذة وأكد فيه على ضرورة اقامة مخيمات تربوية لذلك ، فجاء في هذا القرار أن يقام مقررات ، مقرر لثلاثة شهور ومقرر لعامين ويعد لذلك منهج تربوى وجيز ليقوم الأساتذة بواجبهم نحو الدراسة والتعليم على أحسن وجه .

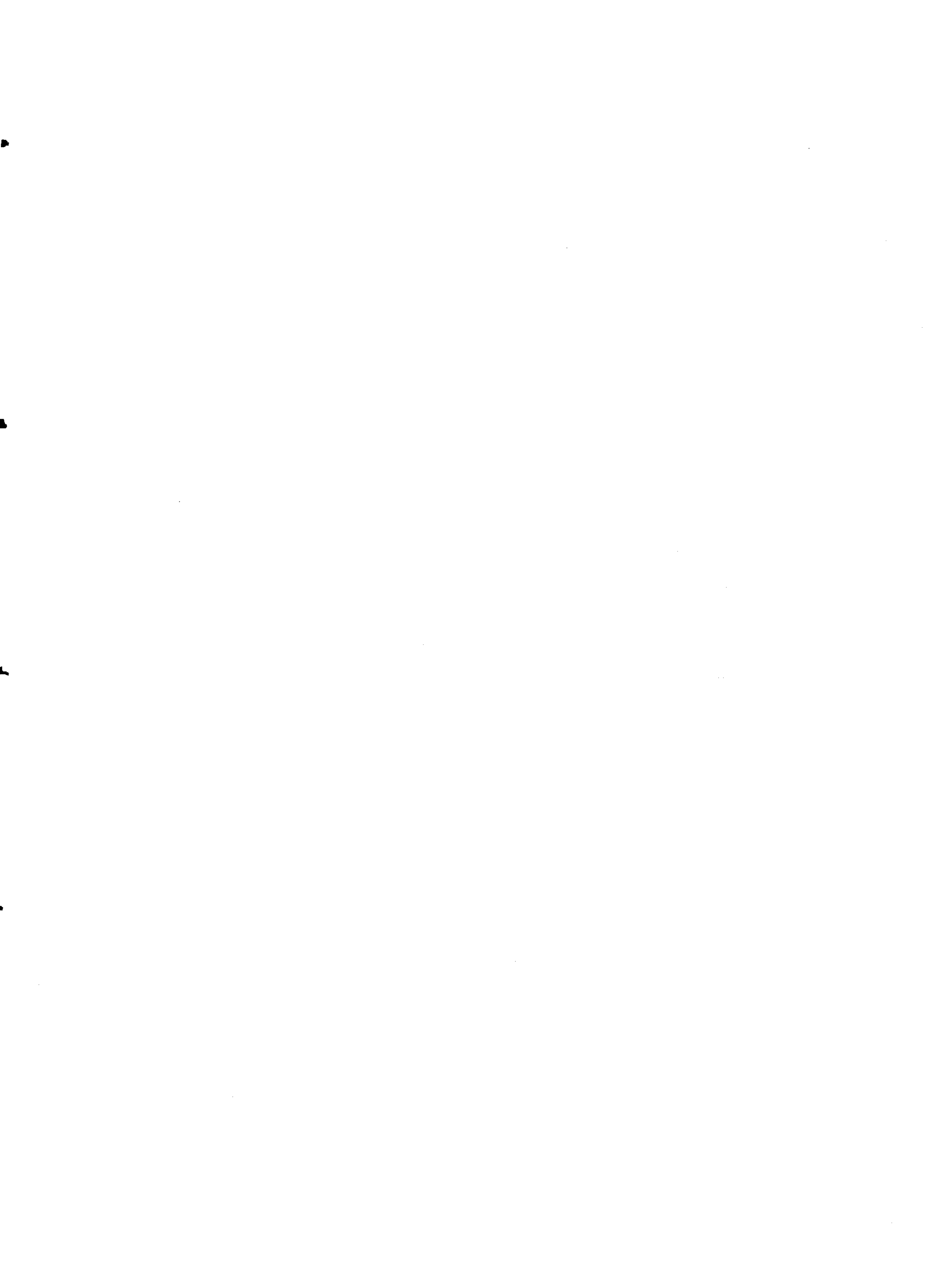
وتختار « منظمة المدارس الإسلامية « » خطوة واضحة وتتخذ برنامجا كاملا للنجاح ولتنفيذ هذه القرارات .

المرسل : نور الحق الرحماني

أستاذ الجامعة الرحمانية ــ وسكرتير النشر والاعلام للمؤتمر




من أعماق الكتب





(فصل)

وقد سلك المانعون من الفسخ طريقتين أخريين نذكرهما ونبين فسادهما الطريقة الأولى قالوا إذا اختلف الصحابة ومن بعدهم في جواز الفسخ فالاحتياط يقتضي المنع منه صيانة للعبادة عما لا يجوز فيها عند كثير من أهل العلم بل أكثرهم والطريقة الثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالفسخ ليبين لهم جواز العمرة في أشهر الحج لأن الجاهلية كانوا يكرهون العمرة في أشهر الحج وكانوا يقولون إذا أدبر الدبر وعفى الأثر وانسلخ صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالفسخ ليبين لهم جواز العمرة في أشهر الحج وهاتان الطريقتان باطلتان . أما الأولى فان الاحتياط انما يشرع اذا لم تتبين السنة فاذا تبينت فالاحتياط هو اتباعها وترك ما خالفها فان كان تركها لاجل الاختلاف احتياطا فترك ما خالفها واتباعها أحوط وأحوط فالاحتياط نوعان احتياط للخروج من خلاف العلماء واحتياط للخروج من خلاف السنة ولا يكفى رجحان أحدهما على الآخر وأيضا فان الاحتياط ممتنع هنا فان الناس في الفسخ ثلاثة أقوال . أحدها أنه محرم . الثاني أنه واجب وهو قول جماعة من السلف والخلف . الثالث أنه مستحب فليس الاحتياط بالخروج من خلاف من حرمه أولى بالاحتياط بالخروج من خلاف من أوجبه واذا تعذر الاحتياط بالخروج من الخلاف تعين الاحتياط بالخروج من خلاف السنة .

(فصل)

وأما الطريقة الثانية فأظهر بطلانا من وجوه عديدة . أحدها أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر قبل ذلك عمره الثلاث في أشهر الحج في ذى القعدة كما تقدم ذلك وهو أوسط أشهر الحج فكيف يظن أن الصحابة لم يعلموا جواز الاعتمار في أشهر الحج الا بعد أمرهم بفسخ الحج الى العمرة وقد تقدم فعله لذلك ثلاث مرات الثاني أنه قد ثبت في الصحيحين أنه قال لهم عند الميقات من شاء أن يهل بعمرة فليفعل ومن شاء أن يهل بحجة فليفعل ومن شاء أن يهل بحج و عمرة فليفعل فبين لهم جواز الاعتمار في أشهر الحج عند الميقات وعامة المسلمين معه فكيف لم يعلموا جوازها إلا بالفسخ ولعمر الله ان لم يكونوا يعلمون جوازها بذلك فهم أجدر أن لا يعلموا جوازها بالفسخ . الثالث أنه أمر من لم يسق الهدى أن يتحلل وأمر من ساق الهدى أن يتم على احرامه حتى يبلغ الهدى محله ففرق بين محرم ومحرم وهذا يدل على أن سوق الهدى هو المانع من التحلل لا مجرد الاحرام الأول والعلة التى ذكروها لا تختص بمحرم دون محرم فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل التأثير في الحل وعدمه للهدى وجوداً وعدما لا لغيره . الرابع أن يقال اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قصد مخالفة المشركين كان هذا دليلا على أن الفسخ أفضل لهذه العلة لانه اذا كان انما أمرهم بذلك لمخالفة المشركين كان هذا دليلا على أن الفسخ يكون مشروعا الى يوم القيامة اما وجوبا واما استحبابا فان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وشرعه لأمته في المناسك مخالفة لهدى المشركين هو مشروع الى يوم القيامة اما وجوبا أو استحبابا فان المشركين كانوا يفيضون من عرفة قبل غروب الشمس وكانوا لا يفيضون من مزدلفة حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال خالف هدينا هدى المشركين فلم نفض من عرفة حتى غربت الشمس وهذه المخالفة اما ركن كقول مالك واما واجب يجبره دم كقول أحمد وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله في أحد القولين واما سنة كالقول الآخر له والافاضة من مزدلفة قبل طلوع الشمس سنة باتفاق المسلمين وكذلك قريش كانت لا تقف بعرفة بل تفيض من جمع فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بعرفات وأفاض منها في ذلك نزل قوله تعالى : «ثم افيضوا من حيث أفاض الناس» وهذه المخالفة من أركان الحج باتفاق المسلمين فالامور التى خالف فيها المشركين

هى الواجب أو المستحب ليس فيها مكروه فكيف يكون فيها محرم وكيف يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بنسك يخالف نسك المشركين مع كون الذى نهاهم عنه أفضل من الذى أمرهم به أو يقال من حج كما حج المشركون فلم يتمتع فحجه أفضل من حج السابقين الأولين من المهاجرين والانصار بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . الخامس أنه قد ثبت في الصحيحين عنه أنه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وقيل له عمر تنا هذه لعامنا هذا أم للابد فقال لا بل لأبد الأبد دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وكان سؤالهم عن عمرة الفسخ كما جاء صريحا في حديث جابر الطويل قال حتى اذا كان آخر طواف على المروة قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن مالك فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم للابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد الأبد وفي لفظ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صبح رابعة مضت من ذى الحجة فأمرنا أن نحل فقلنا لما لم يكن بيننا وبين عرفة الا خمس أمرنا أن نفضى الى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المنى فذكر الحديث وفيه فقال سراقة بن مالك لعامنا هذا أم للابد وفي صحيح البخارى عنه أن سراقة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ألكم خاصة هذه يا رسول الله قال بل للأمة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تلك العمرة التى فسخ من فسخ منهم حجه اليها للابد وأن العمرة دخلت في الحج الى يوم القيامة وهذا يبين أن عمرة التمتع بعض الحج وقد اعترض بعض الناس على الاستدلال بقوله بل لأبد الابد باعتراضين . أحدهما أن المراد ان سقوط الفرض بها لا يختص بذلك العام بل يسقطه الى الابد وهذا الاعتراض باطل فانه لو أراد ذلك لم يقل للابد فان الابد لا يكون في حق طائفة معينة بل انما يكون لجميع المسلمين ولانه قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ولانهم لو أرادوا بذلك السؤال عن تكرار الوجوب لما اقتصروا على العمرة بل كان السؤال عن الحج ولانهم قالوا له عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للابد ولوأرادوا تكرار وجوبها كل عام لقالوا له كما قالوا له في الحج أكل عام يا رسول الله ولأجابهم بما أجابهم به في الحج بقوله ذروني ما تركتكم لو قلت نعم لوجب ولانهم قالوا له هذه لكم خاصة فقال بل لابد الابد. هذا السؤال والجواب صريحان في عدم الاختصاص

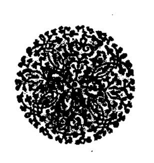
الثاني قوله ان ذلك انما يريد به جواز الاعتمار في أشهر الحج وهذا الاعتراض أبطل من الذى قبله فان السائل انما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فيه عن المتعة التى هى فسخ الحج لا عن جواز العمرة في أشهر الحج لانه انما سأله عقب أمره من لا هدى معه بفسخ الحج فقال له حينئذ هذا لعامنا أم للابد فأجابه صلى الله عليه وسلم عن نفس ما سأله عنه لا عما لم يسأله عنه وفي قوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة عقب أمره من لا هدى معه بالاحلال بيان جلى أن ذلك مستمر الى يوم القيامة فبطل دعوى الخصوص وبالله التوفيق . السادس أن هذه العلة التى ذكرتموها ليست في الحديث ولا فيه اشارة اليها فان كانت باطلة بطل اعتراضكم بها وان كانت صحيحة فانها لا تلزم الاختصاص بالصحابة بوجه من الوجوه بل ان صحت اقتضت دوام معلومها واستمراره كما أن الرمل شرع ليرى المشركين قوته وقوة أصحابه واستمرت مشروعيته الى يوم القيامة فبطل الاحتجاج بتلك العلة على الاختصاص بهم على كل تقدير . السابع أن الصحابة رضى الله عنهم اذا لم يكتفوا بالعلم بجواز العمرة في أشهر الحج على فعلهم لها معه ثلاثة أعوام ولا بأذنه لهم عند الميقات حتى يأمر بفسخ الحج الى العمرة فمن بعدهم أحرى أن لا يكتفى بذلك حتى يفسخ الحج الى العمرة اتباعا لامر النبي صلى الله عليه وسلم واقتداء بالصحابة الا أن يقول قائل انا نحن نكتفى من ذلك بدون ما اكتفى به الصحابة ولا نحتاج في الجواز الى ما احتاجوا هم اليه وهذا جهل نعوذ بالله منه . الثامن أنه لا ظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر أصحابه بالفسخ الذى هو حرام ليعلمهم بذلك مباحا يمكن تعليمه بغير ارتكاب هذا المحظور وبأسهل منه بيانا وأوضح دلالة وأقل كلفة فان قيل لم يكن الفسخ حين أمرهم به حراما قيل فهو اذاً إما واجب أو مستحب وقد قال بكل واحد منهما طائفة فمن الذى حرمه بعد إيجابه أو استحبابه وأى نص أو إجماع رفع هذا الوجوب أو الاستحباب فهذه مطالبة لا محيص عنها . التاسع أنه صلى الله عليه وسلم قال لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولجعلتها عمرة أفترى تجدد له صلى الله عليه وسلم عند ذلك العلم بجواز العمرة في أشهر الحج حتى تأسف على فواتها هذا من أعظم المحال . العاشر أنه أمر بالفسخ الى العمرة من كان أفرد ومن قرن ولم يسق الهدى ومعلوم أن القارن قد اعتمر في أشهر الحج مع حجته فكيف أمره بفسخ قرانه الى عمرة ليبين جواز العمرة في أشهر الحج وقد

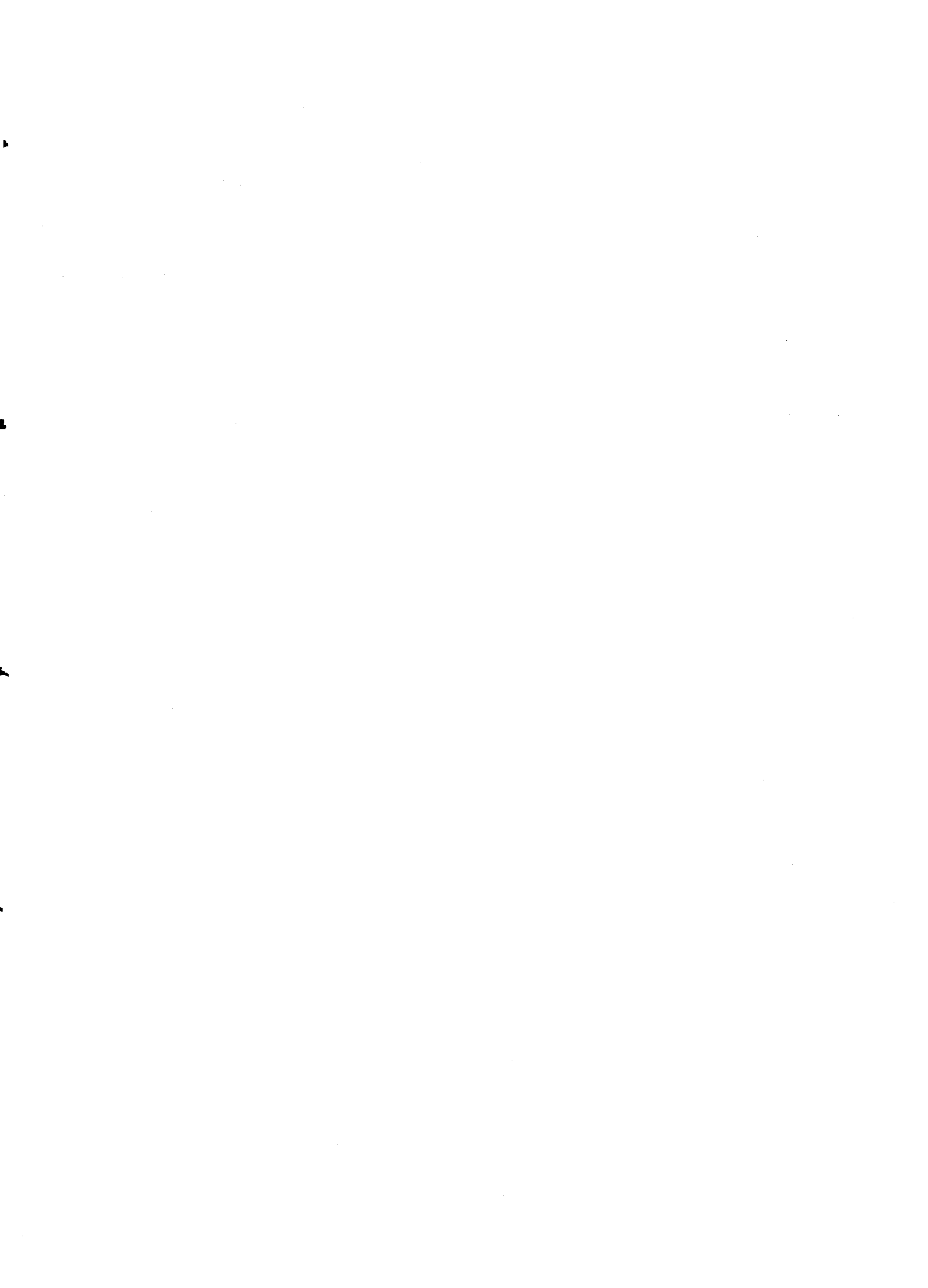
أتي بها وضم اليها الحج . الحادى عشر أن فسخ الحج الى العمرة موافق لقياس الأصول لا مخالف لها ولو لم يرد به النص لكان القياس يقتضى جوازه فجاء النص به على وفق القياس قاله شيخ الاسلام ويقرره بأن المحرم اذا التزم أكثر مما كان لزمه جاز باتفاق الأئمة فلو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج جاز بلا نزاع واذا أحرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة لم يجز عند الجمهور وهو مذهب مالك وأحمد والشافعى رحمهم الله في ظاهر مذهبه وأبو حنيفة يجوز ذلك بناء على أصله في أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين . قال وهذا قياس الرواية المحكية عن أحمد في القارن أنه يطوف طوافين ويسعى سعيين واذا كان كذلك فالمحرم بالحج لم يلتزم الا بالحج فاذا صار متمتعا صار ملتزما لعمرة وحج فكان ما التزمه بالفسخ أكثر مما كان عليه فجاز ذلك ولما كان أفضل كان مستحبا وانما أشكل هذا على من ظن انه فسخ حجا الى عمرة وليس كذلك فانه لو أراد أن يفسخ الحج الى عمرة مفردة لم يجز بلا نزاع وانما الفسخ جائز لمن كان من نيته أن يحج بعد العمرة والمتمتع من حين يحرم بالعمرة فهو داخل في الحج كما قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ولهذا يجوز له أن يصوم الأيام الثلاثة من حين أن يحرم بالعمرة فدل على أنه في تلك الحال في الحج وأما احرامه بالحج بعد ذلك فكما يبدأ الجنب بالوضوء ثم يغتسل بعده وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل إذا اغتسل من الجنابة وقال للنسوة في غسل ابنته ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها فغسل مواضع الوضوء بعض الغسل فان قيل هذا باطل لثلاثة أوجه. أحدها أنه اذا فسخ استفاد بالفسخ حلا كان ممنوعا منه باحرامه الأول فهو دون ما التزمه . الثاني أن النسك الذى كان قد التزمه أولا أكمل من النسك الذى فسخ اليه ولهذا لا يحتاج الاول الى جبران والذى يفسخ اليه يحتاج الى هدى جبرانا له ونسك لا جبران فيه أفضل من نسك مجبور . الثالث أنه اذا لم يجز ادخال العمرة الى الحج فلا يجوز إبداله بها وفسخه اليها بطريق الأولى والأحرى . فالجواب عن هذه الوجوه من طريقين بمجمل ومفصل . أما المجمل فهو أن هذه الوجوه اعتراضات على مجرد السنة والجواب عنها بالتزام تقديم الوحى على الآراء وأن كل رأى يخالف السنة فهو باطل قطعا وبيان بطلانه لمخالفة السنة الصحيحة الصريحة له والآراء تبع للسنة وليست السنة تبعا للاراء . وأما المفصل وهو الذى نحن بصدده فانا التزمنا أن الفسخ على وفق

القياس فلابد من الوفاء بهذا الالتزام وعلى هذا فالوجه الاول جوابه بان التمتع وان تخلله الاحلال فهو أفضل من الافراد الذى لا حل فيه لأمر النبى صلى الله عليه وسلم من لا هدى معه بالاحرام به ولامره أصحابه بفسخ الحج اليه ولتمنيه أنه كان أحرم به ولانه النسك المنصوص عليه في كتاب الله ولان الأمة أجمعت على جوازه بل على استحبابه واختلفوا في غيره على قولين فان النبى صلىالله عليه وسلم غضب حين أمرهم بالفسخ اليه بعد الاحرام بالحج فتوقفوا ولانه من المحال قطعا أن يكون حج قط أفضل من حجة خير القرون وأفضل العالمين مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد أمرهم كلهم بأن يجعلوها متعة الا من ساق الهدى فمن المحال أن يكون غير هذا الحج أفضل منه إلا حج من قرن وساق الهدى كما اختاره الله سبحانه لنبيه فهذا هو الذى اختاره الله لنبيه واختار لاصحابه بالتمتع فأى حج أفضل من هذين ولانه من المحال أن ينقلهم من النسك الفاضل إلى المفضـــول المرجوح ولوجوه أخر كثيرة ليس هذا موضعها فرجحان هذا النسك أفضل من البقاء على الاحرام الذى يفوته بالفسخ وقد تبين بهذا بطلان الوجه الثاني وأما قولكم انه نسك مجبور بالهدى فكلام باطل من وجوه . أحدها أن الهدى في التمتع عبادة مقصودة وهو من تمام النسك وهو دم شكران لا دم جبران وهو بمنزلة الاضحية للمقيم وهو من تمام عبادة هذا اليوم فالنسك المشتمل على الدم بمنزلة العيد المشتمل على الأضحية فانه ما تقرب الى الله في ذلك اليوم بمثل إراقة دم سائل وقد روى الترمذى وغيره من حديث أبي بكر الصديق أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الأعمال أفضل فقال العج والثج والعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دم الهدى فان قيل يمكن المفرد أن يحصل هذه الفضيلة . قيل مشروعيتها انما جاءت في حق القارن والمتمتع وعلى تقدير استحبابها في حقه فأين ثوابها من ثواب هدى المتمتع والقارن ، الوجه الثاني أنه لو كان دم جبران لما جاز الأكل منه وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أكل من هديه فانه أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فأكل من لحمها وشرب من مرقها وان كان الواجب عليه سبع بدنة فانه أكل من كل بدنة من المائة واالواجب فيها مشاع لم يتعين بقسمة وأيضا أنه قد ثبت في الصحيحين أنه أطعم نساءه من الهدى الذى ذبحه عنهن وكن متمتعات احتج به الامام احمد فثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنه أهدى عن نسائه ثم أرسل اليهن من الهدى الذى ذبحه عنهن وأيضا فان الله سبحانه وتعالى قال فيما ذبح بمنى من الهدى فكلوا منها

وأطعموا البائس الفقير وهذا يتناول هدى التمتع والقران قطعا ان لم يختص به فان المشروع هناك ذبح هدى المتعة والقران ومن هنا ـ والله أعلم ـ أمر النبي صلى الله عليه وسلم من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر امتثالا لأمر ربه بالأكل ليعم به جميع هديه . الوجه الثالث أن سبب الجبران محظور في الأصل فلا يجوز الاقدام عليه إلا لعذر فانه اما ترك واجب أو فعل محظور والتمتع مأمور به إما أمر ايجاب عند طائفة كابن عباس وغيره أو أمر استحباب عند الأكثرين فلو كان دمه دم جبران لم يجز الاقدام على سببه بغير عذر فبطل قولهم إنه دم جبران وعلم أنه دم نسك وهذا وسع الله به على عباده وأباح لهم بسببه التحلل في أثناء الأحرام لما في استمرار الاحرام عليهم من المشقة فهو بمنزلة القصر والفطر فيالسفر وبمنزلة المسح على الخفين وكان من هدى النبي صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه فعل هذا وهذا والله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتي معصيته فمحبته لاخذ العبد بما يسره عليه وسهله له مثل كراهته منه لارتكاب ماحرمه عليه ومنعه منه والهدىوان كان بدلا عن ترفهه بسقوط أحد السفرين فهو أفضل لمن قدم في أشهر الحج من أن يأتي بحج مفرد ويعتمر عقيبه والبدل قد يكون واجبا كالجمعة عند من جعلها بدلا وكالتيمم لعاجز عن استعمال الماء فانه واجب عليه وهو بدل فاذا كان البدل قد يكون واجبا فكونه مستحبا أولى بالجواز وتخلل الاحلال لا يمنع أن يكون الجميع عبادة واحدة كطواف الافاضة فانه ركن بالاتفاق ولا يفعل إلا بعد التحلل الأول وكذلك رمى الجمار أيام منى وهو يفعل بعد الحل التام وصوم رمضان يتخلله الفطر في لياليه ولا يمنع ذلك أن يكون عبادة واحدة ولهذا قال مالك وغيره انه يجزىء بنية واحدة للشهر كله لانه عبادة واحدة والله أعلم .

« من زاد المعاد للامام ابن القيم »







صورة طبق الأصل عن كتاب جورج الثاني ملك انكلترا والفال ـ فرنسا والسويد والنرويج الى خليفة المسلمين في مملكة الاندلس هشام الثالث . .

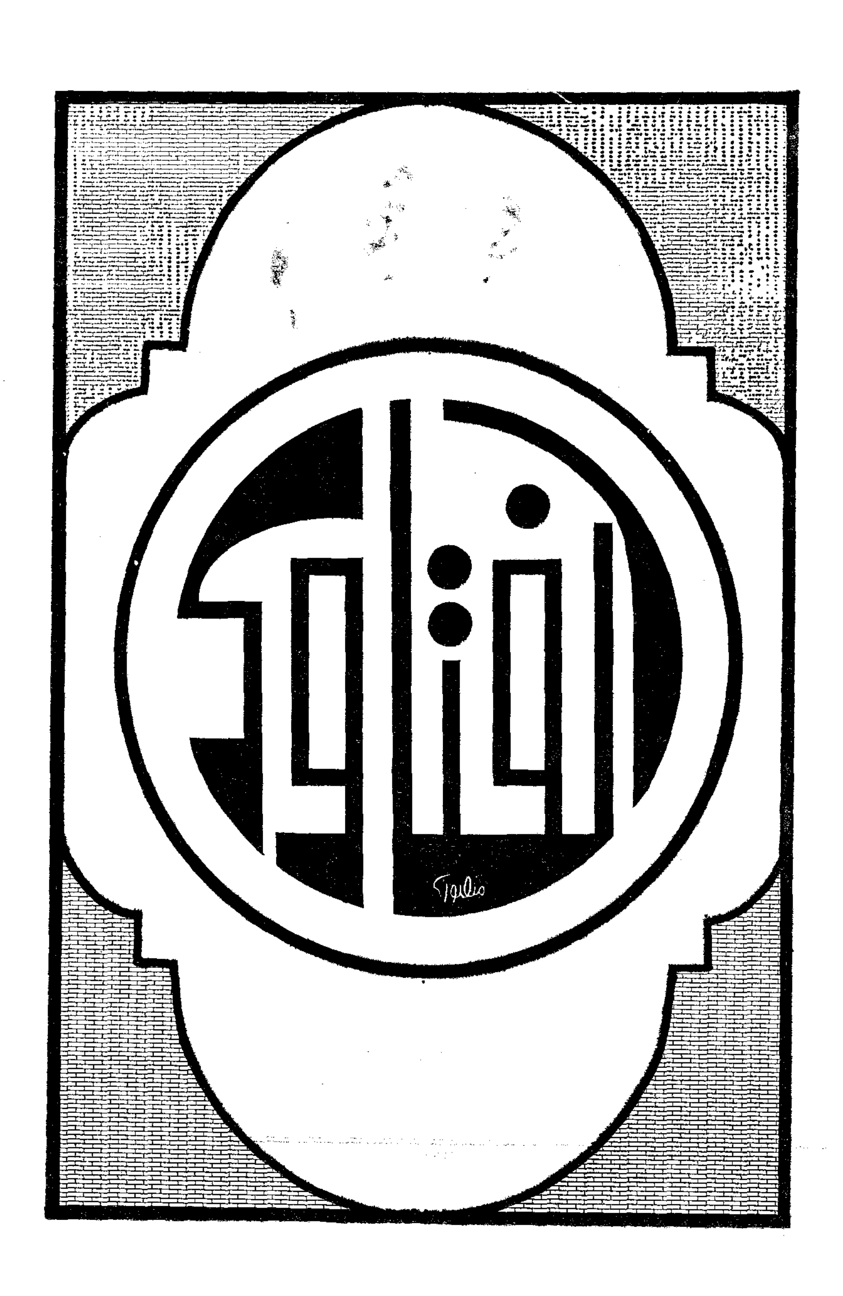
صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام . .

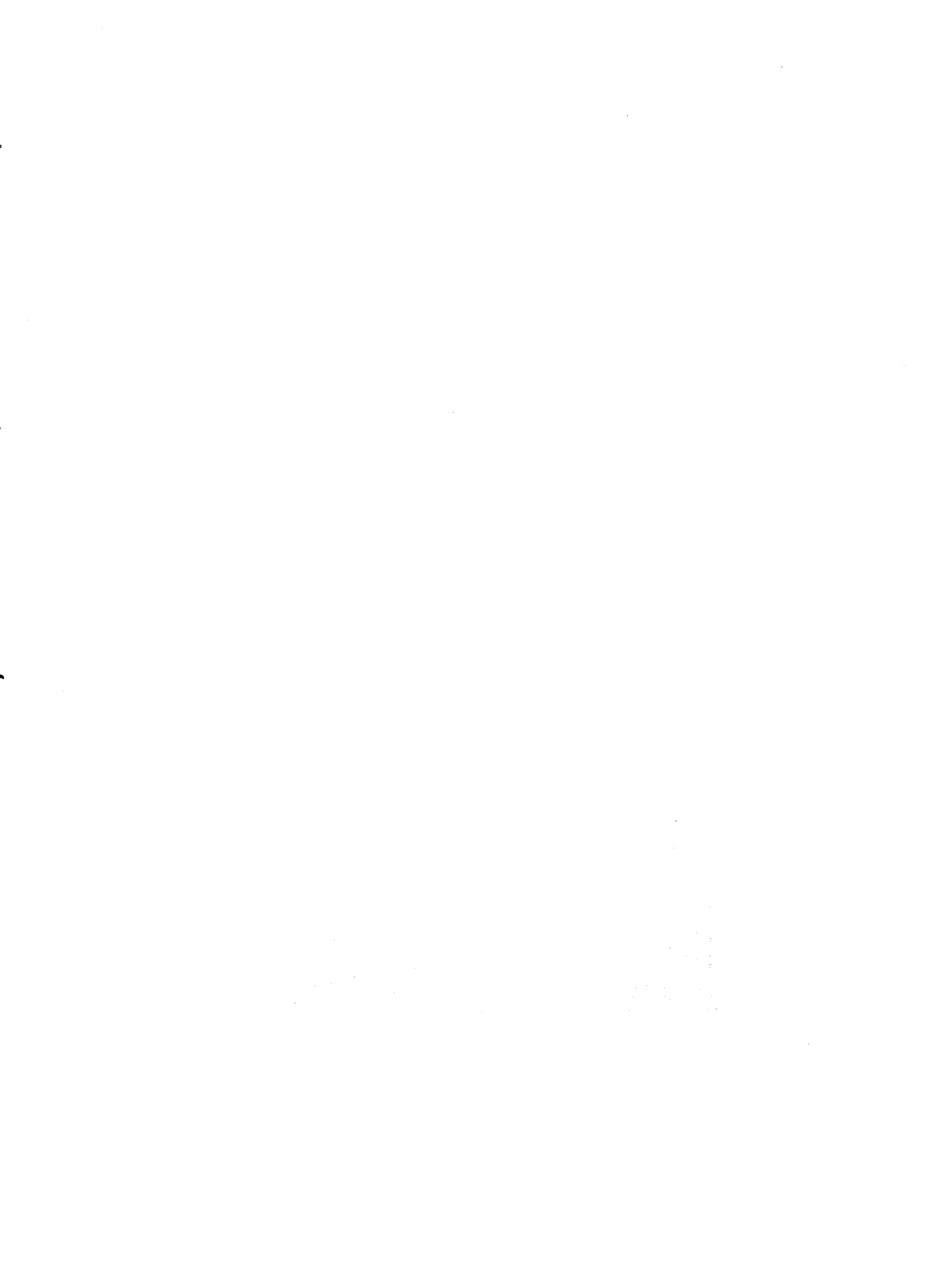
بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء اثركم لنشر نور العلم في بلادنا التى يحتاجها الجهل من اركانها الأربعة . وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات اشراف الانكليز لتتشرف بلثم اهداب العرش والتماس العطف ولتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل . . أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص . .

من خادمكم جورج

من كتاب (دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي) تأليف محمد الشاذلي الخولي .

المجلة : أولئك آبائى فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا أخي المجامع





السؤال الأول : ما هو الأفضل أن يكون بين العمرة والعمرة للرجال والنساء ؟

والجواب : لا نعلم في ذلك حدا محدودا بل تشرع في كل وقت لقول النبي صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة متفق على صحته فكلما تيسر للرجل والمرأة أداء العمرة فذلك خير وعمل صالح وثبت عن امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه أنه قال العمرة في كل شهر وهذا كله في حق من يقدم الى مكة من خارجها أما من كان في مكة فالأفضل له الاشتغال بالطواف والصلاة وسائر القربات وعدم الخروج الى خارج الحرم لاداء العمرة اذا كان قد أدى عمرة الأسلام وقد يقال باستحباب خروجه الى خارج الحرم لاداء العمرة في الأوقات الفاضلة كرمضان لقول النبي صلى الله عليه وسلم عمرة رمضان تعدل حجة ولكن يجب أن يراعى في حق النساء عنايتهن بالحجاب والبعد عن أسباب الفتنة وطوافهن من وراء الناس وعدم مزاحمة الرجال على الحجر الأسود فان كن لا يتقيدن بهذه الأمور الشرعية فينبغى عدم ذهابهن الى العمـــرة لأنه يترتب على اعتمارهن مفاسد تضرهن وتضر المجتمع وتربو على مصلحة أدائهن العمرة اذا كن قد ادين عمرة الأسلام والله سبحانه وتعالى أعلم . .

الثاني : دخول المرأة مكة للطواف في ليالى الجمع وغيرها مع ما تعلمون من الازدحام

والجواب : ـ

تقدم في جواب السؤال الأول ما يدل على أن عدم دخول النساء الى مكة من أجل الطواف أفضل من دخولهن لأنهن في الأغلب لا يحصل منهن التحجب المشروع ولا يحصل منهن التحرز من مزاحمة الرجال عند الحجر وغيره وبذلك يعلم أن عدم دخولهن أولى وأفضل من دخولهن لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح لاسيما والمصلحة في دخولهن تخصهن والمضرة الحاصلة بذلك تضرهن وغيرهن كما هو ظاهر من حال النساء اليوم الا من رحم الله .

السؤال الثالث: تكرار الحج مع مايحصل فيه من الزحام واختلاط الرجال بالنساء فهل

الأفضل للمرأة ترك الحج اذا كانت قد قضت فرضها وربما تكون قد حجت مرتين أو أكثر ؟

الجواب : لا شك أن تكرار الحج فيه فضل عظيم للرجال والنساء ولكن بالنظر الى الزحام الكثير في هذه السنين الأخيرة بسبب تيسر المواصلات واتساع الدنيا على الناس واختلاط الرجال بالنساء في الطواف وأماكن العبادة وعدم تحرز الكثير منهن عن أسباب الفتنة ، نرى أن عدم تكرارهن الحج أفضل لهن وأسلم لدينهن وا بعد عن المضرة على المجتمع الذى قد يفتن ببعضهن . وقد سبق في جواب السؤال الأول والثاني ما يؤيد ما ذكرنا وهكذا الرجال اذا أمكن ترك الاستكثار من الحج لقصد التوسعة على الحجاج وتخفيف الزحام عنهم . فنرجو أن يكون أجره في الترك أعظم من أجره في الحج اذا كان تركه له بسبب هذا القصد الطيب ولا سيما إذا كان حجه يترتب عليه حج اتباع له قد يحصل بحجهم ضرر كثير على بعض الحجاج لجهلهم أو عدم رفقهم وقت الطواف والرمى وغيرهما من العبادات التى يكون فيها ازدحام والشريعة الأسلامية الكاملة مبنية على أصلين عظيمين أحدهما العنـــاية بتحصيل المصالح الأسلامية وتكميلها ورعايتها حسب الأمكان .

الثاني : العناية بدرء المفاسد كلها أو تقليلها وأعمال المصلحين والدعاة الى الحق وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام تدور بين هذين الأصلين وعلى حسب علم العبد بشريعة الله سبحانه واسرارها ومقاصدها وتحريه لما يرضى الله ويقرب لديه واجتهاده في ذلك يكون توفيق الله له سبحانه وتسديده اياه في أقواله وأعماله . وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لكل ما فيه رضاه وصلاح أمر الدين والدنيا انه سميع قريب .

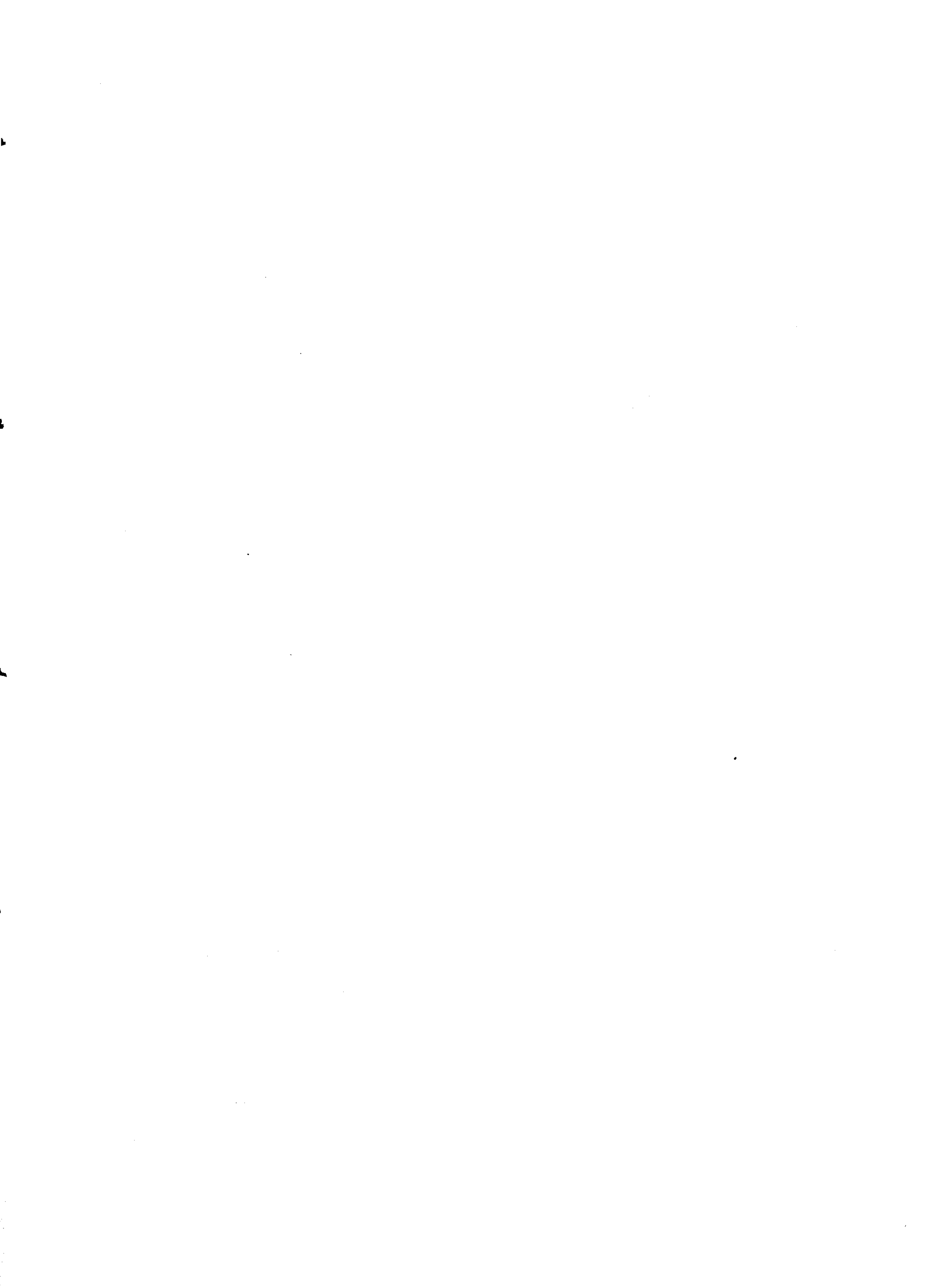
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام

لأدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والأرشاد



مختارات من
الصحف
الندوة
عكاظ
الرياض
المدينة
الجزيرة
البلاد



– يستفاد مما نشر في جريدة العرب القطرية الصادرة بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٧٨، أن هناك اتجاها لتنفيذ مشروع المدارس المختلطة ، حيث يجلس الطالب إلى جانب الطالبة في مدرسة واحدة ، وذلك في العام الدراسى الجديد .

ومما تجدر الاشارة إليه أن المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى أصدر قراراً موجها لجميع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية بمنع الاختلاط بين الذكور والاناث في جميع المراحل التعليمية . . و – المجتمع – تأمل أن تستجيب حكومة قطر الشقيق إلى هذا النداء وتعمل على إلغاء المشروع الاختلاطى ، الذى تروج له الصحف العميلة .

وليتعظ الاخوة بما سببه هذا النظام الدراسى من مآسى ومفاسد ، فالتجربة الغربية ماثلة أمامكم ، وتجربة جامعة الكويت . . لا بد وأن تردع كل من تهمه مصلحة الأمة وأخلاق جيل المستقبل . (المجتمع الكويتية) . .

– فرغت لجنة تعديل القوانين السودانية . من وضع قانون خاص بحظر الخمر . . القانون يحظر استيرادها وتصنيعها ويحدد عقوبة شاربها وبائعها . . ويضع تدرجا زمنيا لتطبيق العقوبات . . وقدمت اللجنة توصيات بشأن الفئات التى لا ينطبق عليها القانون من اللادينيين . . والمجوس . . وكذلك بالنسبة للمصانع القائمة وتحويلها إلى مصنوعات أخرى مفيدة . . هذا القانون سيقدم لمجلس الشعب في أكتوبر القادم .

– اشتبكت كتيبة من المجاهدين مع القوات المسلحة الحكومية في قرية تكلام المدمرة بمحافظة كنرها . فقتل وجرح عدد كبير نحو ألف ومائتين من الجنود الحكوميين بسبب إطلاق النيران عليهم من قبل المجاهدين وانفجار شحنات كبيره من المتفجرات التى كانت تحملها سيارات النقل الحكومية لتدمير قرى المجاهدين . وقد ترك الجنود مواقعهم نتيجة لضغط المجاهدين عليهم وآثروا الفر على الكر وتركوا وراءهم كميات من الأسلحة استولى عليها المجاهدون . فارسلت الحكومة الظالمة سربا من الطائرات لضرب مواقع المجاهدين . ولكن العملية فشلت حيث إن خمسة من الطيارين التجأوا بطائراتهم إلى باكستان ورجعت الطائرات الأخرى بلا جدوى .

واسقطت طائرة هليكوبتر برشاشة أحد المجاهدين .

هذا – وقد اغتيل أربعة عشر شخصا من الخبراء الروس من قبل أشخاص مجهولين في مدينة كابل ونكرهار وبكتيا .

وطلبت عصابة تركى من الاتحاد السوفيتي أن تبعث إلى افغانستان ألفين وستمائة من الفتيات العاهرات لنشر الرذيلة بين الشباب الافغان .

– فشلت محاولة انقلابية قامت بها كتيبة من القوات المدرعة في ٢٦ من شهر شعبان بكابل للاطاحة بعصابة تركى .   (الرائد الهندية) .

– أجرت مجلة « الميديل ايست » مقابلة مع طه الجزراوى عضو مجلس قيادة الثورة العراقي وذلك عندما رأس الوفد العراقي الى مؤتمر دول الرفض الذى عقد في طرابلس في ديسمبر الماضى ويعتبر طه الجزراوى واحدا من ذوي النفوذ في القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث العراقي ويشغل اليوم منصب وزير الاسكان في الحكومة الحالية .

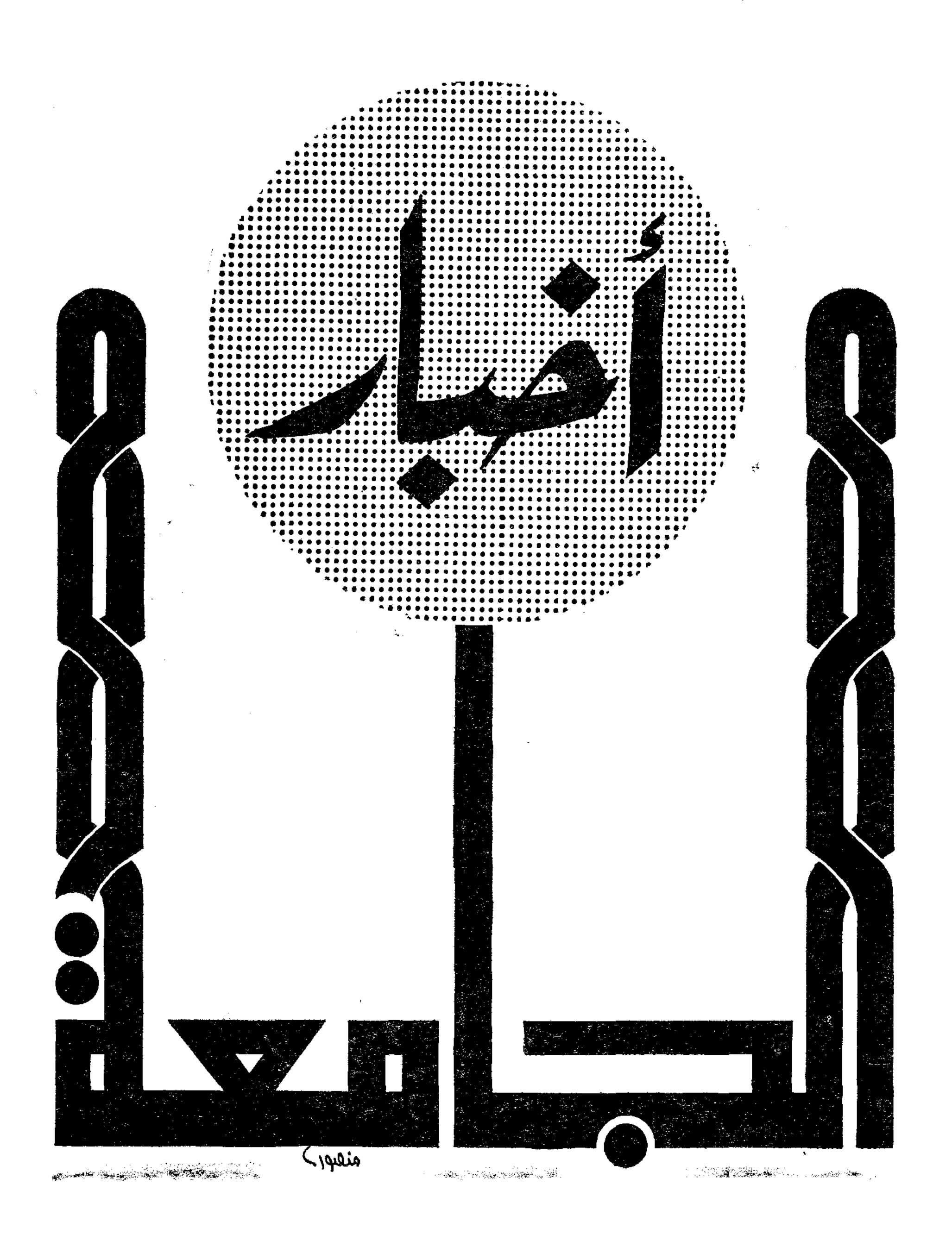
– ما هو موقف حزب البعث من المنطق ذى الروح الاسلامية الذى تعرضه بعض الدول العربية المحافظة في نظرها للمشكلات العربية اليوم ؟ اما زال الحزب محافظا على نظرته العلمانية تجاهها ؟ ! الجواب

– نحن نختلف مع الذين يظنون أن في الاسلام الخلاص من المآزق التى تقع فيها الأمة العربية اليوم . . أما اولئك الذين يعملون على تنشيط الحركات الاسلامية والشريعة القرآنية فهم يحملون نظرة لا تتوافق معنا . . ونحن لا نعتقد بهذه الأشياء ونحن بالتأكيد حزب علماني وان كان هذا لا يعني بالضرورة اننا ضد الدين ! ! فنحن نحترم الاديان كلها ! ! ونحترم حريتها أيضا ! ! إلا أننا وفي هذه المرحلة التاريخية التى نعيشها فنحن نعتقد انه يجب علينا ايجاد طرق علمية وعملية للتطبيق اكثر من الأديان .

(جريدة النور المغربية)

المجلة :

(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) . . .


أخبار
الجامعة

لائحة الامتحانات في كليات الجامعة

أقر المجلس الأعلى للجامعة لائحة الامتحانات في كليات الجامعة وتم تطبيقها ابتداء من العام الدراسى ٩٨-١٣٩٩ هـ وبموجب هذه اللائحة تجرى الامتحانات بنظام الدورين

١ ـ الدور الأول ويكون على مرحلتين احداهما في نهاية الفصل الدراسى الأول والثانية في نهاية الفصل الدراسى الثاني وفي كل مرحلة منهما يكون الامتحان في نصف المنهج المقرر لكل مادة ويكون للامتحان في الفصل الأول أربعون درجة وفي الفصل الثاني ستون درجة منها عشر درجات تخصص الفصل الدراسى الأول .

٢ ـ الدور الثاني ، ويكون الامتحان فيه في المنهج المقرر كاملا لكل مادة

وجاء في المادة الثالثة عشرة منها ما يلى :

يحسب التقدير العام لنجاح الطالب في كل امتحان وفقا لمجموع الدرجات التى يحصل عليها الطالب منسوبا الى المجموع الكلى للنهاية الكبرى لجميع المواد ويحسب التقدير العام لنيل الشهادة العالية على أساس مجموع الدرجات التى يحصل عليها الطالب في جميع السنوات الأربع منسوبا الى المجموع الكلى للنهاية الكبرى لجميع المواد في السنوات الأربع وفي كل تقدير يجبر الكسر في مجموع الدرجات لصالح الطالب اذا كان نصفا فأكثر ويحذف إذا كان أقل من النصف .

مطبعة الجامعة

أعلنت الجامعة في مناقصة عن تأمين مطابع للجامعة وتمت ترسيتها على عدد من الشركات وسيتم تركيبها وتشغيلها بمشيئة الله خلال العام الدراسى ٩٨ ـ ١٣٩٩هـ

الاعداد للمؤتمر العالمى الاسلامى لمكافحة المسكرات والمخدرات

شكلت في الجامعة لجنة برئاسة الدكتور محمد بن حمود الوائلى عميد كلية الشريعة بالجامعة للاعداد لعقد المؤتمر الاسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات الذى ستعقده الجامعة بمشيئة الله تعالى خلال العام المالى القادم ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠ هـ .

الاعداد للمؤتمر العالمى الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة

شكلت في الجامعة لجنة للاعداد للمؤتمر العالمى الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذى ستقوم الجامعة بعقده - إن شاء الله تعالى - في شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ .

جدول توزيع المنح الدراسية لعام ١٣٩٩ هـ - ١٤٠٠ هـ وعددها (١٠٠٠ منحة)

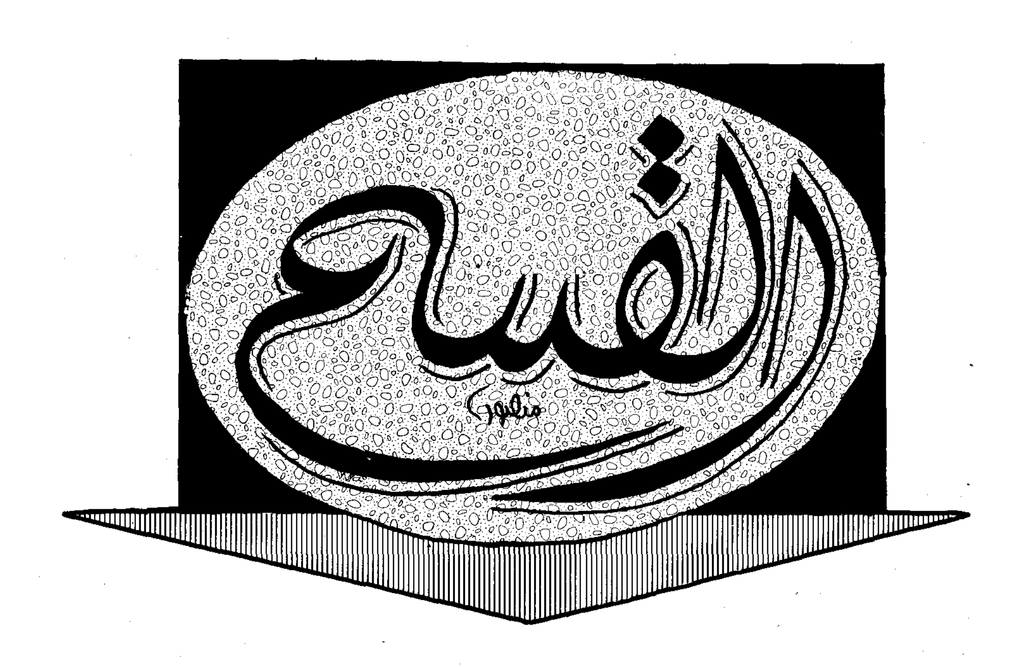
مسلسل	البلـــد	عدد المنح	مسلسل	البلـــد	عدد المنح
١	الامارات العربية	٢٥	١٨	بروني	٢
٢	أثيوبيا	٢٥	١٩	بريطانيا	٥
٣	الأردن	١٥	٢٠	بلجيكا	٢
٤	أريتريـــا	٢٠	٢١	بورمـــا	٦
٥	أسبانيا	٢	٢٢	بورندى	٤
٦	أستراليا	٣	٢٣	تايلاند	٢٠
٧	افريقيا الوسطى	٥	٢٤	تنزانيا	٦
٨	افغانستان	٢٠	٢٥	تركستان	٦
٩	المـــانيا	٣	٢٦	تركيا	٢٠
١٠	اندونيسيا	٥٠	٢٧	ترنداد	٥
١١	أنجولا	٢	٢٨	تشاد	١٥
١٢	ايران	١٥	٢٩	توجو	٦
١٣	باريغوس	٢	٣٠	تونس	٨
١٤	باكستان	٤٠	٣١	جابون	٣
	منها ٦ لكشمير و٢ لبلتستان		٣٢	الجزائر	١٠
١٥	بنجلاديش	٣٠	٣٣	جزائر القمر	٢٠
١٦	البحرين	٧	٣٤	جزر فيجى	٣
١٧	البرازيل	٤	٣٥	جنوب افريقيا	٦

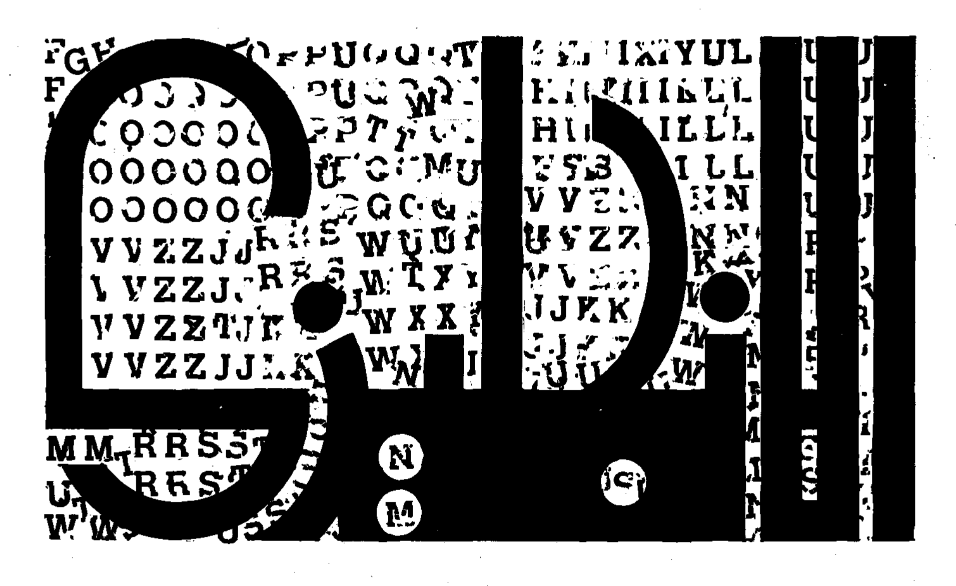
تابع – جدول توزيع المنح الدراسية لعام
١٣٩٩ هـ – ١٤٠٠ هـ وعددها (١٠٠٠) منحة

مسلسل	البلـــد	عدد المنح	مسلسل	البلـــد	عدد المنح
٣٦	جيبوتي	١٠	٥٦	غامبيـــا	٥
٣٧	الدانمارك	٢	٥٧	غيانا الامريكية	٥
٣٨	داهومى	١٠	٥٨	غينيا بيساو	٥
٣٩	راوندى	٥	٥٩	غينيا كونكرى	١٠
٤٠	روديسيا	٤	٦٠	فرنسا	٢
٤١	زامبيـــا	٣	٦١	الفـــلبين	٢٠
٤٢	زائـــير	٥	٦٢	فولتا العليا	١٠
٤٣	ساحل العاج	١٥	٦٣	فلسطين	١٥
٤٤	السنغال	١٥	٦٤	فيتنام الجنوبية	٣
٤٥	سنغافوره	٥	٦٥	قـــبرص	٢
٤٦	السودان	٢٠	٦٦	قطـــر	٦
٤٧	ســوريا	١٢	٦٧	كمبـــوديا	٢
٤٨	الســـويد	٢	٦٨	الكميرون	٨
٤٩	سيراليون	٨	٦٩	الكونغو برازافيل	٥
٥٠	سيرالانكا (سيلان)	٨	٧٠	كنـــدا	٣
٥١	الصـــومال	١٥	٧١	كوريا الجنوبية	٥
٥٢	الصين الوطنية	٤	٧٢	الكـــويت	٧
٥٣	العـــراق	١٢	٧٣	كينيـــا	١٠
٥٤	عمـــان	٦	٧٤	لبـــنان	١٠
٥٥	غـــانا	١٥	٧٥	ليبيريـــا	٥

تابع - جدول توزيع المنح الدراسية لعام
١٣٩٩ هـ - ١٤٠٠ هـ وعددها (١٠٠٠) منحة

مسلسل	البلـــد	عدد المنح	مسلسل	البلـــد	عدد المنح
٧٦	ليبيا	٥	٩٠	نيوزيلندا	٢
٧٧	ماليزيا	١٨	٩١	الهند	٢٤
٧٨	مالى	١٠	٩٢	هولاندا	٢
٧٩	مالديف	٦	٩٣	هونج كونج	٢
٨٠	مدغشقر	٣	٩٤	الولايات المتحدة	٨
٨١	مصر	١٢	٩٥	اليابان	٣
٨٢	المغرب	١٥	٩٦	اليمن الشمالية	٣٥
٨٣	الملاوى	٢	٩٧	اليمن الجنوبية	٣
٨٤	موريتانيا	١٢	٩٨	يوغوسلافيا	١٠
٨٥	موريشيس	٥	٩٩	أوغندا	١٢
٨٦	موزمبيق	٥	١٠٠	اليونان	٤
٨٧	نيبال	٤	١٠١	الأقليات الاسلامية التى لم تذكر	٢٥
٨٨	النيجر	٩			
٨٩	نيجيريا	٣٥		المجموع	١٠٠٠


القسم


الثاني

Tawaful-Elfada, she should not leave till the menses are over, make Tuhr , طهر and and make that Tawaf . But she can leave witout Tawaful-wadaa . طواف الوداع

If the Mutamatti can't buy Hady, he should fast three days in Hajj and seven days when he comes back home .

By

SAAD NADA
Islamic university

The pilgrim remains يبقى at Mina two of Tas-
hriq;(11the ,12 th of Dhul-Hijja) or three days
(11th and 12 thand 13 th of Dhul-Hijja),and tro-
ws twenty one pebbles at the three jamarat الجمرات
the small one (Assughra)الصغرى the middle one
(Alwosta الوسطى and the Big one
Alkubra الكبرى) seven at each Jamarah.
Then the pilgrim goes to Macca and before leaving
it he makes the final Tawaf (Tawaf Alwadaa) with
these ceremonies شعائر the pilgrim finishes
his pilgrmage . If the pilgrlm after that wants to
visit the Mosque of the prophet (peace and blessings
of Allah upon him)
in Madina he can do so with the destination of visiting
the Mosque not the Grave.After visiting the Mosque,that
means praying in it, he can visit the Grave of the prophet
(P;B:o.H) Abu Bakr, Omar(M.O.T.) the legal salam .
On reaching Marwa he ascends, and follows the same
practice as that observed on safa.This walking up and
seventimes .If the woman is menstruating while perfor
Hajj,she can perform all the rites and ceremonies of
Hajj like other pilgrims, but she is not permitted to
perform the Tawaf of the Ka'ba and salah(prayer)
till the menses are over .If she has the menses before

On the eighth Dhul- Hijja (Yawmu Tarwiya)
Mutamatti who puts on the Ihram,Mufrid Quarin who keeps up their Ihram, leave , يغادر Macca for Mina, in which they pray Quasran. قصرًا They pray five prayers :Dhur Asr, Maghrib, Isha and Fajr,.
Of course they spend, يقضون night at Mina .
On the next day (Yawmu Arafah)
the pilgrims leave for Arafah after sunrise .
They pray there Dhur and Asr Quasran Wa- Duaa.
Then in any place at Arafa they raise يرفعون their hands and make Duaa, دعاء till sunset. غروب الشمس Then they leave for Muzdalafah المزدلفة On reaching it they pray Maghrib and Isha Quasran Wa- jamaa with Athan اذان and Iquamtayan إقامتين. and spend يقضون the night there .
At dawn الفجر they pray Fajr. Then they go to Al- Mashaar Al-Haram المشعر الحرام or wait anywhere in Muzdalifah, raise their hands facing kiblah and make Dua'a till before sunrise.
they pick seven pebbles from their way to Jamratul Aqabah جمرة العقبة and throw them at it crying "Allahu Akbar" with each pebble . حصاة
After that they become Halal حلال (the small Hel) الحل الأصغر
Then they go to Mina to offer their Hady الهدى (sacrifices
They have their shaved or cut. They also make Tawaf Al- Ifada . طواف الافاضة (great Hel). الحل الأكبر

The pilgrim goes towards تجاه the Black stone touches it with his right hand and kisses it if it is easy سهل saying Allahu Akbar".If it is difficult صعب he touches it with his hand or a stick and kisses which he touches with.If it is crowded he points at it by his hand saying "Allahu Akbar " .The he makes seven Tawafs starting from the Black stone, quicknes يسرع in the first three and makes the last four normal.

Then he prays two Raka'a behind Maouam Ibrahim, drinks from Zamzam زمزم and goes back to the black stone kisses it or touches it or points at it .Then he goes to Safa and Marawa and makes Sa'ay between them seven times starting بادئا from Safa and ending at Marwa. After Sa'ay Umra is ended .The man shaves or cuts his hair and takes offf يخلع his clothes each of them till the eighth of Dhul -Hijja, on that day he puts on his Ihram again. But if he is Mufrid مفرد or Qarin قارن he should keep up his Ihram till the tenth of Dhul-Hijja,But Tamattua is the best way for Hajj .

SUMMARY OF HAJJ (PILGRIMAGE)

Pilgrimage الحج is one of the five pillars أركان of Islam
The Messenger of Allah رسول الله says: Islam is based on
five :Testifying that there is no God but Allah شهادة ان لا إله إلا الله
and that Mohammad is the Apostle of Allah وان محمدا رسول الله
performing prayers, وإقام الصلاة, paying Zakah , وإيتاء الزكاة
fasting Ramadan وصوم رمضان and pilgrimage for those who are
able to perform it . وحج البيت من استطاع إليه سبيلا
So لذا pilgrimage and also Umrah are two duties واجبان
imposed in the course مجرى of muslim's life .
The only reward الجزاء الوحيد of correct الصحيح pilgrimage
is paradise . الجنة
Pilgrimage begins with Ihram الإحرام from Miquat.
Ihram means الإحرام that the man takes off all his clothes
and puts on Rida رداء and Izar إزار .But the woman makes
Ihram in black, or green ______ or any clothes on condition
that على شرط أن she must avoid تجنب wearing لبس
like شبه men .

The pilgrim الحاج says in miquat : " Labbayka Umra
لبيك عمرة or" Labbayka Hajja " لبيك حجا
or"Labbayka Ummattan- wa- Hajja". لبيك عمرة وحجا then he
says loudly بصوت مرتفع ______________ :" Labbayka
Allahumma Labbayk, Labbayka Lasharika Laka Labbayka,
Inna Al- Hamda Wa- Nimata Laka Walmulk, Lashrika Lak .
" لبيك اللهم لبيك - لبيك لا شريك لك لبيك - إن الحمد والنعمة لك والملك - لا شريك لك "
He repeats يكرر Talbiya till حتى he reaches يصل
Meacca, مكة المكرمة Then he enters the sacred Mosque
(Almasjid AlHram).

SUNNAH

Narrated'Ikrima:Ibn'Abbas (peace and blessing from Allah be upon him) said:"Allah's Apostle delivered a sermon ontthe Day of Nahr , and said , 'O people! (tell me) what day is today'?The people replied,' It is the forbidden (sacred)day.' He asked again,'What place is this ?They replied , 'It is a forbidden month .He said, 'No doubt!Your blood,properties,and honour are sacred to one another like the sanctity of this day of yours at this sacred area (Mecca) of yours,in this month of yours .'The Prophet (peace and blessings from Allah be upon him) reoeated his statement again and again.After that he raised his head and said. 'O Allah !Have I conveyed (Your Message) "'?Ibn' Abbas added ,"By in Whose Hand is My soul , the following was his will (Prophet'swill) to this followers:'The present should tell the absent that I don't want you to turn into infidels after me by cutting the throats of one another."'

a far-distant place .32.Such is his state and Whoever holds in honour the Symbols of God;in the sacrifice of animals,Such honour shouls com truly from piety of heart.In them ye have benefits for a term appointed: in the end their place of sacrifice is near The Ancient House .34 To every people did we Appoint rites of sacrifice that name of God over the sustenance He gave them from animals fit for food .But your God is one God /submit then your wills to Him in Islam: and give thou the good news to those who humble themselves-to whose hearts when God is mentioned,are filled with fear,who show patient perseverance over their afflictions,keep up regimar payer ,and spend in charity out of what we have bestowed upon them . The sacrificial camels we have made for you as among the Symbols from God ;in them is much Good for you :then pronounce the name of God over them as they line pp for sacrifice when they are down on their sides after slaughter , eat ye there of , and such as be g not but live in contentmen and such as beg with due humility :thus have we made animals subject to you , that ye 37.It is not their meat nor their blood,that reaches God:it is your piety that reaches Him :He has thus made them subject to you that ye may glorify. God for His guidance to you and proclaim the Good News to all who do right.

QURA'N

26. Behold !we gave the site to Abraham ,of the Sacred House saying : "Associate not anything in worship with Me,and sanctify My House for those who compass it round or stand up,or bow ;or prostrate themseleves
27. Therein in prayer ."and proclaim the Pilgrimage among men :they will come to the on foot and mounted on every of camel, lean on accout of distant montain highways ,.28THat they may wintness the benefits provided for them and celebrate the name of God ; through the Days appointed over the catcle wich He has provided for them for sacrifice :then eat ye there of and feed the distressed ones in want ;29. Then let them complete the rites prescribed for them,perform their vows,and again circumabulate the Ancient House .30 Such is the Pilgtimage :whoever honours the sacred Rites of his Lord .Lawful to you For food in Pilgrimage are cattle ,except those mentionee to you as exceptions :but shun the abomination of idols ,that is false ,3I.Being in faith to God ;and never assigning partners to Him :if anyone assignsppartners to God ,he is as if he had fallen from heaven and been snatched up by birds, or the wind had swoooed like a bird on its prey and thrown him into



قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى

لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

المحتويات

تابع محتويات العـــدد



المجلة لا تلتزم

١) برد البحوث أو المقالات لأصحابها إذا لم يتم نشرها
٢) ولا بإبداء أسباب عدم النشر

والآراء المنشورة في المجلة ليست تعبيراً عن
رأي المجلة . وإنما هي تعبير عن رأي كاتبها فقط

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تصويب أخطــاء

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥٥	٦	الآثـار	والآثــار
٥٥	٦	دلـس	استدل
٥٥	٦	مطلوبة :	مطلوبة وهى :
١١٩	٩	الحيا	الميـداه
١١٦	٤	فقد أشرك	قد أشـرك
١٢٠	٢١	فالـرب	والـــرب
١٢١	١٥	على ان انهم	على أنهـم
١٢٢	٨	بعزة الله	يعزه الله
١٢٤	٤	بالنقـى	بالنفـى
١٢٤	١٨	بهــا	بــه
١٢٧	١٤	ونهازا	ونهـارا
١٤٤	٢٤	جبل المشاه	حبل المشاة

صفحة	سطر	الخطأ	الصـ
١٤٩	٢٢	وصلى بعرفه	وصلى
١٥٦	الاخير	حصنا لاعد اتنا	حصنـ لاعدا
١٨٢	"	فتمطيـه	فتطي
١٨٦	١٢	يحلق بركب	يلحق
٢٦٦	١٥	نزل آيات	نزلت
٢٦٦	٢٠	فاسألواهن	فاسأ
٢٧٤	١	ان ا	اذ
٢٨٧	١٨	بـن	ابـ
٢٨٨	١٣	بـن	ابـ
٢٩٠	١٧	بن	ابـ
٣٠٢	٢٦	عبد الرازق	ع
٣٠٣	٦	" "	

(QUARTERLY)

11th YEAR

2

1st DHU'L HIJJAH